أبي العلاء المعري

دراسات

التجربة الشعرية
عند أبي العلاء المعري

تحقيق

نعيمة سعيد أبو عجيلة سمهود

دولة ليبيا

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة طرابلس

كلية اللغات

مكتب الدراسات العليا

قسم اللغة العربية

التجربة الشعرية عند أبي العلاء المعري

رسالة مقدمة لإتمام متطلبات الحصول على درجة الإجازة العالية

((الماجستير)) في الأدب العربي

إعداد الطالبة :

نعيمة سعيد أبو عجيلة سمعود

إشراف الأستاذ الدكتور :

عبدالنبي سالم قدير

العام الجامعي : 2014 - 2015 ف

الإهداء

إلى . . . من جعلا جهادهما في الحياة تربيتي ورعايتي .

إلى . . . من اشتاقا إلى أن أقر أعينهما بهذه اللحظة .

إلى . . . الأصل الطيب صاحبي القلب الحنون والعطاء الزاخر .

إلى . . . أمي وأبي حفظهما الله .

إلى . . . إخوتي وأخواتي الأحباب .

. . . أهدي جهدي المتواضع

سائلةً من الله المولى ـ جلَّ وعلا ـ أنْ يتقبّل منّي هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجعله علماً يُنفَعُ به ذخراً لي في الدنيا والآخرة .

الباحثة

شكر وتقدير

الآن وبعد أن فرغت من إعداد هذا البحث أتقدم بجزيل الشكر والتقدير ، إلى الأستاذ المشرف /أ . د . عبد النبي سالم قدير ، على ما قدمه لي من عونٍ وما بذله معي من جهد وعناء ، فلم يبخل عليّ بنصائحه و إرشاداته إلى أن وصلت الرسالة ما وصلت إليه فجزاه الله عني كل خير .

ويسرني أن أشكر الأستاذين الجليلين عضويّ لجنة المناقشة اللذين تفضلا بقبول تقويم هذه الرسالة وإكمال نقصها ، الأمر الذي يزيد الرسالة عمقاً وتنقيحاً وشرفاً ، وهما فضيلة الدكتور /أبوبكر العربي المجدوب ، وفضيلة الدكتور /عبدالله عبدالرزاق الأزرق .

شكراً لهما وجزاهما الله عني خيراً .

كما اتقدم بالشكر إلى الإخوة والأصدقاء طلبة الدراسات العليا بقسم اللغة العربية وأعضاء هيئة التدريس بجامعة طرابلس .

و لا يفوتني أن أقدم الشكر إلى كل من أسهم معي في إنجاز هذا البحث ، وأخص بالذكر الدكتور / علي جولق على تكرمه بتقديم ما في مكتبته الخاصة من مراجع مهمة ، وإلى الأستاذ / عبد الباسط عمار ، وإلى الأستاذ / أحمد دنس ، وإلى المهندس /عبد المنعم الزوبي ، وإلى الأخوات /هاجر أحمد و مبروكة وسعاد نوري . . .

أشكرهم جميعاً .

الباحثة

الرموز المستعملة في البحث

ت : توفى .

هـ : هجري .

م : ميلادي .

ف : إفرنجي .

ق : قسم .

ص : رقم الصفحة .

تح : تحقيق .

ط : طبعة .

... : حذف جملة أو أكثر من النص المنقول .

د . ط : دون طبعة .

د . ت : دون تاريخ .

المحتويات

ت	الموضوعات	الصفحة
.1	البسملة	أ
.2	الإهداء	ب
.3	الشكر والتقدير	ج
.4	الرموز المستعملة في البحث	د
.5	المحتويات	ه
.6	المقدمة	1
.7	الفصل الأول / التعريف بالشاعر	5
.8	المبحث الأول : سيرة أبي العلاء المعري	6
.9	المبحث الثاني : التجربة الأدبية ومفهومها	22
.10	المبحث الثالث : البيئة وتأثيرها في بعث التجربة الشعرية	32
.11	الفصل الثاني / أهم القضايا الشعرية ومضامينها	47
.12	المبحث الأول : المرأة والزواج والنسل	48
.13	المبحث الثاني : قضية الحياة والموت	63
.14	المبحث الثالث : قضية الخير والشر	74
.15	المبحث الرابع : الرمز عند المعري	80
.16	الفصل الثالث / الصورة الشعرية في شعر أبي العلاء المعري	86
.17	المبحث الأول : مفهوم الصورة الشعرية	87
.18	المبحث الثاني : مصادر الصورة عند أبي العلاء المعري	98
.19	المبحث الثالث : أساسيات بناء الصورة عنده	121
.20	المبحث الرابع : أثر عماه في صُوره الشعرية	132
.21	الفصل الرابع / الخصائص الفنية في شعر أبي العلاء المعري	138
.22	المبحث الأول : اللغة	138
.23	المبحث الثاني : الأسلوب	151
.24	المبحث الثالث : الموسيقا	161
.25	الخاتمة وأهم النتائج	168
.26	المصادر والمراجع	171

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، وأصلي على سيدنا محمد النبي الأكرم ، وعلى آله المكرمين وصحبه القائمين بالحق من بعده إلى يوم الدين .

وبعدُ :

فللأدب أثر كبير في نفوس عشاقه ، فهو ميدانهم الرحب ، يعبرون بأقوالهم عما يلوج في صدورهم ، وتحس به مشاعرهم ، ويهيم به وجدانهم ، للمجتمع الذي يعيشون فيه ، بطرق مختلفة ، وبأساليب متنوعة ، وبصورٍ خلابة .

وبناءً على ذلك فالشعر له دوره في حياة الشاعر الذي يعده الغذاء الروحي ، ومزيلاً للهموم ، وبذلك أصبحت الصورة مختلفة من شاعر لآخر يتفنن بها كيف يشاء .

وعند بحثي في الشعر وصوره تبادر إلى ذهني أن أختار موضوعاً يحمل بين سطوره صوراً جياشة في نفوس حامليها ، فاخترت أن أسجلَ رسالة الماجستير بعنوان (التجربة الشعرية في شعر أبي العلاء المعري) ، تلك الشخصية المتميزة في الأدب العباسي ، الذي يُعدُّ من أعلام عصره وقد برزوا وأجادوا ، وأعطوا للحقل الأدبيّ ثروة أدبية متطوّرة ، وشاعرنا وأديبنا وفيلسوفنا تألق في دروب العلم والإبداع .

ليس في شعراء العربية شاعرٌ أحس إحساساً عميقاً بما في الحياة الإنسانية من مظالم ومآس مثلما أحس أبو العلاء ، وليس فيهم شاعرٌ شغل نفسه بالتفكير في أسباب ذلك البلاء مثلما فعل ، و لا ينبغي أن نرجّع ذلك الإحساس العميق وتلك اليقظة الفكرية إلى ما كان يعانيه من فقد البصر أو إلى ضعف جسماني ، وإلى ما شاع في عصره من مفاسد ، فإن هذه الأمور جميعاً قد تعين على تفسير تلك النزعة ،ولكنها لا تكفي وحدها لذلك التفسير .

إن أبا العلاءَ ـ بحقٍ ـ أحد شعراء الإنسانية الأفذاذ ، وقمة من أسمى قمم الأدب العربي المبدعة في عزلتها ، فقد استطاع أن يشارك غيره في كلّ فن فأبدع ، وزاد عنهم وبرع ؛ لما يمتلكه من مواهبَ متميزةٍ وخصائصَ منفردةٍ ، ينذر أن نجدَ له

نظيراً بين شعراء العربية ، فشعره مازال يطرب الآذان ويستولى على القلوب ويناوش الأذهان .

حاولت في هذه الدراسة البحث عن تجربته الشعرية ، وعن صوره ، ومرتكزاتها ، ومصادرها ، وعن أهم خصائصه الفنية في شعره ، راجية من الله أن يوفقني إلى بلوغ هذه الغاية في دراستي هذه حتى يسفر جهدي المتواضع عن أطيب النتائج في باب الدراسات الأدبية ، وكان ذلك دافعاً وحافزاً لي لأختيار هذا الموضوع دون غيره بعد إمعان النظرة واستشارة الدكتور " عبد النبي سالم قدير" ، والتأمل في كثير من الدراسات والبحوث الأدبية التي استغرقت العصر العباسي ، فتبين من خلالها ما تعانيه من قصور في دراسة هذا الجانب ، وهذا ما أشعرني بأهمية الموضوع ، وأيضاً لإعطاء الشاعر وشعره الحق في الظهور ، وإثراء المكتبة العربية بالأبحاث الجادة .

أما المنهج الذي أعتمده في هذه الدراسة هو المنهج الأسلوبي ، المعتمد على التحليل والوصف اللذين يتطلبهما فهم النصوص الشعرية فهماً جيداً ، ومما لاشك فيه أن البحث الأدبي المبتكر هو الذي لا يتجاهل صاحبه شيئاً مما كتب قبله في موضوعه ، إذ لابد من ذكر أهم الدراسات السابقة التي كانت بمنزلة معالم على الطريق في هذا البحث ، وهذه الدراسات نوعان : قديمة ، وحديثة ، أما القديمة فهي المصادر الأساسية التي لابد منها للباحث في الأدب ، مثل كتاب تعريف القدماء بأبي العلاء للدكتور طه حسين ، ديوانَيْ أبي العلاء المعري : سقط الزند ، ولزوم ما لا يلزم ، وشروح سقط الزند للتبريزي والبطليوسي والخوارزمي ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، إشراف الدكتور طه حسين ، وشرح اللزوميات ، تحقيق زينب القوصي وآخرين ، وما إلى ذلك من مصادر ، أما الدراسات الحديثة فيمكننا أن نذكر منها تلك التي تتصل بهذا البحث ، وهي كتاب الجامع في أخبار أبي العلاء لمحمد سليم الجندي ، والنقد الاجتماعي في آثار أبي العلاء للدكتور يسري سلامة ، والصورة الأدبية لمصطفى ناصف ، وشاعرية أبي العلاء في نظر القدامى لمحمد مصطفى بالحاج ، والصورة الفنية في شعر أبي العلاء ، رسالة دكتوراة للدكتور علي جولق ، وغيرها من الكتب الموجودة بقائمة المصادر والمراجع .

وسوف تجدون معلوماتها كاملة في المصادر والمراجع .

وفي ضوء هذا المنهج المتبع في هذه ، والمعطيات التي حصلت عليها ، والمادة التي تم جمعها تبين لي أن أقسم البحث إلى مقدمة ، وأربعة فصول ، وخاتمة .

خصص **الفصل الأول** :ـ للتعريف بالشاعر ، وتجربته الشعرية ، ويندرج تحته ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : سيرة أبي العلاء المعري : و يشتمل المبحث على اسمه ، كنيته ، لقبه ، مولده ، نشأته ، بلدته ، آثاره الأدبية ، وتناولت شاعرية أبي العلاء ، وفلسفته ، ووفاته .

أما المبحث الثاني : فقد تحدثت فيه لتعريف التجربة لغةً واصطلاحاً .

وفي المبحث الثالث : تحدثت عن البيئة وتأثيرها في بعث التجربة الشعرية .

أما **الفصل الثاني** : أفردته لدراسة أهم القضايا الشعرية ، واحتوى على أربعة مباحث :

المبحث الأول : تحدثت فيه عن قضية المرأة والزواج والنسل .

أما المبحث الثاني : فقد تحدثت فيه لقضية الحياة والموت .

وفي المبحث الثالث : تحدثت عن قضية الخير والشر .

وفي المبحث الرابع : كانت الدراسة فيه عن الرمز عند المعري .

أما **الفصل الثالث** : ويهتم عبر مباحثه الأربعة بدراسة الصورة الشعرية في شعر أبي العلاء المعري ، ففي المبحث الأول تحدثت عن مفهوم الصورة الشعرية .

أما المبحث الثاني : تحدثت فيه مصادر الصورة عند أبي العلاء المعري .

أما المبحث الثالث : فقد تحدثت فيه عن أساسيات بناء الصورة عنده .

وفي المبحث الرابع : درستُ أثر عماهُ في صُوره الشعرية .

وجعلت **الفصل الأخير** للخصائص الفنية في شعر أبي العلاء المعري ، مشتملاً على ثلاثة مباحث : تحدثت في المبحث الأول : إلى اللغة .

والمبحث الثاني : تحدثت فيه الأسلوب .

أما المبحث الثالث : فقد كان الحديث فيه عن الموسيقا .

ثم أعقبتُ ذلك بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلتْ إليها الدراسة .

وأخيراً تصنيف المصادر والمراجع التي اعتمدتْ عليها الدراسة .

وإذا كان لابد للباحث من كلمة أخيرة في هذه المقدمة ، فلابد من الإشارة إلى الصعوبات التي واجهها ، ألا وهي التفكير في البحث نفسه ، فالبحث والتأمل في موضوع ما يحتاج إلى الدراسة ، و إيجاد منهجية له ، أرى ذلك من أهم الصعوبات التي واجهتني .

كما لا يفوتني أن أوجه شكري وامتناني لكل من أسهم معي في نسج خيوط هذا العمل حتى يظهر بالصورة التي هو عليها الآن ، وفي مقدمتها تلك التوجيهات السديدة الصادقة التي أنارت لي طريق العلم والمعرفة ، والتي لمستها من أستاذي الدكتور / عبد النبي سالم قدير ، أسأل الله أن يبقيه للعربية علماً ومعلماً ، وإنني لا أدعي الإحاطة أو أزعم الكمال ، فالكمال لرب العزة ، وما القصور إلا من صفة البشر .

وختاماً آمل أن تكون هذه الدراسة قد نحت منحىً علمياً ، وأن يكون فيها قدرمن الاستفادة وأسأل الله مزيداً من التوفيق .

والحمد لله رب العالمين

الباحثة

الفصل الأول

الفصل الأول

التعريف بالشاعر

المبحث الأول : سيرة أبي العلاء المعري ، ويشتمل على :

_ اسمه ، كنيته ، ولقبه :

_ مولده ونشأته :

_ بلدته (معرة النعمان) :

_ وفاته :

_ ثقافته وسعة ذكائه :

_ شاعريته وفلسفته :

_ آثاره الأدبية :

_ اسمه ــ كنيته ــ ولقبه :

اسمه ؛ هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري [1] .

أما اسمه هذا ، فقد كرهه ؛ لأنه رأى أن من النفاق والكذب اشتقاق اسمه من الحمد ، إذ ينبغي أن يشتق من الذم ، من مثل قوله :

وأحْمَدَ سَمَّاني كَبِيري وقَلّمافعلتُ سِوَى ما أستحقُّ بهالذَّمَّا[2]. (الطويل)

أما كنيته ؛ فقد كُنّي بأبي العلاء ، لكنه كره هذه الكنية " أيضاً "؛ لأنهرأى أن من الظلم أن يضاف إلى التصعيد والعلوّ ، وإنما العدل أن يضاف إلى السقوط والهبوط ، كقوله :

دُعِتُ أَبا العَلاءِ ، وذلكَ مَيْنٌولكِنَّ الصَّحِيحَ أَبُو النّزُولِ [3] .(الوافر)

أما اللقب الذي اختاره لنفسه ، وأحبه كثيراً فهو ((رهين المحبسين)) ، وأراد بالمحبسين منزله الذي احتجب فيه ، وذهاب بصره الذي منعه من مشاهدة الأشياء.

ولم يكتف – رحمه الله –بهذين السجنين ، فقد أضاف إليهما سجناً ثالثاً ، وهو سجن نفسه الطاهرة في جسده الخبيث ، على نحو ما جاء في شعره الذي يقول فيه :

أَراني في الثَّلاثةِ من سُجُوني فلا تَسْأَلْ عن الخَبَرِ النَّبيثِ .

---

[1] ينظر : الأعلام ـ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ،تأليف خير الدين الزركلي ، ج1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ـ لبنان ، ط10 ،1992م ، ص157 .

[2] ينظر :ديوان اللزوميات ، لأبي العلاء المعري ،تقديم وشرح وفهرست د. وحيد كباية ،حسن حمد ، دار الكتاب العربي بيروت لبنان ، ج 2 ، 2004م ، ص345 .

[3] المصدر نفسه ، ج2 ، ص267 .

لفَقْدي ناظِـــــــــــــــــــري ولُزُومِ بَيْتـِـــــي وكَوْنِ النَّفْسِ في الجَسَدِ الخَبِيثِ .[1] (الوافر)

كنيته أبو العلاء بالفتح والمدِّ ، إلا أن الناس كانوا ينطقون بها مقصورة في عصره كقوله :

والإلفُ هَانَ لهُ أَمْري فَقَصَّر بَي كما تَهُونُ على ذي المَنْطِقِ الأَلِفُ .[2](البسيط)

وقد شنَّع على أبي الحسين النُكتيّ البصْري وهو من أصدقاء شيوخه في تسميته إياه محمداً بدل أحمد وأبا العُلى موضع أبي العلاء تشنيعاً يشوبه هُزءُ وأطال، وشَمّرَ أردانه للجدال والنضال .

_ مولده ونشأته :

ولد بالمعرة ، يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول سنة (363ه) ونشأ بها[3]، وقد ولد مبصراً كما يولد سائر البشر ، ولكنه ابتلى بصدمة فادحة ، قبل أن تستقيم خطوطه الصغيرة على درب الحياة.

ــ ولكننا مع ذلك نراه حامداً ربه ــ ، جامعاً روح الطرفة والظرافة في لسانه حين قال : " أنا أحمد الله على العمى ، كما يحمدُهُ غيري على البصر ؛ وقد صنعَ لي وأحسنَ بي ؛ إذ كفاني رؤية الثقلاء والبغضاء" .[4]

---

[1] اللزميات، ج 1 ، ص 226 .
[2] المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 58 .
[3] ينظر: رسالة الصاهل والشاحج ، للمعريّ : دراسة فنية تحليلية ، مقدمة من أبو بكر الأمين القدم ، 98 - 1999م ، ص 12 .
[4] تعريف القدماء بأبي العلاء ، تح: مصطفى السقا ـ عبد الرحيم محمود ـ عبد السلام هارون ـ إبراهيم الإبياري ـ حامد عبد الحميد ـ بإشراف د. طه حسين ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، مصر، ط3 ،1986م ، ص 558 .

وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة ، ورحل إلى بغداد سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ، أقام ببغداد سنة وسبعة أشهر ، ثم رجع إلى بلده ، فأقام ولزم منزله إلى أن مات . [5]

-**شيوخه**؛ نشأ في بيت صغير من بيوتات معرة النعمان ، هذا البيت الذي عرف بالعلم والفضل والأدب ، فجده سليمان بن أحمد قاضي المعرة كان أديباً شاعراً ، وكذلك أبوه عبد الله ، وعمّه أبو بكر بن محمد ، وأخواه أبو المجد محمد ، وأبو الهيثم عبد الواحد [1] ، تتلمذ في بداية عمره على أبيه الذي قاده إلى عالم يمنحه نور البصيرة ويكشف له عن آفاق الوجود المغلق أمام بصره ، فقرأ القرآن على أئمة من شيوخ القراءات وسمع الحديث من أبيه ، وسمع عن جماعةٍ من أصحاب " ابن خالويه" فظهر من تفوق نجابته وفطنته ما جعل والده يمضي به إلى حلب حيث أخواله " بنو سبيكة " ، إذ تلقى النحو على إمام العربية في حلب محمد بن عبد الله بن سعد النحوي [2]،أقبل على العلم ، يغترف منه في بيئة سخية بأسباب المعرفة والفكر ، فذكاؤه واجتهاده جعلاه ينهل العلم من حلب وطرابلس والشـــــام واللاذقية و أنطاكية ، إذ أخذ يطلع على خزائن البلاد الشامية بكل ما فيها من علم وفكر ، ويعمل على حفظها ، وذكر أن العلويّ خازن مكتبة أنطاكيه ، كان يحفظ أبا العلاء عدة كتب في أيام قلائل لما له من سعة الحفظ والذكاء العجيبين.[3]

ولو جاءنا كلٌّ ما قالـــــه وكتبــه لرأينا أدباً غزيراً ، وعلماً جماً ، وخيالاً واسعاً ، وعبقرية فذة ، وثقافة عالية لا تضاهى . على أن القدر الذي أتيح لنا الوقوف عليه من كلامه يدل على علم واسع ، وأدب وافر ، يجعلانه أمة وحده ؛

---

[5]ينظر:معجم الأدباء ، لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، دار المستشرقين بيروت لبنان ، ج 3 ، ص 108 .
[1]ينظر: تعريف القدماء بأبي العلاء المعري ،ص 493 .
[2]المصدر نفسه ، ص 206 .
[3]المصدر نفسه ، ص 554 .

لأننا لم نرَ في رجالات العرب ونوابغهم من اجتمع له من سعة الحفظ و الاطلاع على مسائل العلم والأدب والحكمة مثل ما اجتمع لأبي العلاء . [4]

_ بلدته (معرة النعمان) :

لقد كانت المعرة قديماً تسمى بـــــ (ذات القصور)[1] ، ولكنها عرفت فيما بعد بمعرة النعمان نسبة إلى النعمان بن بشير الأنصاري صاحب رسول الله (ص) الذي توفي له ولده أيام إمارته على حمص ، فدفنه فيها [2] ، ومنذ ذلك الحين أصبحت تعرف بمعرة النعمان .

ويقول الدكتور طه حسين نقلاً عن الأستاذ عبد الجليل إسماعيل بك رأفت إن الصليبيين أغاروا على المعرة سنة تسع وتسعين وألف للمسيح وافتتحوها ودمروها ؛ وتسمى في كتب الحوادث الصليبية بالمعرة فقط ، أو معّر وعرفت في زمان الرومان باسم " خاليس " [3] .

أما المعرة بمعنى الجرب ؛ فإن طه حسين يستبعد ذلك المعنى ، فيقول المعري في لزومياته:

يُعَيِّرُنَا لفظَ المعرِّةِ أَنَّهامِنَ العَرِّ قَوْمٌ في العُلى غُرَبَاءُ [4] (الطويل) .

---

[4]ينظر : الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره ، محمد سليم الجُندي ، علق عليه وأشرف على طبعه ، عبد الهادي هاشم ،دار صادر ـ بيروت ، ط2 ،1991م ، ج 2 ، ص581 .

[1] ينظر: تعريف القدماء بأبي العلاء المعري ،ص 588 .

[2]المصدر نفسه ، ص 597 .

[3]ينظر: المجموعة الكاملة لمؤلفات د. طه حسين ، المجلد العاشر أبو العلاء المعري تجديد ذكرى أبي العلاء ، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ، ط 1 ، 1974م ، ص 113 .

[4] اللزوميات ، ج1 ، ص 45 .

لم يرد بهذا البيت تحقيق هذا الاسم ولا الدلالة على معناه ، فنحن لا نعرف أن قوما عيروه هذا اللفظ وإنما ذهب بهذه القصيدة كلها مذهب الاستهزاء بالذين تخدعهم الأسماء ، فيتفاءلون ويتطيرون [5].

وفي نهاية حديثنا عن معرة النعمان ، كان لابدّ لنا من الحديث عن قبر المعري في تلك البلدة ، ذلك القبر الذي أوصى المعري أن يكتب عليه هذا البيت :

هذا ما جناهُ أبي عليّ وما جنيتُ على أَحَدْ [1]. (مجزوء الكامل)

فقد كان يكرر هذا البيت كثيراً على مسامع تلاميذه ، لكن الأستاذ محمد الجندي يقول خلافاً لما ذكر : " إن أحد أبناء المعرة الصادقين المحدثين كان يقول : لم أرَ هذا البيت على قبره ، ولا أعرف أحداً ذكر أنه رآه عليه " [2].

ولعلنا نرى في قول الجندي قولاً مقبولاً ، لعلمنا أن الجندي رجل شآميّ ، وكان يقصد تلك البيوت الشآمية ؛ فلا عجب من أنه صَادَقَ رجلاً تقياً ، وأخبره بذلك النبأ .

- وفاته :

توفي المعري يوم الجمعة 13 ربيع الأول سنة 449 ه 21 ماي 1057 م بمعرة النعمان ، وعمره 87 سنة ، فبكاه الشعراء والأدباء واجتمع على قبره العديد من الأدباء منهم ثمانون شاعراً ، وختمت في أسبوع واحد عند هذا القبر مائتا ختمه [3]، ومن أبرز من رثاه تلميذه أبو الحسن بن علي بن همام بقوله :

---

[5]ينظر:تجديد ذكرى أبي العلاء ، ص106 .

[1]ينظر: تعريف القدماء بأبي العلاء المعري ، ص 348 ، وقد ورد هذا البيت كثيرا ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء المعري ، ولم أجده في ديوانه .

[2]الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره ، محمد سليم الجندي ،مرجع سابق ، ج 1 ، ص 443 .

[3]ينظر: رهين المحبسين ، أبو العلاء المعري ، أحمد الطويلي ، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع ـ تونس ، 1981 م ، ص 14 .

إن كنتَ لمْ تُرِقِ الدماءَ زَهادَةً فلقَدْ أَرقْتُ اليَوْمَ مِنْ جفني دَماً

سَيَّرْتَ ذِكْرَكَ في البـــلادِ كأنـــــهُمِسْكٌ فسَامِعَةً يُضَمِّخُ أو فماً

ورأي الحجِيجَ إذا أرادُوا ليَلَةً ذكْراكَ أخْرَجَ فِدْيةً مَنْ أحرْما [4].(الكامل)

_ ثقافته وسعة ذكائه :

المعري أديب نافع واسع الاطلاع والمعرفة محيط بعلم اللغة وتاريخ الفكـــــــــــــــر

و أحوال الاجتماع إحاطة تَعيْا أحياناً على المبصرين ، ثم هو يجيد التهكم ويحسن النقد ، وهو من الحكماء المعدودين [1].

وكُتُبُ المعري مملوءة بالآراء المختلفة في ثقافة عصره . إنه ينظر إلى الدين على أنه إيمان وشريعة . أما الإيمان فهو واحد لجميع الناس ولكن لا يعرفه إلا المفكّرون ؛ أما الشرائع فهي مختلفة وهي التي خلقت النزاع بين البشر . إن المعري وطيد الإيمان بالله الخالق القادر [2] .

كان واسع الثقافات ، يعرف الديانات والمعتقدات ، كما يعرف الفلسفة والتنجيم والتاريخ ، وما ينطوي في ذلك من ثقافات يونانية وفارسية وهندية ، وعُني عناية خاصة بالثقافة العربية وكان السابقون يلاحظون مهارته في هذا الجانب ، يقول ابن العديم : " ما أعرف أن العرب نطقت بكلمة ، ولم يعرفها

---

[4] وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ابن خلكان ، تح : إحسان عباس ، دار صادر، بيروت ، 1968 م ، ص 115 .
[1] ينظر : تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، ج 3 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1972م ، ص 124 .
[2] المصدر نفسه ، ص 126 .

المعري " [3] ، كان المعري مثقفا ثقافة لغوية واسعة ، فلم تكن ثقـــافته لغوية فحسب بل كانت عـــلمية ، وأدبــية ونقدية ، وتاريخية ودينية ــ أيضاً [4].

-أما ذكاؤه فيعرفنا التاريخ بالكثير الكثير الذين نبغوا في مختلف الفنون رغم فقدانهم نعمة البصر ، ولم تكن تلك العاهة يوماً لتحول دون النبوغ ، بل إنها كثيراً ما تقوي من فاعلية الحواس الأخرى كاللمس مثلاً ، ويعلل المعري ذلك بأنه كثيراً ما يحول فقد البصر دون شرود الذهن ، فيضطر الشخص على حصر انتباهه فيما يسمعه أو يلمسه ؛ ولذا ليس ما يدعو إلى الشك في قول أبي العلاء بأنه يحمد الله على فقدانه البصر ويعتبره نعمة .

وكان صغيراً عندما حضر إليه جماعة من أكابر حلب الذين سمعوا بفرط ذكائه ، وكان يلعب مع الصبيان ، فقال لهم : هل لكم في المقافاةبالشعر ؟ .. فقالوا: نعم . فجعل كل واحد منهم ينشد بيتاً وهو ينشد على قافيته ، حتى فرغ حفظهم وتغلب عليهم [1].

اشتهر بالفطنة والذكاء ، وقوة الذاكرة ، وسرعة الحفظ بين أصدقائه حتى رووا عنه في ذلك الأعاجيب ، كان لا يمرّ بمسمعه شيء إلا حــفظه ، وإن لم يفهمه . كانت له ملكة في الشعر والكتابة [2].

قال أبو منصور الثعالبي في " تتمة يتيمة الدهر " وكان حدثني أبو الحسن الدِّلفي المصّيصي الشـــاعر ، وهو من لقيتُهُ قديماً وحديثاً في مدة ثلاثين سنة ،

---

[3] تعريف القدماء بأبي العلاء ، ص 569 .
[4] رسالة الصاهل والشاحج ، مرجع سابق ، ص 14 .
[1] نقلاً عن شبكة المعلومات الدولية .
[2] رسالة الصاهل والشاحج ، مرجع سابق ، ص 14 .

قال : "لقيتُ بمعرّة النعمان عجباً من العجب ، رأيت شاعراً ظريفاً يلعبُ بالشطرنج والنرد ويدخلُ في كلِّ فنٍّ من الجِدّ والهزل ، يكنّى أبا العلاء "[3].

وفي ذلك يقول ابن خلكان (ت 681 ه) في أبي العلاء إنه " كان متضلعا من فنـــــون الأدب ... " نقله اليافعي (ت 768 ه) ثم نقـــــله ابن العمـــــاد الحنبلي (ت1089 ه) ومنه أيضاً قول أبي الفداء (ت 732 ه) " كان عالماً لغوياً شاعراً ، وقول الذهبي (ت 748 ه) بأنه اللغوي المشهور " [4].

- شاعرية أبي العلاء وفلسفته :

- شاعرية أبي العلاء :

الشعر من العواطف التي تملأ نفس الشاعر تجاه ما حوله من التجارب التي خاضها ويعبر عنها بشكل فني ، تختلف من حيث الضعف والقوة من شاعر إلى شاعر ، فتظهر قـــــوته في الجميع بين المشاعر الحقيقية الصـــدقة وتجربته الواقعية ،وبين قوة البناء ودقة اللفظ وجمال التشبيه وخفة الوزن والقافية المناسبة ، وقد ترد المعاني والعواطف الحقيقة في بناء ظعف فلا تجد لها صدى في قلوب السامعين ، أو تأتي في بناء معقد ممتلئ بالحواشي ؛ فلا يناله السامع إلا بعد عنت ومشقة ، ولا يكشف عن خفايا نفسية ، ولا يظعف لمسيرة البشرية شيئاً ، وهذا شأن أصحاب الصنعة الزخرفية ، ونرى أن أبا العلاء قد سبق كثيراً من شعراء عصره . بل ومن جاء بعده في أبعاد قضاياه الشعرية وتجاربه الإنسانية ، ولم يكفِ بالشكل التقليدي ، والإغراق في البديع وأنواعه ، بل جمع بين المعاني العميقة من جهة ، وبين البحث في جوهر الإنسان وحقائق الكون من جهة أخرى .

---

[3] ديوان سقط الزند ، لأبي العلاء المعري ، شرحه د . عمر فاروق الطباع ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 ، 1998م ، ص 31 .

[4] ينظر: شاعرية أبي العلاء في نظر القدامى ، د . محمد مصطفى بلحاج ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ـ تونس ، ط 1 ، 1976م ، ص 40 .

ويقول في ذلك العقاد : " واعلم أيها الشاعر العظيم أن الشاعر من يشعر بجوهر الأشياء لا من يعددها ويحصى أشكالها وألوانها ، وأن ليست مزية الشاعر أن يقول لك عن الشيء ماذا يشبه ، وإنما مزيته أن يقول ما هو ، ويكشف لك عن لبابه وصلة الحياة به ، وليس هم الناس من القصيدة أن يتسابقوا في أشواط البصر والسمع ، وإنما همهم أن يتعاطفوا ويودع إحساسهم و أطباعهم في نفس إخوانهم زبدة ما رآه وما سمعه ، وخلاصة ما استطاعه أو كرهه"[1].

وهذا ما ذهب إليه كولردج في أن الشعر " في جوهره إدراك عاطفي للحقيقة فغايته أن يعرض التجربة الإنسانية عرضاً خيالياً ، وأن يعطينا قيماً ويبصرنا بحقائق

الطبيعة والنفس البشرية ، وذلك ليس كما هي في خضم الحياة ، وإنما أن يحيلها الشاعر إلى شكل موحد ذي مغزى أو معنى للشاعر والقارئ على السواء " [1].

ولأبي العلاء ديوان سقط الزند ، وهو ما أطلق عليه شعر ما قبل العزلة ، و ديوان اللزوميات وهو ما أطلق عليه شعر ما بعد العزلة . وفي سقط الزند نرى معظم أغراض الشعر المعروفة ، ففيه مدح وغزل ورثاء ووصف وشكوى من الزمان ، ويشغل المدح القسم الأكبر من الديوان ، ففيه أربع وثلاثون قصيدة في المدح ، منها تسع عشرة موجهة إلى أشخاص معروفين أشار إليهم في مقدماتها ، وخمس عشرة لم يشر إلى أصحابها رغم أنه لم يكن يتكسب بشعره ، ولم يمالق والياً ولا أميراً ، وقد جمع أبو العلاء في السقط ما نظم من شعر في فترة شبابه ، وبعض القصائد التي قالها في عزلته ، ويقل الرثاء في هذا الديوان فليس فيه سوى ثمان قصائد ، قصيدتان منها في رثاء والدته ، وأخرى في رثاء أبيه ، وأربع في

---

[1] نقد الشعر ، عباس محمود العقاد ، مطبوعات الشعب ، مصر ـ القاهرة ،ط 3 ، د. ت ، ص 20 .

[1]كولردج سلسلة نوابغ الفكر العربي ، محمد مصطفى بدوي ، دار المعارف مصر ، 1985م ، ص 75 .

رثاء شخص مجهول ، والأربع الباقيات في بعض الأشراف منها القصيدة الدالية التي رثى بها أبا حمزة الفقيه وهي أروع قصائد الرثاء في الديوان ، ويخلو الديوان من الهجاء ، وقد اعتنى به العلماء وشرحوه ، فشرحه الخطيب التبريزي ، وابن السيد البطليوسي ، وقامت حوله دراسات كثيرة في العصر الحديث ، منها شرح التنوير على سقط الزند لأبي يعقوب يوسف بن طاهر الخوبي ، طبعة المكتبة التجارية بمصر ، ومنها : شروح سقط الزند ، طبعة دار الكتب ، 1948 م في خمسة مجلدات . ويُعدُّ سقط الزند باكورة النتاج الشعري لأبي العلاء ، فقد حاز إعجاب القدامى واستحسانهم ، وصف بعضهم بأنه كتاب نظيف مشهور [2] ، وبأنه من المصنفات الحسان [3].

كما عده آخرون من أحسن أشعار أبي العلاء ، وقد أشار التبريزي من تلاميذ أبي العلاء ومن شراح سقط الزند – إلى أن ميل الناس – على طبقاتهم – إلى السقط أكثر ، ورغبتهم فيه أصدق ، وهو أشبه بشعر أهل زمانه[1].

ومن المحدثين يرى نيكلسون أن شهرة أبي العلاء في المشرق ترجع إلى ديوان سقط الزند [2].

ولا يستطيع أي باحث أن ينكر إعجاب أبي العلاء الشديد بالمتنبي وتأثره به ، ومع ذلك فإن لأبي العلاء طابعه وخصائصه .

أما اللزوميات فهو ديوان ضخم يقع في نحو ثمان مئة صفحة من القطع الكبير ، سماه أبو العلاء " لزوم ما لا يلزم " ؛ لأنه التزم فيه ثلاث كلف : [3] الأولى: بناء القصائد على جميع حروف المعجم ، والثانية : إيراد الروي في كل

---

[2] ينظر : الصورة الفنية في شعر أبي العلاء المعري ، رسالة دكتوراة ، علي اللافي جولق ، 2006 - 2007 م - ص 7-8 .
[3] المصدر نفسه ، ص 8 .
[1] شروح سقط الزند ، طه حسين ، تح : مصطفى السقا وآخرون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ط 3 ، 1986 م ، ص4.
[2] الصورة الفنية في شعر أبي العلاء ، مرجع سابق ، ص8 .
[3] ينظر :مقدمة اللزوميات ، أبو العلاء المعري ، المطبعة الجمالية ، القاهرة ،1951 م ، ص 21 .

من الحروف بالحركات الثلاث والسكون ، والثالثة : لزوم بعض الحركات والحروف مع الروي مما لا توجبه أحكام العروض ، وهذا الديوان وليد عهد العزبة ، ويروي الدكتور طه حسين : " أن المعري لم يكن يتفرغ لهذا العمل إلاّ آنا الليل وأطراف النهار ، وفي ساعات الأرق وأوقات الخلوة التامة "[4].

– وديوان اللزوميات واسع الانتشار في البلاد العربية ؛ قلّما تخلو منه مكتبة ، وهو من أشهر الدواوين عند أدباء العربيـــــة ، وقد التزم أبو العلاء المعري ما لا يلزمه الناس عادة ، والتزم في لزومياته أن تكون القافية على حرفين ، وأن تشمل أشعاره كل حروف الضاد ، وما يلحقها من الفتح والضم والكسر والسكون ، فقد كان لكل حرف باستثناء الألف أربعة فصـــول فللباء المضمومة فصـــل ، وللمفتوحة فصـــل ، وللمكسورة فصـــل ، وللساكنة فصل ... وهكذا[1] .

فلسفة أبي العلاء المعري :

كـــــان المعري يعيش في قرية عربية خالصة أو شبه خالصة : ماؤهـــــــــــــاوثقافتهـــــــــا

وفكرها وتفكيرها ، يسكن أهلها الخيام ، وفي ضوء ذلك عاش المعري حياة مطمئنة ، لا يشغلها إلاّ ما شغل النفس العامة للمجتمع ، أو النفس الخالصة بلا تمرد ، فكان في شعره قريباً من المجتمع ، يحس إحساسه فوصفه وأنشأ له صورة كأنما يراه ، وتحدث عن أسراره بأروع أسلوب ولا ريب إذ قال:

وإني وإن كنْتُ الأخيرَ زمانُهُلآتٍ بما لا تَسْتَطِعْهُ الأوائل [2].(الطويل)

---

[4] مع أبي العلاء في سجنه ، طه حسين ، مطبعة المعارف ، مصر ، 1939 م ، ص 101 - 105 .
[1] اللزوميات ، مرجع سابق ، ج1 ، ص10 .
[2] سقط الزند ، مرجع سابق ، ص228 ، الأخير زمانه : أي الذي أخّر زمانه .

ثم ذهب إلى بغداد فوجد فيها خليطاً من الأجناس المتباينة ، ووجد مزيجاً من الأخلاق والعادات ، فقد كان لكل مستوياته التي كان يتعامل بها مع غيره من الناس في كل شيء من التلاؤم حيناً ، والفرض حيناً آخر ، رضي بذلك غيره أم لم يرضَ .

وعلى الفرد في المجتمع الجديد أن يأخذ من هنا مرة ، ومن هناك مرة أخرى حسب ما يتلاءم وظرفه الخاص ، حتى أصبح بالتدريج رقيع ثوب يدعو إلى الدهشة إن هو ظهر به في مجتمعه قبل الاختلاط ، وأهم من ذلك وحد التفكير بصوت مرتفع بالندوات والمجالس العلمية الخاصة .

ومن هنا كان لقاح المعري وتلاقح فكره ، أو على الأقل أن بغداد كشفت عن استعداده ، وشجعته بما رآه من حرية رأي وجسارة فكر ، أو بما رآه من تباين يثير التفكير ، وخاصة لشخص كأبي العلاء يمتاز بذكاء مفرط ، وخيال دائم يفرضه عليه العمى .

لم يبتدع المعريُّ مذهباً فلسفياً ولا أحسَبُه قصد ذلك ، ولا نستطيع أيضاً أن نقولَ إنه أخذ مذهباً فلسفياً بعينه أو اعتنق مذهباً دينياً ، وإنما كان يُعْجبه الرأي في مذهبٍ ما فيَستحسِنُه ويَحُكّ به الآراء التي تُخالفه في المذاهب الأخرى من غير أن يعملَ به أو أن يدعو إليه[1] .

يقول أبو العلاء في الشك :

إِنَّما نَحْنُ في ضَلاَلٍ وتَعْلِيلٍفإِنْ كُنْتَ ذا يَقِينٍ فهَاتِهْ

وَلِحُبِّ الصَّحيحِ آثَرَتِ الرُّومُانْتِسَابَ الفَتَى إلى أُمَّهاتِهْ

[1] دراسات في الأدب والعلم والفلسفة ـ حكيم المعرة ، أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري ، تأليف عمر فروخ ، دار لبنان للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ط2 ، 1886م ، ص65 .

جَهِلُـــــــوا مَنْ أَبُوهُ إلاَّ ظُنُونـــــــــــــــاً وطَلا الوحشِ لاحقٌبمَهَاتِهْ [2].(الخفيف)

فأنت ترى أنه على اعترافه بالشك قد أثبت اليقين ، فلم يرتب في صحة انتساب الفتى إلى أمه ، وإذاً فالحكم عنده مستيقن ومشكوك فيه ، ويقول أيضاً :

ولقد حَفَرْتُ عن اليقين بِخاطر ما كاد يبلغُ حَفْرُهُالإنْبَاطَا[3].(الكامل)

فهذا البيت يثبت أنه قد يصغر عن إدراك اليقين في بعض المسائل لقصور عقله ، أو لقيام الموانع بينه وبين ما يريده .

وأرى أن فلسفة المعري تنحصر في تعريف واحد " من الشك إلى اليقين " فقد اتخذ طريق الشك للوصول إلى اليقين ، ولكنه انحصر في دائرة الشك . وبقى فيها

ولم يتمكن من الخروج ، فقد منعته الكوارث التي أصيب بها . ولكن في قرارة نفسه كان اليقين مسيطراً عليه . مما زاد في تهجم الناس عليه ووصفهم إياه بالزندقة والإلحاد ، والحقيقة أن المعري كان مؤمناً يقوم بواجباته الدينية ويعظم أمر أنباء النبي ويمدحهم ، ولا يمكن أن يكون ذلك تملقاً وزلفى ؛ لأنهم لم يكونوا على شيء من السلطان الدنيوي [1].

وجه سؤالاً للدكتور طه حسين عن المعري هل كان فيلسوفاً ؟ فقال :" نعم بمعنى الكلمة ، بعد أن أوضح كلمة فيلسوف كانت تعني عند اليونانيين العلم بالطبيعة ، وما وراء الطبيعة ، والأخلاق والمجتمع ، وتعني بتطبيق ذلك معاً . فمن علم ولم يعلم كان عالماً بالفلسفة ، أو عالماً بالفضيلة وللمعري عدة آراء

---

[2] اللزوميات ، ج1 ، ص220 ، طلا الوحش : صغيره ، المهاة : البقر .
[3]المصدر نفسه ، ج2 ، ص13 ، الخاطر : القلب والنفس ، الإنباط : استخراج ماء البئر .
[1]ينظر : أبو العلاء المعري ، شرح ديوان سقط الزند ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ـ لبنان ،1987 م ، ص 7 .

فلسفية لمس فيها بعض العادات ، والتقاليد ، والأخلاق ، والسياسة ، والتربية ، أو قل المجتمع في كلمة واحدة ، ولمس فيها الدين ، والطبيعة ، وما وراء الطبيعة ، الطبيعة في المفهوم الفلسفي إلى غير ذلك ، يهمنا أو يخصنا في هذه الدراسة منها الآثار العلمية على حياة المعري بما أثارته ، أو أثاره بعضها على وجه التحديد من جدل وخصومة وعداء " من مثل قوله : " من البسيط " .

ولا تُطيعَنَّ قَوْماً ما دِيَانَتُهُمإلاّ احْتيالٌ على أَخْذِ الإتَاوَاتِ

إنَّ حمّلَ التـــــــــــــــــوراة قارئـــــــــــــــهاكسبُ الفَوَائدِ ، لا حُبُّ التِلاواتِ

إنَّ الشَّرائِعَ أَلْقَتْ بَيْنَنا إِحَناً ،وأَوْدَعَـــــــــــتْنا أَفَـــــــــانِينَ العَـــــــــــــداوَات [2] .

أما عن مصادر فلسفته فلا ريب في أنه استقى فلسفته من مصادر متعددة ، يلوح في شعره منها آثار ظاهرة ، وهي الفلسفة اليونانية ، والهندية ، والفارسية ، وكتب الأديان ، والعقائد و الأخبار وأن من أعظم مصادر فلسفته ، حياته ، وما كان يكتنفها من أحواله وأحوال بيئته وعصره[1].

فقد أشار إلى سقراط ، وبقراط ، بقوله :

ومَا دَفَعَتْ حُكَمَاءُ الرِّجَال حَتْفـــــــــاً بِحِكْمَةِ بُقْراطِهَـــــــــا

[2] اللزوميات ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 206 .
[1]ينظر :الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره ، محمد سليم الجندي ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 1251 - 1255 .

وَلَكِنْ يَجِيكَ قَضَاءٌ يُرِيـــــــكَ أخا عَيِّها مِثْلَسُقْراطِهَا[2] .(المتقارب)

وإلى جالينوس بقوله :

أينَ بُقْراطُ والمُقَلَّدُ جَالينوسُ هَيْهَاتِ أنْ يعيشَ طَبيبُ [3].(الخفيف)

وأشار إلى شيء من مذاهب الحكماء ومزاعمهم في مثل قوله :

زَعَمَ الفَلاسِفَةُ الذِينَ تَنَطَّسُوا أَنَّ المنِيَّةَ كَسْرُهَا لا يُجْبَرُ [4].(الكامل)

وقد استطاع أن يخضع الفلسفة والعلم للشعر ؛ وقد يأتي بالنظرية ويقيم الدليل عليها تصريحاً أو تلميحاً ، كما يتمثل ذلك في قوله من مجزؤ البسيط:

قُلْتُمْ : لَنَا خَالقٌ حكيمٌقُلْنَا : صَدَقْتُمْ كذا نَقُولُ[5] .

وقوله :

لَمْ يَسْقِكُمْ رَبُّكُمْ عن حُسْنِ فِعْلِكُمُوَلاَ حَمَاكُمْ غَماماً سُوءُ أَعْمالِ

دَلِيـــــــلُ ذلِكَ أنّ الحُـــــــرَّ أعْـــــــوَزَهُ قـــــــوْتٌ وأنَّ سِـــــــواهُ فَـــــــازَ بالمَالِ [1] .(البسيط)

-آثاره الأدبية :

---

[2] اللزوميات ، مرجع سابق ، ج2 ، ص18 ، الحكمة : االعلم والثقة والفلسفة ، بقراط : أشهر طبيب يوناني ، سقراط : فيلسوف يوناني كبير وهو أستاذ أفلاطون .

[3] المصدر نفسه ، ج1 ، ص101 ، جالينوس : طبيب يوناني .

[4] المصدر نفسه ، ج1 ، ص418 ، تنطسوا : دققوا في النظر في الأمور .

[5] المصدر نفسه ، ج2 ، ص174 .

[1] اللزوميات ، ج2 ، ص253 ، حماكم : منعكم .

لا أدري بالتحديد عدد كتب المعري ، ولكن هذا ما توصلت إليه من مؤلفاته ، يلاحظ على المعري عنايته الشديدة بآثاره ، فهو يجمعها ويفسرها ، ويغلب عليه شرحها وتفسيرها ، وكأنه كان يخشى على آثاره من أن يلحقها التأويل ، فضلاً عن أن تلامذته كانوا يقرأون عليه مؤلفاته .

فقد رُوي عنه قوله : " لزمت مسكني منذ سنة أربع مئة ، واجتهدت أن أتوفر على تسبيح الله و تحميده ، حتى لا اضطر إلى غير ذلك . فأمليت أشياء ، تولى عني نسخها الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي هاشم ــ أحسن الله معونته ــ فألزمني بذلك حقوقاً جمّةً ، وأيادي بيضاء ؛ لأنه أفنى فِيَّ زمنه ، ولم يأخذ عمّا صنع ثمنه ، والله يُحسن له الجزاء ، ويكيفه حوادث الزمن والأرزاء [2].

وللمعري من الشعر ثلاثة دواوين هي : " سقط الزند ، والمشهور أنه يشتمل على شعر أيام الشباب ، والدرعيات ، وهو ديوان صغير يشتمل على أشعار وصفت فيها الدِّرع خاصة ، وقد طبع ملحقاً بسقط الزند ، واللزوميات ، وهي أكبر الدواوين الثلاثة فمثلت حياة عقله ، ووجدانه ، وخلقه ، أحسن تمثيل "[3] .

وله من الكتب : " الأيك والغصون ، تاج الحَّرة ،عبث الوليد ، رسالة الملائكة ، شرح ديوان المتنبي ،رسالة الغفران ،ملقى السبيل ،خطبة الفصيح ،الرسائل الإغريقية ،الرسالة المنجية ،الفصول والغايات ،واللامع العزيزي"[1].

و"زجر النابح – استغفر واستغفري – نجر الزجر _ السجع السلطاني"[2] ، و" ذكرى حبيب "[3]، و" رسالة الطير "[4] ، و رسالة الهناء – رسالة الصاهل

---

[2]ينظر : الصاهل والشاحج ، مرجع سابق ، ص15 ، الأرزاء : المصائب جمع رزء .
[3]من تاريخ الأدب العربي ، طه حسين ، العصر العباسي الثاني (دار العلم للملايين ، بيروت ـ لبنان ، 1974م) ص 530 - 531 .
[1]الأعلام ، لزركلي ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 157 .
[2]تعريف القدماء بأبي العلاء ، مرجع سابق ، ص 154 .
[3]المصدر نفسه ، ص 183 .

والشاحج– معجز أحمد ، وكان رحمه الله نابغة في العلم واللغة ، فقد أحاط باللغة العربية إحاطة تامة ، وطوّع ألفاظها في شعره ونثره ، وأبدع فيها كأحسن ما يكون ، كما لم يجمع لأحد جاء فيه أو بعده مثل ما اجتمع له من إتقان العلم [5].

فحكيم المعرة ما كان شخصاً عادياً ، بل كان من عظماء الرجال . ويكفيه سمو مكانته ما جعل ثمانين شاعراً يقفون على قبره يرثونه ، ومنهم الأمير الحسن بن عبد الله بن الحصينة الذي يقول في مطلع قصيدته :

العِلْمُ بعد أبي العلاءِ مُضَيَّعُ والأرضُ خاليةُ الجوانبِ بَلْقَـــــــــــــــــــــــــــــــعُ

أودى وقد ملأ البلاد غرائباً تسري كما يســــــــري النجـــــــــــــــوم الطلــع

ماكنت أعلم وهو يودعُ في الثّرى أن الثـــــرى فيـــــه الكـــــــواكب تـــــــــــــــودعُ

وعجبت أن تسع المعرةُ قبره ويضيق بطـــــــــنُ الأرض عنه الأوسع

رفض الحياة ومات قبل مماته متطوعـــاً

بأبرَّهـــــــــــــــــــــــــــــــا

يتطـــــــــــــــــــــــــــــــوعُ[6].(الكامل)

---

[4]المصدر نفسه ، ص 189 .

[5]ينظر : أبو العلاء المعري حياته وشعره ، سمير الصارم ، (دمشق ، مكتبة كرم ، د .ت) ص 3 .

[6]ينظر : رجعة أبي العلاء ، عباس محمود العقاد ، (القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية) ، ط 2 ، ص 3 - 4 .

المبحث الثاني

التجربة لغةً واصطلاحاً :

التجربة الأدبية ومفهومها بصورة عامة :

القصيدة مركب لغوي خاص تعيش أطوارها الأولى في نفس الشاعر ثم تتفاعل هذه النفس بما يعتمل فيها ، فتتبلور على لسانه بالشكل الذي نعرفه ونسميه شعراً حاملاً عواطفه وهمومه وتطلعاته ، تتشكل هذه الجوانب المهمة في القصيدة وتطلعاته الشعرية من خلال تفاعله مع ما يمر به هو ، أو ما يمر أمامه من أحداث وما يشاهد ويسمع من قضايا ، أو ما يمكن أن يتمثله ويتصوره من مواقف ، تشكل هذه الدائرة الحيوية المتحركة إما أن تكون ذاتية خاصة بالشاعر نفسه لم تخرج عن دائرته ، أو خارجية موضوعية تتعلق بما هو خارج دائرته الشخصية ، فالإنسان في حياته الأولى عاش بصورةٍ ذاتيةٍ يتعامل فيها مع الحياة وفق مطلوباته الأولية وهذه المطلوبات تنحصر في إشباع حاجاته الغريزية ولكن مع تقادُم العهد وتطور الإنسان اكتشف الإنســـان حاجاتـــه للتعامـــل مع الآخرين ، وبهذا سجلت حياته إرتقاءً جديداً وفي ظلَّ هذا التعبير بدأت تتشكل نفسيته في إطارها الاجتماعي الذي يفرض أنماطاً قد تَسْهُلُ الاستجابة لها وقد تصْعُبُ ، وبذلك تشكلت نفسية الإنسان المتطورة والمتأثرة بكل ما يحيـــط بها ، نلاحظ أنها تكونت وتأثرت بعوامل عدة غير أننا لا نستطيع حصر هذه العوامل المؤثرة والمكونة لنفسية الإنسان ؛ ذلك لأن بعض هذه العوامل عضوي تدخل فيه العوامل الوراثية وبعضها عوامل بيئية ومناخية .

ولا يقتصر موضوع التجربة الشعرية على لون ما من ألوان الحياة دون الألوان الأخرى ، ولا على صنف من البشر دون الآخر ، ولا يحده موقف بحيث

يحجزه وتسد عنه المواقف الثانية ، فكل أنماط البشرية وحوادثها وقضاياها ، وكل منظر إنساني أو طبيعي يسترعى انتباه الشاعر ويشد إليه ، يصل كل ذلك لأن يكون موضوعاً تنبت عليه التجربة الشعرية .

ويصح إذن أن نقول بأن موضوع التجربة يتسم بالخصوصية والعموم ، وإذا كان الشعراء العرب في تراثنا الأدبي تصوروا أن موضوع التجربة ينبغي أن يكون مثالياً ينتقى من بين عدة أشياء ولا يلتفت إلى سواه كالمدح والفخر ، والحماسة والغزل ، فإن هذا التصور قد فرضته طبيعة الحياة العربية آنذاك ، وإن كان قليل من الشعراء قاموا بتجاوز تلك الحدود المثالية المرسومة لموضوع القصيدة من حيث كونها تجربة ، ونجحوا في ذلك إلى حدّ ما كابن الرومي وأبي العلاء المعري وأبي الطيب المتنبي ، إلا أن خروج مثل هؤلاء الشعراء لا يشكل نظرية أدبية يمكن أن نتخذها قاعدة حول موضوع التجربة الشعرية .

وعلى ذلك فإن للتجربة دوراً مهماً في وعي الإنسان ، وتشكيل نفسيته ؛ هذا الإنسان ببعده الاجتماعي صار مفروضاً عليه أنْ يخــوض تجــربة خطــاب الآخر ،فكان لكل مرحلة من مراحل تقدم الإنسان ونضجه أسلوب ، وكل مرحلة تمر بالإنسان فإنها تترك في وعيه رصيداً ما ، وبطريقة خاصة حتى كانت مرحلة التعبير عن الوجدان ، هي مرحلة وصلها الإنسان بعد مشقة ، وخبرات وتجارب كثيرة هذه المرحلة هي التي تم التعبير فيها عن المواقف النفسية ، وكان هذا التعبير يترقى مع النضج الإنساني حتى وصل مرحلة الكتابة الوجدانية ، وخلاصة القول : إن التجربة النفسية خرجت في صورة هذا الخطاب ، وهذه الصورة الخطابية الوجدانية هي التي اصطُلِحَ على تسميتها بالعمل الأدبي ومِنْ ثَمَّ فإن العمل الأدبي هو " الخبرة النفسية والتجربة الشعرية في إطار مُعَيّن " وهذا الإطار

المعين هو الذي يصور النمو والنضج ؛ ولذلك نلاحظ أن مفهوم الأدب أخذ صوراً عدةً في رحلته مع الحياة .

التجربة لغةً : -

تناولت المعجمات اللغوية بجذورها الاشتقاقية مادة (جرب) فذكرت طائفة من المعاني ،كجّرَبَهُتَجْرِبَةً :اخْتَبَرَهُ .ورَجُلُ مُجَرَّبٌ ،كَمُعظَّم :بُلِيَ ما (كان) عِنْدَهُ .ومُجَرِّبٌ :عَرَفَ الأُمورَ . ودَراهِمُ مُجَرَّبَةٌ: مَوْزونَةً [1].

وتأتي التجربة ــ أيضاً ــ بمعنى مدى صلاحية الشيء ،هذا كما ذكر في المنجد، تَجْرِبَة –ج تجارب (جرب) : الاختبار ، والامتحان "إجراء اختبار على شيء ما (كآلة أو سواها) لمعرفة مدى صلاحيته للعمل المِحْنة والشدّة[2]. وذكرــ أيضاً ــ في معجم لغة الفقهاء معنى كلمة تجربة :من جرب الشيء إذا اختبره مرة بعد أخرىاختبار الشيء لمعرفة صلاحيته[3].

التجربة اصطلاحاً:

كثيراً ما نقع أسرى الفهم الضيق لكلمة " التجربة " التي هي بدورها " مصطلح نقدي حديث لم يَجْرِ على ألسنة نقادنا القدماء ، فتتصور أن مدلولها هو التجربة العاطفية الشخصية وحدها ، مع أن التجربة بالمعني الفني والفلسفي قد تعني كل فكرة عقلية أثرت في رؤية الإنسان للكون والكائنات "[4] .

---

[1]ينظر : القاموس المحيط،مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي ،دار الكتب العلمية ،بيروت- لبنان ، ط 4 ، 1971 م ،ص95 ، مادة (جرب).

[2]ينظر : المنجد الإعدادي ،معاجم دار المشرق ش م م ، بيروت ، ط5 ، 1986 ،ص120 .

[3]ينظر :معجم لغة الفقهاء –عربي –انكليزي-افرنسي–مع كشاف انكليزي-عربي –افرنسي-بالمصطلحات الواردة في المعجم ،وضعه :أ .د .محمد رواسي قلعه جي .طبعه لغوياً.دار النفائس.ط1 ،1996 ،ص100.

[4]ينظر : ديوان صلاح عبد الصبور ،صلاح عبد الصبور ،دار العودة ، بيروت،ج3 ،ط2 ،1977م ،ص59.

ويحدثنا مجدي وهبه عن التَّجْرِبة EXPERIENCE: " المعرفة أو المهارة أو الخبرة التي يستخلصها الإنسان من مشاركته في أحداث الحياة أو ملاحظته لها ملاحظة مباشرة.وكان الشاعر الإنجليزي تشوسرGeoffrey Chaucerيميز بين مصدرين للأديب هما : التجربة بالمعنى المشار إليه هنا ،والحقائق التي يستفيدهاالإنسان من الكتب القديمة auctorite التي تعتبر كنزاً للذكريات البشرية والحِكَم التي استخلصها البشر خلال العصور المختلفة . فعلى الأديب في نظره أن يجمع في أدبه بين الاثنتين.وهي غير التجربة التي تعني التدخل في مَجْرَى الظواهر للكشف عن فرض من الفروض أو للتحقيق من صحته (Experimentبالإنجليزية Experienceبالفرنسية) " [1] .

ويحدثنا محمد عصفور عن التجربة فيقول " مما يدعو إلى التأمل أن هذه الكلمة يصعب الإهتداء إلى مثيل لها في اللغات الأخرى وأنها كلمة وضعت في أوائل القرن التاسع عشر،وبقدر ماأعلم فإن "هنسغيورغغادامر" هو أول من حاول تتبع تاريخ الكلمة وذلك في كتابه "الحقيقة والطريقة"سنة 1960م "[2] .

ويستنتج (رينيه ويليك) أن هذه الكلمة جديدة فيقول " وتتبين جدة الكلمة أيضاً من حقيقة اعتبار(هيغل) لكلمة ERLEBNISمؤنثة في قوله هذه تجربتي كاملة " [3].

ويستمر في تناول تاريخ الكلمة ويتناول الكُتّاب الذين تعرضوا لهذه الكلمة واستعملوها إلى أنْ يصل إلى تقسيم التجربة وتصنيفها فيقول " وتصبح كلمة ERLEBNIS في كتاب"ارما تنغر" العمل الفني الشعري 1942م هي الاصطلاح

---

[1] معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ،مجدي وهبه ،كامل المهندس –مكتبة لبنان- ساحة رياض الصلح –بيروت ،1979م ص51

[2] مفاهيم نقدية ـ رينية ويليك ، د . محمد عصفور ، د.ط ، دار الرسالة الكويت ، 1978م ، ص396 .

[3] المصدر نفسه ، ص396 .

الأهم الذي يقسم من ثم إلى التجربة الفكرية ثم التجربة المادية ثم التجربة الشكلية أي أنَّ كُلَّ شيء في الشعر هو ERLEBNIS " [4] .

وقد التفت النقد الأدبي عند العرب أخيراً إلى استخدام مصطلح التجربة وجعله أساساً نقدياً للعمل الأدبي ، فهذا الدكتور شوقي ضيف يقول " فكل قصيدة ينبغي أن تكون تجربةًإنسانية متميزةً تصلنا بحقائق المجتمع وحقائق الوجود " [1] .

فبعض التجربة الشعرية تستمد من الحياة وبعضها من الثقافة و كان من الطبيعي أن يوجّه الشاعر ليستمد معانيه من التجربة الحسيّة ، بحيث ترتسم صور المحسوسات في خياله ، ثم يستطيع خياله أن يقيم ضروب العلاقات بينها ؛ غير أنه في مقدور الشاعر أن يؤيد التجربة المستمدة من عالم الطبيعة بقوة التخيل والملاحظة والتجربة المستمدة عن طريق الثقافة ، كدراسة ماجرى من قبل في تجارب غيره من الشعراء والأدباء أو ما أورده المؤرخون والقصّاص ،أو ما تبلور من التجربة الشعرية في صورة أمثال ، والإفادة منه زائداً على التجربة الطبيعية ، وشاعريته هي التي تستطيع أن تهديه إلى كيفية التصرّف بهذا الزائد الثقافي في شعره[2] .

وهذا ما ذكره العشماوي في كتابه قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث أنّ الصدق فنياً في العمل الأدبي لايتم إلاَّ بمقدار التقاء التجربة في العمل الأدبي مع الواقع أو إمكانية التقائها معه فيقول " فإن الصدق في الحقيقة الفنية مردُّه إلى مدى ما يكون من تواؤم واستجابة بين التجربة التي تتضمنها قطعةٌ من الأدب وبين ما يحدث أو يقع للإنسان من تجارب واقعة بالفعل او ممكنة الوقوع " [3].

---

[4]المصدر نفسه ، ص399 .

[1]في النقد الأدبي ، د . شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، 1962م ، ص190 .

[2]ينظر : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، نقد الشعر من القرن الثاني حتي القرن الثامن الهجري ، تأليف د.احسان عبّاس ،دار الثقافة بيروت – لبنان ط5 ،1986،ص553 -554.

[3]قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ،د.محمد زكي العشماوي ،دار النهضة العربية ـ بيروت ،1984م ، ص15.

ويحدثنا جبور عبدالنور أنَّ التجربة : exepeiencesf

- مَعْرفة الأشياء الناتجة عن الإحساس بها .
- (منطقيّا) : ملاحظة حادث صُنْعيّ للتَّأكد من صِحّة افتراض .
- مَعْرفة متأتّية عن معاناة واخْتيار ، وهي تزيد النَّفس غنىً، وتكْسب أمامها آفاقاً جديدة في فَهْم كُنْه الحياة . وهي أنواع ، منها التجربة العلمية ، والتجربة الأخلاقية .
- (فنيّاً) : مجموع الإحساسات والمشاعر والأفكار التي تتراكم في نفس الفنّان ، أو الشاعر ، أو الأديب ، وتكون مُحَصَّلا لاحْتكاكه بمُجتمعه ، وطرائق اتّصاله به ، والتفاعل بينهما .

وهذه التجربة تكون عُنْصرا أساسّياً في شخصيته الفنيّة التي تبرز في آثاره . ولئِن نادى الكلاسيكيون بإسْكات الذَّات في التعبير فإن مدارس كثيرة أكدت على أنّ لا قيمة للصَّنيع إلاّبمقدار ما يتجلّى فيه من موحيات التجربة الشخصية ، وعبّروا عادة عن هذه اللفظة بكلمة معاناة [1] .

وأخيراً بعد هذه اللقطات السريعة لِمَا عرضه بعض نقادنا المعاصرين وقبلهم المستشرقين نتبين اهتمام نقادنا بموضوع التجربة ونحاول أن نعرض الآن نموذجاً لتعريف التجربة عند واحدٍ من نقادنا المعاصرين .

تعريف التجربة :

يعرف الدكتور / محمد غنيمي هلال التجربة فيقول : إنها هي " الصورةُ الكاملةُ النفسية أو الكونيةُ التي يصورّها الشاعرُ حين يفكر في أمر من الأمور

[1] ينظر : المعجم الأدبي ، تأليف جبور عبدالنور ، دار العلم للملايين ، بيروت ط2 ، 1984م ، ص58 -59 .

تفكيراً ينمُّ عن عميق شعوره وإحساسه ، ومنها يرجع الشاعر إلى اقتناع ذاتي وإخلاص فني " [2] .

هذه التجربة التي يعبر الشاعر فيها عن إحساسه ومشاعره علينا أن نبحث عن عناصرها ، ومكوناتها ،وعلينا أنْ نثبت أنَّها ليست ألفاظاً طنانة [1]تعبر عن فراغ ويعبر عنها الأديب بأحاسيس غير ناضجه وغير مختلفة ،وليست واضحةً.

قد نسير مع الأديب في مسألة عدم الوضوح ،على أنْ تكونَ هذه قبل حالةِ الميلاد ، فالأديب يبدأ الموضوعُ في وجدانه صورةً باهتةً فما تَنْفَكُ نفسهُ تعانى، ونبعُهُ يفور حى تظهر النتيجة ويتم الميلاد يمثل نضج التجربة ويشبه الدكتور /شوقي ضيف المعاناة التي تتولَّدُ منها التجربة بأنها " كمن يصعد إلى قمة جبل شامخ،فهو لا يجرى مسرعاً نحو غايته ، بل يسير بطيئاً ويرتاح قليلاً من حينٍ إلى حين حتى يأخذ الفرصة كاملةً كي يقطعَ الطريقَ الصاعد الطويل ، ولو أنه أسرع لأخذَهُ التعبُ دون غايته ،وعاد مجهداً مكدوداً دون أنْ يظفر ببغيته فالتجربة التامةُ صعودٌ إلى قمةٍ بعيدةٍ" [2] .

ولابد قبل أن نصل إلى القمة أن تظل مشاعرُ كثيرة غير واضحةٍ وغير محددةٍ وإذا لم نَصلْ فإننا لن نستطيع التحديد ثم إنَّ الصاعد من هذه القمة يظلُّ تناولهُ متوقفاً على امتلاكه لقدرات معينةٍ وملكات خاصة وهي تكون سبباً في إظهار التجربة ،وعلينا أنْ نعرف أنَّ كلّ نفسٍ لها خبراتها ، ولها ملكاتُها " ولاتصبح ملكاً له إلاّ بَعْدَ أن تمتزج بخبرته الشخصية وتَنْصَهِرَ معها فى كلٍّ موحدٍ لابدَّ أن تمر الخبرات من خلال منشور عقله فتعكس في نفسه بزاويةِ انكسار

---

[2]النقد الأدبي الحديث / د. محمد غنيمي هلال / ط دار الثقافة ، دار العودة ، 1973م ، ص383 .

[1]طنَّانَة-[طنّ]:مؤنث الطنَّان .ومنه يقال "تلك قصيدة طنَّانَة" أي ذات شهرة في كلّ محلّ .-المنجد الإعدادي ، مرجع سابق ،ص386.

[2]النقد الأدبي ، د.شوقي ضيف ،مرجع سابق ،ص138.

تحددها طبيعةُ ذلك المنشور فإذا ما انتج عملاً فنياً صدر في ذلك من تجربته الخاصة "[3] .

وحسبنا أن نورد هنا شواهد من بعض التجارب الصادقة في الشعر ، وما أكثرها في القديم والحديث ، فمن التجارب ذات الطابع الفكري ، وذات الدلالة الاجتماعية العميقة ، قول الأستاذ العقاد :

صغير يطلب الكبـــــــــــــــــــــــــــــراوشيخ ود لو صغرا

وخال يشتهي عمـــــــــــــــــــــــــــلا و ذو عمل به ضجرا

ورب المـــــــــــال في تـــــــــــعب وفي تعب من افتقـــــــــــــــــــرا

فهل حاورا على الأقدار، أم هي حيـــــــــــــروا القـــــــــــــدرا ؟

شـــــــكاة ما لـــــــــها حـــــــــــــــــــــــــــــــــكم سوى الخصمين إن حضرا [1].

والشعر في هذه التجربة لا يستوعب نواحيها ؛ لأن الشاعر وضح حقيقة خالدة دل عليها دلالة خاطفة بصور متقابلة ، ثم ركز حكمه تركيزاً عليها . فالثوب الشعري فيها يقتصر عن عمق التجربة ، وأن كان يوحي بها إيحاء قوياً أصلاً [2].

وقبل أن نختم الحديث عن التجربة يجب أن نتحدث عن مكوناتها ،وعناصرها ، وعلينا أن نتذكر أننا قلنا في تعريف التجربة أنها " الصورة الكاملة

---

[3]التفسير النفسي للأدب د.عز الدين إسماعيل ،ط/دار العودة – بيروت ، ط4 ،1988،ص24 .

[1]ينظر : مختارات من شعر العقاد ، اختيار وتقديم فاروق شوشة ، 1996م ، ديوان الصخر والنهر ، ص91 .

[2] النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، مرجع سابق ، ص391 -392 .

النفسية " ولكنْ هل الصورةُ النفسية الكاملة والأحاسيس والمشاعر كافية ؟.. إنها ليست بكافيةٍ وحدها ، وليس بها وحدها تنضج التجربة ولكن ثمة"العقل إلى جانبها "،هذا العقل هو الذي يُنَظِّمُها ، ويُهَذّبُها ، ويخلق لها مجرى تسير فيه ، ولكن موضوع العقل ينبغي أن يؤخذ بِقَدَرِه، وأن يُحْتَاطَ في التعامُل معه حتى لا يسيطر سيطرةً تامةً على العمل فيشل حركة المبدع ،فالعقل –إذاً– دوره منظمٌ وضابطٌ يصقلُ تلك المشاعر ،ويساعد على توزيع الألوان والصور.

وإلى جانب المشاعر والأحاسيس فثمة شيء ثالث ألا وهو "الصدق"ولكن لاينبغي أن يُفْهَمُ الصدقُ على أنه ضرورةُ أن يعيش الشاعر التجربة الشعرية بنفسه، وأن يكون ضحيةً فيها ،فكثير من الآداب العالمية أبطالها صنعهم أدباءُ يعيشون حياتهم في ظاهرها مثل بقية الناس ولكنهم حلقوا في عالمهم الخاص، ومن أدبنا العربي نأخذ مثلاً "معروف الرصافي" ، فيقول محمد غنيمي في كتابه النقد الأدبي : " فليس ضرورياً أنْ يكون الشاعر قد عانى التجربة بنفسه حتى يصفها، بل يكفى أن تكون قد لاحظها ،وعرف بفكره عناصرها وآمن بها ،ودبت في نفسه حُمّياها ،ولابد أن تعينه دقةُ الملاحظة ،وقوة الذاكرة ،وسعة الخيال ،وعمق التفكير حتى يخلق هذه التجربة " [1] .

وعلى هذا فإننا نصل إلى أن التجربة تتكون من ثلاثة عناصر هي المشاعر ، والعقل ، والصدق ، لكن هذه التجربة بعناصرها الثلاثة لا يمكن أن تظهر في العمل الأدبي إلاّ إذا توافرت فيها شروط محدودة .وهذه الشروط هي :

1 ـــــــ أن يكون للتجربة موضوع محدد تأخذ منه اسمها ، ولا ينظر لأهمية الموضوع وعدم أهميته ، ولكن المهم أن يكونَ التناولُ فيه الإثارة والمتعة ، وأن يكون تناولاً كاملاً .

[1] النقد الأدبي الحديث ،د.محمد غنيمي هلال ، مرجع سابق ، ص385.

2 ـــــ أن يكون هذا التناول دالاً على وضوح التجربة في نفس الأديب .

3 ـــــــ أن يكون كلُّ جزءٍ من أجزاء التجربة قائداً إلى الجزء الذي يليه لكي لا يكون ثمة تقطيع في المجرى المندفع في النبع المتدفق والذاهب إلى المصب المحدد .

4 ــ أن يغاير كلُ جزءٍ صَاحبَه ، ولكن لا المغايرة التي تجعله نابياً .

5 ــ أن يكون بين هذه الأجزاء وحدة تعمل فيها النفس ، ويعمل فيها العقل وتعمل فيها خبرةُ الشاعر بوسائله اللغوية ، وصوره الخيالية ، وإيقاعاته الموسيقية ــ الداخلية والخارجية .

وإذا كُنَّا قَدْ وقفنا على عناصر التجربة وعلى الشروط التي ينبغي توفرها لكي تتحقق في العمل الأدبي ، فإنه من المفيد أن نتكلم عن أقسام التجربة وهي أقسام عرضها الدكتور عدنان قاسم حين قال بإنه يمكن تقسيم التجارب الشعورية أقساماً عديدة بحسب تنوع أنماطها ، ولكننا نكتفي بأكثرها بروزاً وعمومية :

أولاً ـ " التجربة المَحْدُودة : وهي وَمْضَة حَدَيثَّة ، كأن يكون حديثاً مفاجئاً سارّاً أم مُفْجِعاً ، فاقعاً كان أم باهِتاً ، كفقد عزيز ، ليلة مقمرة ، حديقة غَنّاء ، مزهرة ، خاطرة عابرة أو هدف متخيل ... "[1].

ثانياً ـ " التجارب العرضية : وهي مجموعة تجارب محدودة تصبَّ في مجرى حَدَثٍ كبير ومُتَّسع ، كاغتصاب وطن ، وهذا ما حدث مع معظم الشعراء الفلسطينيين الذين صدروا عن تجربة احتلال الأرض ، وضياع فلسطين " [2] .

---

[1] التصوير الشعري ، التجربة الشعورية وأدوات رسم الصورة الشعرية ، د . عدنان قاسم ، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان ، الجماهيرية ، ط1 ، 1980م ، ص13 .

[2] المصدر نفسه ، ص16 .

فالتجربة الشعرية لدى حكيم المعرّة تدفعه في أحيان كثيرة إلى أن يستنبطن معاني داخلية ذاتية ويستكشف صوراً خاصة به ، يعبر عن أحاسيسه ومشاعره ، فكلّ ما يأتي به المعرّي من أشكال تعبيرية ليس سوى انعكاس لعالمه الباطني ، ووفقاً لحالته النفسية التي ينعشها الألم وتتقاذفها المحن والمصائب من هنا وهناك . هذا ما تيسر لنا في جانب التجربة ومفهومها بصورة عامة .

المبحث الثالث

البيئة وتأثيرها في بعث التجربة الشعرية :

مما لا ريب فيه أننا لا نستطيع فصل الشاعر عن الجو الذي ينشأ فيه . ولو قابلناه من هذه الناحية برجل العلم لوجدنا بينهما فرقاً بيناً . فالعلم الذي ينصرف إلى منحى من مناحى بيئته المعنوية أو المادية فيقوم بدرسه ويحدُّ في التوصل إلى أبعد غاياته فإذا بسط لنا الحقائق أو المعلومات التي توصل إليها لم نجد فيها ما يدل على أنه تأثر بها تأثراً يحرك جهازه العصبي ويحدث فيه اتجاهات عاطفية . وأي علاقة مثلاً بين أحكام النور والكهرباء ، أو قواعد الصرف والإعراب ، وبين شخصية الباحث فيها وحالات نفسه . تلك أحكام وقواعد لا تقوم على التأثر النفسي ، بل على حقـــائق راهنة قد يتوصل إليها كل باحث ، وليس فيها ما يمـــيز شخصـــية من شخصـــية ، أما الشعر فحركة نفسية يثيرها ما يحيط بالشاعر من أحوال حوادث . ولابد لنا لفهمه من أن ندرس البيئة التي تتصل مباشرة بتلك الأحوال والحوادث ، وبعد هذا التقديم سنوضح ما توصلنا إليه من درس الأحوال العامة التي يظهر أثرها في نفس المعرّي وأدبه :

1ـــ بيئته العائلية والتربوية :

لم يولد المعرّي من أسرة وضيعة شأن باقي الأُسر. بل كان آله- بنو سليمان – بيت علم وفضـــل ورئاسة . ويرجـــع نسبه إلى بني الســـاطع وهم فـــرع من تنـــوخ [1] ، وكانوا يعرفون بالشرف والرئاسة والشجاعة . أكثر بيوت المعرة منهم كبني سليمان ، وبني حصين ، وبني عمرو ، وبني المهذب ،

[1] تنوخ : هم من عرب الجنوب الذين هاجروا إلى الشام بعد انفجار سد مأرب باليمن في أواسط القرن السادس للميلاد .

وبني زريق ، وبني جهير . وأكثر قضاة المعرة وعلمائها من بني سليمان [1]، وكان بيت شاعرنا في المعرة بيت وجاهةٍ وثَراءٍ وعلم وقضاء : تولى جدُّ جده قضاء المعرة ثم قضاء حمْصٍ (290ه=902م) .ثم تولى القضاءَ عمُّه محمد ثم والده عبدُالله (ت بحمص 359ه=نحو 1004م). وكذلك كانت أُمّه من أسرة وجيهة في حلب على الأغلب تُعَرفُ بآلِ سبيكة اشتهر نفرٌ من رجالها بالوجاهة والأدب [2] .

وقد خلف والده ثلاثة بنين ، أبو العلاء أوسطهم . ومعلوم أن أبا العلاء مات غير متزوج . ولم يخلف أخوه الأصغر إلا ولداً وهذا خلف ولداً و به انقطع نسله . أما أخوه الأكبر فبه بسقت شجرة الأسرة ، وفي أولاده وأحفاده اتصل القضاء والجاه سنين طويلة .

وفي هذه الأسرة العريقة ظهر أبو العلاء ، ونشأ في بيت على حظ كبير من الثقافة الدينية ، مما أتاح له أن يتصل بالجو العلمي الذي كانت تتنفسه أسرته منذ وقت مبكر من حياته ، وأن يكون والده هو أستاذه الأول الذي تلقى على يديه العلم ، ويذكر العلماء أنه قرأ على أبيه بالمعرة اللغة والنحو وأتقنهما إتقاناً تاماً . وإلى جانب طـــائفة من العلمـــاء الذين كانوا موجـــودين في بلدتـــه أخذ عنهم كثـــيراً من العلـــوم العربية [3] .

وقد شهد المعري موت والديه وإخوته جميعاً . ويظهر من دراسة أحواله أن أولاد أخيه كانوا يحترمونه ويخدمونه ويأخذون عنه . ولم يصل إلينا أن الشاعر ورث ثروة تذكر ، على أن ذلك لا يعني أنه كان كل حياته مسكيناً فقير

---

[1] ينظر : أبو العلاء المعري حياته وشعره ، كمال مصلح ، المكتبة الحديثة ناشرون ، ص48 .

[2] دراسات في الأدب والعلم والفلسفة ، حكيم المعرّة ، مرجع سابق ، ص23 .

[3] ينظر : في الشعر العباسي نحو منهج جديد ، د. يوسف خلف ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة ، (د. ط) ، (د.ت) . ص162 -163 .

الحال ليس له إلا دخل زهيد يقسمه بينه وبين خادمه . فكما كان آباؤه من أهل الوجاهة كان هو كذلك. وكذلك أولاد أخيه ، نذكر منهم على سبيل المثال أبا مسلم ، الذي ولد قبل موت الشاعر بنحو ثماني عشرة سنة وصار رئيس المعرّة وكبيرها المقدم فيها ، وقد ولى القضاء بعد أبيه وكان مشهوراً بالجود والعلم [1] .

يبدو لنا أن تقشفه لم يكن من فقر فحسبُ ، فإن الدنيا أقبلتْ عليه فيما بعدُ . ذكر الشاعر الفارسي والداعيةُ العلوي ناصر خسرو[2]حينما مرّ بالمعرّة سنة 438ه عن المعري : " أنه رجلٌ ذو نفوذ عظيم في بلدته وذو غنىّ ، ينفق على الفقراء والمُعْوزين مع أنه يعيش عيشة الزهد والتقشف " [3].

وفي رسائله وأشعاره عدة إشارات إلى هبات مالية كان ينفح بها بعض ذوي الحاجة من الأدباء ، كقوله يعتذر لفقيه عن أن الهدية التي أرسلها إليه أقل من قدره ، وكان شاعرنا في الخمسين من عمره :

فياليتني أهديت خمسين حجة مضت لي فيها صحتي وشبابي

وقلت له فاترك ثلاثين أسوداً متى ما تكشف تلف غير لباب

لعل الذي أنفذت يكفيك ليلة لإسباغ طهر حان أو لشراب [4] . (الطويل)

فالرجل على ما تثبت أكثر المصادر عاش أكثر حياته وجيها وكان سخي اليد جم التواضع .

---

[1] أبو العلاء المعري حياته وشعره ، مرجع سابق ، ص48 .

[2]هو أبو معين ناصر بن خسرو بن حارث ،شاعر فارسي ولد سنة 394ه بمدينة قباذيان من أعمال بلغ ،ويلقبه المؤرخون بالعلوي ، يعنون أنه شيعى ، وكان أبوه من ذوي اليسار ، فتعلم العلوم ، وكان أول أمره لاهيا ، ثم نرك اللهو إلى الجد ، وعزم الرحلة إلى مكة ومصر وغيرها ، وكان يعمل على نشر المذهب الشيعي في بلاده السلاجقة أظهروه فترك بلخ إلى يومابان ، وله ديوان طبع في طهران 1928م ، وأهم كتبه " سفر نامة " ، دائرة المعارف الإسلامية النسخة الإنجليزية (تعريف القدماء ص461) .

[3]دراسات في الأدب والعلم والفلسفة ، حكيم المعرة ، مرجع سابق ، ص30 .

[4] سقط الزند ، مرجع سابق ، ص290 ، الحجة : السنة ، اترك ثلاثين أسود : أي ثلاثين درهماً سوداً ، وهي التي أهداها إليه .

كان شاعرنا على جانب عظيم من الثقافة العلمية. فقد أتيح له أن يحصل في المعرة وحلب على أهم العلوم اللغوية والأدبية والدينية .ولما بلغ العشرين تحول عن الدرس على الأساتذة إلى الرحلات العلمية .فزار المكتبات المشهورة في اللاذقية وحلب وأنطاكية وطرابلس وسواها .وأقام في كل منها مدة تقرأ له كتب العلم والفلسفة . وقد ظل على ذلك نحو عشر سنوات ثم استقر في المعرة ولم يتركها إلا في رحلته البغدادية بين 398-400.فتكون مراحله الثقافية ثلاثاً : (1) المرحلة التحضيرية في المعرة وحلب حتى بلغ العشرين (2) زياراته للمكاتب الكبرى في البلاد الشامية وذلك بين العشرين والثلاثين من عمره (3) زيارته لدور العلم في بغداد بين الخامسة والثلاثين والسابعة والثلاثين[1] .

وقد ساعد أبا العلاء على تحصيل هذه الثقافات الواسعة ذكاء حاد لا يكاد يخطئ شيئاً ، وذاكرة قوية لا تسمع شيئاً حتى تحفظه ثم لا تكاد تنسى منه شيئاً ، وعقلية عميقة قادرة على التعميق في كل شيء [2] .

كان أبو العلاء آية خارقة في الذكاء ، وقوة الحافظة ، وقد تثقف بثقافات عصره حتى استوعبها جميعاً سواء المترجم منها ، أو المؤلف ، فقد تمثله تمثيلاً حياً خصباً رفعه إلى أعلى منزلة [3].

2 - بيئته السياسية والاجتماعية:

كانت المعرة على ما يؤخذ من أقوال المؤرخين بلدة عامرة تشخص إليها أنظار الطامعين . وكجارتها الكبرى حلب كانت أيام المعري هدفاً لغارات وملعباً لفتن أرهقت سكانها أيما إرهاق .

---

[1] أبو العلاء المعري ، حياته وشعره ، مرجع سابق ، ص 49 .
[2] في الشعر العباسي نحو المنهج الجديد ، مرجع سابق ، ص 165 .
[3] ينظر : من الأدب العباسي وتاريخه ، د. عبدالنبي قدير ، مطبعة جامعة الفاتح سابقاً ، ص 304 .

ولد المعري في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، فكانت الأمة الإسلامية نهباً للتمزق العضوي ، والفكري ، حيث تمزقت أشلاء الخلافة العباسية فذهب كل والٍ بشلوٍ منها ، فترى كلمة تتشقق ، ودولة تقام على أنقاض دولة أخرى ، وبناء سياسياً ينهار [1]، كان عصر أبي العلاء في شتى جوانبه عصر اضطراب وتمزق وانهيار وتناحر على النفوذ والسلطة ، سواء في قلب الحاضرة بغداد ، أم في أطراف الدولة المنسلخة على ذلك القلب[2]. وكانت الإمارة الحمدانية يومئذ بين قوتين عظيمتين – الروم من الشمال والفاطميين من الجنوب ، ولم يكن للحمدانيين بعد سيف الدولة تلك السطوة التي كانت له فاضطربت أحوالهم الداخلية [3].

كقوله :

ألفنا بلاد الشام إلف ولادةٍ نُلاقي بها سود الخطوب وحمرها [4].(الطويل)

مما شك فيه أن عصر المعري كان أضخم عصر فكري بين كل عصور الحضارة الفكرية ، برغم ما ساده من اضطراب سياسي ، حتى لقد بدأ متخماً بما هضم ومحموماً أيضاً بما لم يهضم . فقد أفسح المجتمع العربي من جوانبه قبل قرنين لكل فكر وكل ثقافة ، وتحرك المجتمع بما فيه من كفايات واستعدادات ، حركته الواسعة الخطى ، الجبارة التدفق [5].

لعلنا لا نبالغ إذا قلنا : إن الحوادث السياسية التي تقلبت على حلب والمعرة منذ نشأته إلى أيام شيخوخته كانت سلسلة من الأهوال والفتن تركت أثراً عميقاً في

---

[1] ينظر : الغموض في شعر أبي العلاء ، إبراهيم سعيد الهادي بيوض ، رسالة ماجستير، سنة 2004 م ، ص 22 .
[2] سقط الزند ، مرجع سابق ، ص17 .
[3] أبو العلاء حياته وشعره ، مرجع سابق ، ص 50 .
[4] اللزوميات ، ج1 ، ص461 ، سود الخطوب : المصائب السوداء ، حمر الخطوب : الحروب .
[5] ينظر : المعري ذلك المجهول ، رحلة في فكره وعالمه النفسي ، عبد العلايلي ، الاهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1981 ، ص 17 .

نفسه وبالتالي في شعره . عاصر أبو العلاء الحمدانيين وعمالهم ورأى تطاحن هؤلاء الحكام على السعادة والمال حتى كان بعضهم لا يتورعون عن الاستنجاد بالروم وهم في هم على منافسيهم في الحكم أو على الطامعين فيهم من الفاطميين ، فطمى الفتن وتواصلت الحروب والغارات وساد الجشع والحنق في نفوس الزعماء[1] .

ولكن صورة البيئة الاجتماعية والسياسية أشدُّ ظهوراً في شعر أبي العلاء ، وفي رسائله ــ أيضاً ــ ، وأغلب هذه الصور مغلّف بغلاف محكم لا يكشف إلا لذوي الممارسة والدراسة لأدب هذا الرجل ، فهو يقول :

قَدْ حُجِبَ النُّورُ والضِّياءُ وإِنَّمـــــا دِينُنَا رِيـــــَاءُ

وهل يَجُودُ الحَيَا أُناساً مُنطوياً عَنْهُمُ الحَياءُ

يا عَالَم السُّوءِماعَلِمْنَاأنّ مُصلِّيـــــك أتْقيـــــاءُ

لا يَكْذِبَنَّ امْرُؤ جَهُولٌ ما فِيـــــكَ للهِ أوْليـــــاءُ

ويا بِلاداً مشى عَليْها أُولـــــُو افْتِقارٍ وأغْنياءُ [2] . (مخلع البسيط)

فاضطراب الحياة الدينية في عصر أبي العلاء عامل من عوامل إفساد الحياة السياسية وخلل الواقع الاقتصادي [3]. ففي جو كهذا الجو لا ننتظر أن نرى في البلاد أمناً واطمئناناً . فالناس يتملكهم الذعر ، والمصالح العامة يظحي بها لأجل المطامع الخاصة وبديهي أن تواصل الحروب والقلاقل يؤول إلى ضيق العيش وانتشار الأوبئة فضلاً عن ضغط الحكام طلباً للضرائب في قوله :

---

[1] أبو العلاء حياته وشعره ، مرجع سابق ، ص 50 .

[2] اللزوميات ، ج1 ، ص50 - 51 ، الرياء : المداهنة والكذب ، الحيا : الغيث .

[3] ينظر : الشعر العربي القديم دراسة نقدية تحليلية لظاهرة الاغتراب ، د. كاميليا عبدالفتاح ، دار المطبوعات الجامعية ، الاسكندرية ، 2008 ، ص 115 .

وأَرَى مُلُوكاً لا تَحُوطُ رَعيَّةً فعَلامَ تُؤْخَذُ جِزْيَةٌ وَمُكُوسُ ؟[4] .(الكامل)

وقوله :

فشأْنُ مُلُوكِهِمْ عزفٌ ونُزْفٌ وأصحابُ الأمورِجُباةِ خَرجِ[1].(الوافر)

ذلك ما كان يشعر به المعري . وفي مثل هذا الجو المضطرب يشتد حرص الغني على ماله وتشتد في الناس الغرائز الهدامة من ظلم وغدر وبخل وتخاذل وإلى ذلك يشير شاعرنا في كثير من قصائده ويقترن ذلك عادة بتراضي المبادئ الروحية واضطراب المعتقدات الدينية :

نَبَذْتُمُ الأديـــــــــــــــــــــانَ من خَلْفِكُـــــــــــــــــــمْ

وليسَ في الحكمةِ أَنْ تُنْبَذَا

لا قَاضِيَ المِصْرِ أَطَعْتُمْ ولاالـــ ـــــــــحَبرَ ولا القس المُوبـــــــــــــــــــــــذَا[2].(السريع)

في هذه الحياة السياسية المضطربة المائجة أطلّت رؤوس الفتن وتكاثرت مواليد المذاهب المنحرفة والفرق الضالّة وأزداد أعداد الزنادقة والمتاجرين بالدين يفتنون فيه بغير علمٍ،ويتزلفون الأمراء والحكام بالكذب والإفتراء على دين الله. وقد صور المعرّي تلك اللوحة السياسية المتردية في عصره تصويراً ممتزجاً بالمرارة والألم ،وذلك في قوله من البسيط :

أما الحجازُ فما يُرجى المُقَامُ به لأنه بالحِرارِ الخَمْس محتجَزُ

---

[4] اللزوميات ، ج1 ، ص 624 .

[1] اللزوميات ،ج1 ، ص 248 .

[2] المصدر نفسه ، ج1 ، ص 376 .

والشامُ فيه وَقُودُ الحربِ مشتعِلٌ يَشُبُّه القومُ شُدَّتْ منهم الحُجزُ

وبالعراق وميضٌ يَستَهِلُّ دَماً وراعلٌ بلقاءِ الشـــــــــرّ يَرتَجـــــــــــــــزُ

وآخرُ الدّهر يُلْفَى مثلَ أوّله والصدرُ يأتي على مقدارِهِ العَجُزُ[3].

فلم يكن هذا الويل مختصاً بالشام أو العراق أو مصر ،بل كل الأصقاع كانت مغمورة بفتن كقِطع الليل المظلم .ولم تكن الأندلس أحسن حالاً من الشام وإنما كانت فيها عروش تنهار ودماء تراق وعمران يتداعى وأمراء تسوقهم أطماعهم إلى أن يخربوا بيوتهم بأيديهم وأيدي الفرنجة الذين يتربصون بهم السوء ولا يفترون عن الكيد لهم .

كان شديد العناية بحالة المسلمين عامة كثير التقصي لأخبارهم في الأصقاع المختلفة ،إلا أنه كان يطلع على أخبار البلاد العربية أكثر من غيرها ؛ لأنها كانت مقر الخلافة والملك ؛ ولأنها أقرب من غيرها إليه ،وكان أكثر اتصالاً بالرجال العالمين بأحوالها من أبنائها وغيرهم ؛ ولذلك تصدى في كلامه إلى ما كان فيها أكثر من غيرها .

وقد أورثه ما كان يسمعه من أمورها أسى وحزناً وليس لديه ما يفرج كربه إلا ما كان ينعاه على الملوك والأمراء وأعوانهم ، ولقد صور شعره الحياة السياسية أجمل تصوير، فبيّن لنا أن شأن الملوك عَزْفٌ ونزْفٌ ، ونهب الأموال واستباحة الفروج وظلم المستضعفين وتكليف الرعية ما لا تطيق وعدم حياطتها .....وإن الشام والعراق خاليان من سلطان يقيم العدل ، وإنما يسوس كل مصر شيطان لا

[3] المصدر نفسه ، ج1 ، ص584-585 ، راعل : الطاعن .

يهمه إلاملء بطنه بالخمر وغيرها ، وأنه لا يرى موضعاً إلا وهو مغمور بالفتن والمنكرات .

وإن مصر والعراق والشام والحجاز عاجزة عن حماية الملك واستقراره ، فهو ينتقل من يد غاضب متغلب إلى يد أقوى منه سلطاناً جشعاً وعنفاً.

وقد تعرض المعري في لزومياته ورسائله للمنجمين والفلاسفة والشعراء وعلماء الدين والفقه و رجال السياسة ، ومن ذلك قوله :

مُلَّ المُقَامُ ، فكَمْ أُعَاشِرُ أُمَّةً أَمَرتْ بِغَيْرِ صَلاحِها أمَراؤها

ظَلَمُوا الرَّعيَّةَ واسْتجازُوا كَيْدَهَا فَعَدوْا مَصَالِحَها وهُمْ أُجَراؤها [1].(الكامل)

ويقول :

هل الأُمَراءُ إلاّ في خَسَارٍ أو الـــــوُزَرَاءُ إلاّ أَهَـــــــــلُ وِزْرِ ؟

وُلاةُ العالمينَ ذئابُ ختلٍ تكونُ من الشَّقَاءِ رُعَاةَ فِزْرِ [2].(الوافر)

والحقيقة أن هذه الاضطرابات السياسية المملوءة بالانقسامات والدسائس قد أدت إلى نتيجتين منكرتين على حدّ قول د. طه حسين : " إحدهما طمع الروم في المسلمين .....فقد كان القرن الرابع قرن حروب ظفر الروم في أكثرها ، بينما الدول الإسلامية تقتل فيما بينها من الجيوش ....الثانية :ما كان من النكبة الصليبية ، فإن الذي أغرى الصليبين بالمسلمين وأطمعهم فيهم ، إبّان العصر الثالث لبني العباس ، ليس إلاّ هذا الضعف و الانقسام " [3]. ومنهم من استنجد بالروم على

---

[1] اللزوميات ، ج1 ، ص54 ، استجازوا : أباحوا ، الكيد : الخداع والخبث والحيلة ، أجراء : جمع أجير وهو الخادم .
[2] المصدر نفسه ، ج1 ، ص517 ، الخسار : الظلال ، الوزر ، الإثم ، الفزر : القطيع .
[3] ينظر :من تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الثاني) : د. طه حسين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط3 ، ج3 ، 1980م ، ص405.

خصومه ، معرضاً عمّا بينه وبين الروم من عداوة واختلاف في الدين ، كما فعل الحمدانيون لصدّ غزوات الفاطميين .

وبذا نجد هذه الحياة السياسية الحُبلى بالفزع والأهوال ، وبالاختلاف والاضطرابات وبالكيد والخديعة ، كان لها أثر لا ينكر في تكوين فلسفة أبي العلاء التي اختلف الناس في فهمها .... لأن من يقرأ أدب المعرّي يظهر له جلياً أنه كان يفصل من أعماق نفسه التي لم يترك لها الآلم اطراداً ، فجاء الناس من إلهام فكره الحُرّ[4] .

نلاحظ شعر المعري يكثر فيه مهاجمة الفساد الاجتماعي وبخاصة التهتك الجنسي ومعاقرة الخمر وإليك بعض وصفه لأهل عصره:

قد عَلِمُوا أَنْ سَيُخْطَفُ الشَّبَحُفاغْتَبَقُوا بالمُدامِ واصْطَبَحوا

ما حَفِظُوا جارةً ولا فَعَلُوا خيراً ولا في مكارمِ ربِحُوا [1].(المنسرح)

ويلقي التبعة في هذا الفساد العام على بعض رجال الدين لا نصرافهم على الروح إلى المادة وعن خدمة الناس إلى مآربهم فهو ينعتهم بالرياء والشهوة وما إلى ذلك من النعوت الذميمة[2].

ولعلنا نستطيع اختصار وصفه لبيئته السياسية والاجتماعية في قوله :

حَدِيثُ فَوَاجِرٍ وشَرَابُ خَمْرِ وقَتْلَى يُطْرَحونَ لأُمِّ عَمْرِو

ومَهْلَكُ دَوْلةٍ وقِيامُ أُخْرَى كذالكَ الدهرُ أمرٌ بعد أمرِ[3] . (الوافر)

---

[4] الغموض في شعر أبي العلاء ،مرجع سابق ،ص24.
[1] اللزوميات ، ج1 ، ص265 .
[2] أبو العلاء حياته وشعره ،ص51.
[3] اللزوميات ، ج1 ، ص514 .

فمن خلال دراستنا لدواوين الشاعر نلاحظ أنه عبر عن تلك الحال السياسية المظلمة خير تعبير ذلك في ديوانه " اللزوميات " لاسيما أشعار " اللزوميات " تثير المشاعر والأفكار وتتحدّاها ! ويبدو المعرّي خلالها ناقداً للأوضاع الفكرية والدينية والأحوال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في عصره ، رائده العقل وغايته الخير والعدالة ومرماه الإنصاف والإصلاح ،ومنهجه الفكري الشك والحيرة [4] .

فالمعري عاش في مجتمع ممتزج بغيره من الشعوب المختلفة ، متأثر بحضارات متنوعة ، وبخاصة الفارسية في خلق حياة جديدة تتسم بالترف ومظاهر الثراء والبذخ ، وانتشار الجواري والقيان وازدهار الغذاء ،والتطلع إلى الحرية واكتساب شخصية حضارية جديدة ،والخروج على التقاليد ، والتحليل من الالتزام بأساليب العيشالقديمة،وانتشار المجون والزندقة [1] .

فالحياة الاجتماعية الصالحة ، ليست إلا مزاجاً يأتلف من سياسة مستقيمة ،وعدالة شاملة ونظام اقتصادي معقول ،وأمن محيط بالأقوياء والضعفاء على السواء [2] .

هذه الحال الاجتماعية العامة التي نشأ فيها المعرّي لا نستطيع أن نفصله عنها ؛ لأنها أثرت من غير شك في نتاجه الشعري ،ذلك أن الشعر حركة نفسية يثيرها ما يحيط بالشاعر من أحوال وحوادث أضفْ إلى ذلك عوامل آخر خاصة كان لها أعظم الأثر في أدب أبي العلاء وفلسفته وهي فقد البصر ،وعذاب الرحلة[3] .

---

[4]ينظر: أدباء العرب ،رهين المحبسين ، أبو العلاء المعري ،أحمد الطويلي ، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع ،تونس ،1981م،ص20.

[1]ينظر: موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي ،د.محمد زكي العشماوي ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت ،1981م ،ص52.

[2] تجديد ذكري أبي العلاء، مرجع سابق ،ص81.

[3] الغموض في شعر أبي العلاء ،مرجع سابق ،ص33.

إن الواقع في عين أبي العلاء مزدحم بتكتل بشري بشع ليس منه فرار وهو تكتل ينشر الهمجية والتخريب والأمراض الأخلاقية في الكون كله [4] .

ليس من العسير أن نعرف أسباب هذه الحياة الاجتماعية السيئة ،إذا بحثنا عن الأمة الإسلامية كيف تأتلف أجزاؤها ويلتئم مزاجها ،فإنها إنما كانت تأتلف من أمم مختلفة فيما بينها ،ولعل لفساد الحياة الاجتماعية في هذا العصر أسباباً كثيرة من أعظمها :

1-تولي الأعاجم على العرب ،فقد كان المسيطر منهم لايبالي أفسدت أخلاق الأمة أم صلحت ،وإنما همه مال ينهبه وعرض يستبيحه وسلطان يبسطه من أي طريق كان وبأية وسيلة كانت ....

2-توسيد الأمور إلى الغرباء عن البلاد ،فإن العبيديين كانوا يتخذون ولاة على دمشق وحلب وغيرها من المغاربة أو الترك أو الروم ،ويتخذون القواد والأمراء وذوي الكلمة النافذة من هؤلاء الذين يؤثرون مصالحهم الخاصة على مصلحة الدولة ...

3-كثرة الجواري الحسان ورخص أثمانهن ،فكان العربي يجمع الكثير منهن لقضاء شهوته ،ويدع أمر كل واحد من بنيه إلى أمه فهي تنشئه كما تشاء وتغذيه من طباعها وأهوائها ونزعاتها كما تهوى ...

4-كثرة الغلمان ،فقد كانت ولاة الأعاجم المختلفة تهدي إلى الخلفاء والأمراء الوصائف والوصفاء ،تتخيرهم من ذوي الجمال الرائع ،وتبعث بهم وبهن زرافات ووحدانا ،والخلفاء والأمراء يصطفون لأنفسهم خيرة الخيرة منهم ،ثم يهبون ما زاد عن حاجتهم إلى غيرهم ...

---

[4] الشعر العربي القديم ، مرجع سابق ،ص126.

5-تعدد الزوجات لاسيما غير العربيات ،فقد دلت الحوادث التاريخية على أن الرجل قد تكون نزعته إلى أخواله أشد من نزعته إلى أعمامه ، بسبب تعليم أمه وإهمال أبيه تربيته ، حتى لا يشق عليه معاداة عمه لموالاة خاله .على أن الرجل لا يستطيع أن يعدل بين النساء ...

6-وجود الحكام والخوف من ظلمهم ، فإن ذلك يحمل الناس على الخنوع والكذب والنفاق ومجاوزة حدود الدين والمروءة والأدب إنقاء لشرهم أو للتخلص منه أو ابتغاء لمرضاتهم [2] .[1]

3 -بيئته الفكرية:

قضى شاعرنا نحو النصف من عمره في القرن الرابع الهجري والنصف الآخر في القرن الخامس فيكون قد عاصر الثقافة الإسلامية في عنفوان نشاطها .

في ذلك العهد كان في العالم الإسلامي ثلاث حواضر كبرى –بغداد عاصمة العباسيين ،والقاهرة عاصمة الفاطميين ،وقرطبة عاصمة الأندلسيين .

على أن الحركة الفكرية لم تنحصر في هذه الحواضر الثلاث .فقد نشأ-كما يخبرنا التاريخ – دول صغرى نافست هذه الدول الكبرى في العطف على أهل الأدب والعلم .وكانت حواضرها مراكز علمية كبيرة تبذل فيها الأموال الطائلة في سبيل العلم والعلماء [1]. ولعل حديث أحمد أمين يخبرنا عن تلك البيئة العلمية التي كانت عليها "حلب " وقتئذ، وكيف لعبت دوراً لا ينكر في تكوين أبي العلاء الثقافي إذ يقول "ولئن كان سيف الدولة قد مات قبل ولادة أبي العلاء " بثماني" سنين،فإن الحركة العلمية والأدبية بها لم تكن ماتت ،فشعر الشعراء يروي، وتلاميذ ابن

---

[1] خَنَعَ-خُنُوعاً له وإليه خضع وذلَّ"-الى الله :تضرَّع إليه بغير عمل "و-إلى الأمر السَيِّء : مال .خَنَع –الذُّلّ، المنجد الإعدادي ،مرجع سابق ،ص236.

[2] الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره ،ج1 ،مرجع سابق ،ص129،130،131 .

[1] ينظر : أبو العلاء حياته وشعره ،مرجع سابق ،ص51.

خالويه وابن جني يروون علمهما باللغة والأدب والنحو والصرف ،وتلاميذ الفارابي يروون فلسفته .فلما انتقل أبو العلاء إلى حلب للدّرس وجد كلّ ذلك مهيأ فاستفاد منه" [2] .

لم يمر على الأمة العربية عصر كانت الحياة العقلية فيه والنهضة الفكرية أشد ازدهاراً مما وصلت إليه في العصر العباسي عامة وفي عصر أبي العلاء خاصة ،لقد وجد أبو العلاء بغيته فيما أتيح له من علوم العصر وثقافته ، فنهل من دروس الجغرافيا والتاريخ والفقه وعلوم النحو واللغة والأدب والقراءات والسير والفلسفات المختلفة ،وغير ذلك مما زخر به عصره ، وكان عقله نتاج هذه العلوم مضافة إلى طبيعة حياته الخاصة ونوع نظرته إليها ،وهدفه منها ،وقد أعانه هذا النتاج الثقافي على أن ينظر في التاريخ البشري مستخرجاً منه ما شاء من دلائل تفسير طبيعة الإنسان تفسيراً يتدفق وحياته النفسية ،تلك الحياة التي خلقتها محنة فقد البصر .

وفي القرن الرابع –وهو القرن الذي نشأ فيه شاعرنا وأتم تحصيله العلمي – نضجت العلوم اللغوية .فنظمت المعاجم ووضعت كثير من كتب اللغة واستقرت الطريقة البيانية في الإنشاء التي يمثلها ابن العميد والصاحب والصابي والخوارزمي وبديع الزمان والثعالبي والعسكري وسواهم .وفيه بلغت العلوم الدخيلة من طبية وفلسفية ورياضية وطبيعية ،أوجها ويكفي أن نذكر من رجالها السابقين واللاحقين الفارابي والرازي ،وابن سينا، ... فقد بلغ في عهد المعري شوطاً بعيداً من التقدم ،ويكفي للتمثيل أن نذكر المسعودي والأصفهاني ومسكويهوابن النديم ،عدا من سبقهم من أهل القرن الثالث كالطبري واليعقوبي وأضرابهما ....ونشير إلى المذاهب المتنازعة من خزرج وشيعة ،ومعتزلة ،وأشعرية وصوفية . فقد كانت على أشدها في عهد المعري وما قبله . تلك هي

[2] الغموض فى شعر أبي العلاء ،مرجع سابق ،ص43.

التربة الفكرية التي أنبتت لنا المعري .تكاثر دور العلم في شتى الحواضر الإسلامية ــ تنظيم المعاجم والقواعد اللغوية ــ سيادة التأنق البديعي في الإنشاء ــ التوسيع في المباحث الفلسفية والطبيعية ، لو جاءناكلُّ ما قاله وكتبه لرأينا أدباً غزيراً ،وعلماً جماً، وخيالاً واسعاً ،وعبقرية فذة ، وثقافة عالية لا تضاهى .على أن القدر الذي أتيح لنا الوقوف عليه من كلامه يدل على علم واسع ،وأدب وافر،يجعلانه أمة وحده ، لأننا لم نرَ في رجالات العرب ونوابغهم من اجتمع له من سعة الحفظ والاطلاع على مسائل العلم والأدب والحكمة مثل ما اجتمع لأبي العلاء ،ولا من استطاع أن يخضع العلم للشعر والأدب مثل ما استطاع ،ولو تأخر أبو نواس عنه لقال فيه :

وَلَيْسَ للّهِ بُمستَنْكَرِ أَن يَجْمَعَ العَالَم في واحِد(1) .

فإذا نظرنا إلى حياة شاعرنا وأدبه نجد أثر هذه البيئة ظاهراً فيها فهو من حيث اللغة لغوي واسع الاطلاع ولوع باستعمال الغرائب اللفظية ، وهو مضمار الأناقة البيانية منشئ قدير يتكلف السجع والبديع ولو أداه ذلك إلى الغموض كقوله في أحدهم :

كَبِرْتَ فأَصْبَحْتَ للراشِدِينَ كَبُرْتٍ يُعدُّ لهَدْي دليلاً

كبُرتَ فما زال هذا الزمان كبَرتٍ يَجُذُّ قَليلاً قَليلاً(1).(المتقارب)

وتظهر في أدبه ثقافة عصره العلمية على أن أهم ما ينعكس من بيئته الفكرية نظره الفلسفي في الوجود ونقده الشديد للإنسان والمجتمع ،فإن إبداعه الشعري خلق ذاتي وإبداع شخصي استوعب جميع ثقافات عصره وإن تأثره بالآداب والعلوم على اختلاف أنواعها كان تأثراً ضم الأصيل لا التقليد الخاضع ،فقد

(1)ينظر : الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره ،مرجع سابق ، ج2 ،ص581 .
(1) ديوان اللزوميات ، ج2 ، ص226 .

تفاعلت ثقافة أبي العلاء مع شخصيته العبقرية فتمثلت خلقاً جديداً في أسلوب فلسفيّ بديع ،وفي هيئة تعبيرات قوية موهمة .

الفصل الثاني

الفصل الثاني

مضمون القضايا الشعرية

مفهوم المضمون :

مصطلح (المضمون) ، بهذه الدلالة التي نفهمها اليوم ، لا يوجد في معجمات اللغة القديمة ؛ لأن القدماء ـ استعملوا مقابل المضمون ـ مصطلح المعنى ، وقديماً قال قدامة بن جعفر : إن المعاني كلها معروضة للشاعر ، وله أن يتكلم منها أحب وآثر من غير أن يحذر عليه يروم الكلام فيه ، إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعية والشعر فيها كالصورة[1] وبهذا المعنى استخدمها الجاحظ والعسكري ، وقد كان المقصود بها في ذلك الوقت موضوعات المدح والرثاء ..الخ ، فالمضمون " مصطلح أدبي وفني معاصر يرادفه في الدلالة مصطلح معاصر آخر هو المحتوى ، وهو يشير بتوسيع إلى ما اصطلح القدامى على تسميته بالمعنى أو الفكرة " [2].

وقد اختلف النقاد المحدثون في استعمالهم لاصطلاحي الشكل والمضمون أو الشكل والمحتوى ، فالشكل أحيانا هو الجسم الخارجي والمضمون أو المحتوى هو الاتجاهات الخلقية والنفسية للشاعر في العمل الفني ، ويكون الشكل في أحيان أخرى ، هو الجزء الداخلي ، والمحتوى هو المادة الخام التي يستعملها الشاعر في التعبير [3] ، ويكاد يتفق كثير من الباحثين على أن المحتوى يمثل أفكار الشاعر ومضمونه و زبدة الكلام في إنتاجه ، واتجهت الدراسات الأدبية في العصر الحديث إلى دراسة قضايا الشعر ومضامينه ، وكان من المقرر أن تكون واضحة جلية لضمان وصولها إلى الناس .

وقد حفل شعر أبي العلاء المعري بمضامين محددة ، تحمل جملة قضايا ، تدل على إسهامه وتفاعله مع عصره ، ومن ضمن هذه القضايا :

---

[1] ينظر : نقد الشعر.قدامة (أبو الفرج قدامة بن جعفر)، تح .كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ـ مصر،ط3 ، 1978م، ص19.

[2] المعجم المفصل في اللغة والأدب .د .مشيل عاصي ، و د. أيميل بديع يعقوب ، دار العلم للملايين .بيروت،ط12،1978م ،ج2 ، ص1160 .

[3] ينظر: فن الشعر ، د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ـ لبنان ، (د.ط) ، 1959م ، ص 190 .

المبحث الأول

قضية المرأة والزواج والنسل

موقف أبي العلاء من المرأة : تلعب المرأة دوراً حيوياً أساسياً في حياة المجتمع ، فهي التي تربي النشء وتغرس فيهم فضائل العادات وهي التي تحفظ القيم والعادات وترضعها لأطفالها ولذلك فإن المجتمعات السعيدة هي التي تحظى بالمرأة الفاضلة التي تصبح محط احترام وتقدير الرجل .

وتختلف نظرة الرجل للمرأة باختلاف الظروف السياسية والاقتصادية ، ففي عصور الازدهار والقوة تحظى المرأة بالاحترام والإجلال خاصة إذا أصبحت النهضة المادية أفكار حضارية متقدمة مثلما فعل الدين الإسلامي في حياة المرأة العربية ، فأعلى شأنها ، وأعطاها حقوقها وصان مستقبلها . وكان الإسلام أكثر الشرائع اعترافاً بحقوق المرأة ومكانتها في المجتمع .

وقد أسهمت المرأة العربية بالكثير من النهضة العربية والإسلامية ، وقد وقفت خلف الرجل الذي يحمل لواء الإسلام في أقاصي الهند والأندلس تمده بالتشجيع والعون والغذاء المعنوي . كما شاركت في النهضة العلمية والأدبية بقسط وافر .

وبدأت المرأة تفقد مكانتها كلما انحدرت الإمبراطورية الإسلامية نحو التفتت والانحلال وكلما شاعت الأفكار التي تدعو إلى اللذات واجتناب الجهاد المقدس ، والقعود عن السعي وكثرة الرقيق الأجنبي وشيوع مجالس الترف واللهو والعبث ، وكثرة الفرق السياسية الغالية في مذاهبها . فبدأت تقيم في بيتها كسيرة ذليلة ، وأخذ الرجل ينظر إليها على أنها لهوه ومتاعه فقط . وقد جاء المعري في وقت اشتدت فيه المحنة بالأمة الإسلامية ، وشاعت فيها الأفكار الشاذة والعادات المستقبحة ، فتلك الفترة يُعترف بأنها أسوأ الفترات التي مرت بها الدولة الإسلامية إن لم يكن أسوأها بالفعل ، فساد فيها الفساد والظلم ، والاستيلاء على أموالهم وتنفيذ أوامرهم العابثة الطاغية التي لا تصدر عن عقل واعٍ وضمير يقظ ، يقول المعري في هذا السياق من الوافر:

يَسُوسُونَ الأمورَ بغير عقلٍ فينْفُذُ حُكْمُهُمْ ويُقالُ سَاسَهْ

فأُفَّ من الحياةِ وأُفَّ مني ومن زمنٍ رئاسَتُهُ خَسَاسَهْ [1].

[1] اللزوميات ، مرجع سابق ، ج1 ، ص627 .

" فالمرأة في الشعر الجاهلي ليست المرأة في الشعر الأموي أو العباسي ، فلا المكانة التي تتبوؤها هي نفسها ، ولا حالتها في مجتمعها هي ذاتها .. وإن كانت تفرض حضورها على الشعر ، فإنها تفرضه بالشكل الذي يختاره لها عصرها ويختاره الشاعر نفسه لها .

وبالنظر إلى وضع المرأة في عصر بني العباس ، وأي أثر كانت تتركه ، وأي فساد كانت غارقة في وحله ، تتباين آراء الشعراء حولها ، فلم تعد المرأة تقتصر على تلك الممدوحة الجميلة والتي تشبه القمر في الضياء ، بل تعدته كل التعدي [1].

لقد أهتم أبو العلاء بالمرأة اهتماماً واسعاً ، يعود إلى أنها سبب كل شقاء في الدنيا وقد كانت أول امرأة تعمر الأرض وهي حواء سبب هذا الشقاء الأبدي الذي ورثه الإنسان من أبويه القديمين ، وفي ذلك يقول المعري من البسيط :

نعـــوذ بالله من غـــوانٍ يكُـــنَّ باللُّـــبِّ مُعْصِفـاتِ

ومن صفاتِ النساءِ قِدْماً أن لسنَ في الودِّ مُنْصِفَاتِ

ومـــا يـبينُ بالوفـــاءُ إلا في زمـــنِ الفَقْدِ والوفـــاةِ[2].

لاشك أن أبا العلاء كان قاسياً على المرأة بما نظم من أشعار في تجريحها ونقد أخلاقها وطبيعتها ، وقد كان سيء الظن بها إلى درجة لم نعهدها عند شاعر عربي آخر وهذا ما دفع الباحثين إلى تتبع موقفه وفقاً لمنهج هؤلاء الباحثين ونظراتهم إلى أدبه .

" وينبغي أن نقر بأن العهد العباسي الذي انصرف فيه خلفاؤه وأمراؤه إلى شؤون السياسة وفتنتها جعلهم يرمون حبل المجون على غارب الأمة . حتى بدأت أواخر أيام العباسيين متداعية الأخلاق ومؤذية بالانحلال ، شأن الأمم في نهاية عهودها بالمدينة " [3].

إذا كانت الطبيعة البشرية فاسدة من أصلها فإن فسادهم يعمّ الرجال والنساء على السواء ؛ إلا أنّ أبا العلاء يرى أن الخطر من فساد الرجل أخفُّ من الخطر من فساد المرأة ، وذلك بيّنُ السبب : إن الطبيعة التي فرقت خصائص البشر حابت الرجل فجعلت اندفاعه في الملذّات قليل الأثر الظاهر في نفسه وجسده ؛ أما المرأة فقست عليها وجعلت أثر ذلك في نفسها وجسدها ظاهراً . وبما أن قبضة القانون لا تنال إلا

---

[1] نقلاً عن شبكة العلاقات الدولية .

[2] اللزوميات ، مرجع سابق ، ج1 ، ص207 ، الغواني : جمع غانية وهي المرأة المطلوبة .

[3] النقد الإجتماعي في آثار أبي العلاء المعري ، د. يسري محمد سلامة ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية مصر ، ط1، 2011م ، ص238 .

من ظهرت عليه آثار الجريمة ، ولو كان مظلوماً ، فإن المجتمع حمّل المرأة من التبعة أكثر مما حمّل منها الرجل ، أو حمّلها كلها للمرأة ؛ وكذلك فعل أبو العلاء .

فهو يحقد على المرأة لأنها تعبث بالعقول وتحاول تحطيمها بما تعرضه من إغراء ، وما تقوم به من إغواء ، ولن تجد امرأة تحافظ على الود ، ويتبين رأيه القاتم في المرأة عندما يذهب إلى أن النساء نكثهن العهود من صفاتهن القديمة التي فطرن عليها ، وعلى هذا النحو كان ينظر إلى المرأة على أنها سبب الشقاء ، وأنها لا ترعى إلاً ولا يحصل الإنسان منهن إلا على الأذى والشقاء لإنهما قد اتصلا بهنّ منذ خلقن ، يقول من المتقارب :

أرى حَبَلاً حادِثاً في النِّسَاءِ حبْلَ أذاةٍ بِهنَّ اتَّصلْ

وأنَّى وَلَدٌ بِسِجِــلِّ العَنَــاءِ فيا ليْتَ واردَهُ ما وَصَلْ [1] .

وقد يغرب في رأيه الشيء في النساء عندما يرى أن لا فرق بين ابن الحرة وابن الفاجرة ، وما ذلك إلا لأن المرأة هي المرأة سواء أكانت شريفة محصنة أم كانت فاجرة ، فيقول من المتقارب :

وسِيَّانِ مِنْ أُمُّهُ حُرَّةٌ حَصانٌ ومَنْ أُمُّهُ فَرْتَنَا [2].

وربما كان يقصد بهذا أن الخلقة واحدة بالنسبة لهذين الولدين لأن الطبيعة لا تميز الأطفال إن كانوا ولدوا لأمهات طواهر أم فواجر ، " وليس معنى هذا أن أبا العلاء جامد الطبع ناصب العاطفة من ناحية المرأة ، وأنه مسلوب الشعور بما فيها من جواذب وفتنة ...وإن الصورة التي يتمثلها لبنات حواء لأشبه ما تكون بصورهن في أخيلة أصبى الرجال إليهن وأشدهن تعلقاً بهن واشتهاء لهن . فهؤلاء بنات حواء يطلعن كالظبيات في اللحظ واللفتات ، ويغدين ويرحن خواطر كالغصون متأودات ، في وشي ثياب مورسات ، وبالجواهر الفريد مقلدات ، ...معاصمهن بالأساور معلمات ، وسوقهن بالحجول طوافر مقيدات . خدودهن بالشباب موردات ، وأكفهن بالخضاب موسمات ، وبناتهن منعمات ...هذه بلا منازع صورة المرأة في مجلى فتنتها وحفل زينتها " [3].

ولم يكن أبو العلاء يكره المرأة كرهاً غريزياً بل اضطره إلى ذلك الكره فساد المجتمع حينذاك ، وكان مبعث نقده المر لها رغبته في إصلاحها وبيان مسالك

---

[1] اللزوميات ، مرجع سابق ، ج2 ، ص297 .
[2] المصدر نفسه ، ج1 ، ص77 .
[3] أبو العلاء المعري حياته وشعره ، مرجع سابق ، ص150 .

الهدى لها والدليل على ذلك أنه كان يحب أمه حباً جماً ، وكان يستشيرها في كل أموره مثلما استشارها قبل رحلته إلى العراق فأذنت له

" على أني والله قد أعلمتها أني مرتحل ' وأن عزمي على ذلك جاد فأذنت لي فيه وأحسبها طنته مذقه الشارب ، ووميض الخالب ، ولكل أجل كتاب . وحزني لفقدها كنعيم أهل الجنة . كلما نفذ جدد . وشرحه أملال سامع وفناء زمان " [1].

ولاشك أن المعري جعل من أمه النموذج المثالي للنساء ، يود أن يكن عليه من رقة الأخلاق وطيب المنبت ، وإخلاص للمبادئ وحبّ للأبناء وورع وتقى وعبادة ، وقد نعاها بشعر يقطر دماً ودماً ، فيقول من الوافر :

سَمِعْتُ نَعيَّهاَ صَمِّـــى صَمَامِ وإنْ قَالَ العواذلُ لا هَمَـــامِ

وأمَّتْنِـــي إلـــى الأجْـــدَاثِ أُمٌ يَعِزُّ عليّ أنْ سارتْ أمامـي

وأكْبـــرُ أنْ يُرثّيهـــا لِسَانـــي بِلَفْظٍ سَالِك طُرُقَ الطعـــامِ

مَضَتْ وقد اكْتَهَلْتُ وخِلْتُ إنِّي رضِيعٌ ما بلغْتُ مدى الفطامِ

فَيَا رَكْبَ المَنُون أمَـا رسُـولٌ يُبَلِّغُ رُوحها أرَجَ السلامِ [2] .

وكان قلبه يخفق للمرأة التي يحبّها ، شأنه في ذلك كلّ رجل رقيق الحسّ مرهف الشعور وله في الغزل قصائد تفيض بما في قلبه الكبير الصادق وهو يصف تمنع حبيبته ودلالها في شعر عذري طاهر ، فيقول من الطويل :

أسالت أتى الدّمع فوق أسيل ومالت لظـــل بالعـــراق ظليـــل

أيا جارة البيت الممنع جاره غـدوت ومن لـــي عندكم بمقيـــل

وأرسلت طيفا خان لما بعثته فلا تثقـــي مـن بعـــده برســـول

خيال أرانا نفســـه متجنبـا وقد زار من صافي الوداد وصول[3].

وهو يصرخ حينا باسم حبيبته أمامه التي كلفته في حبها ما لا يطيق ، ومع هذا فهو لا يسلو هواها ، وهو يستعذب حبها بمرارته وحلاوته معاً . وفي ذلك يقول :

ولقد ذكرت يا "أمامة" بعدما نزل الدليل إلى التراب يسوفه

---

[1] النقد الإجتماعي في آثار أبي العلاء المعري ، مرجع سابق ، ص 238-239.

[2] ينظر : شروح سقط الزند ، مرجع سابق ، ق4 ، ص1413 وما بعدها ، أمتني : تقدّمثنى إلى القبور ، الأجداث : القبور .

[3] المصدر نفسه ، ق3 ، ص1040 ، الآتى : السيل يأتي من بلد إلى بلد ، والأسيل : الخدّ الذي فيه طول ونقاء وبشرة ، المقيل : الموضع .

والعيس تعلن بالحنين إليكم ولغامها كالبرس طار نديفه

فنسيت ما جشمتنيه وطالما كلفتني ما ضرّني تكليفه

وهواك عندي كالغناء لأنه حسن لدى ثقيلة وخفيفة [1].(الكامل)

وكان أبو العلاء يعظم المرأة التي تهب حياتها من أجل عمل شريف يصون عرضها وينفع الناس ، ومثال ذلك الرواية التي أوردها عن لقاء ابن القارح في رسالة الغفران بحوريتين من حور الجنة ، فيحكى قصتهما في الحياة الدنيا بما يوحى بوجهة نظره [2] ، فتستغرق إحداهما ضحكا . فيقول : مم تضحكين ؟ فتقول : فرجا بتفضل الله الذي وهب نعيماً ، وكان بالمغفرة زعيما ، أتدري من أنا ياعلي ابن منصور ؟ فيقول : أنت من حور الجنان اللواتي خلقكن الله جزاء للمتقين ، وقال فيكن " كأنهن الياقوت والمرجان " [3] فتقول :أنا كذلك بأنعام الله العظيم . على أني كنت في الدار العاجلة أعرف بحمدونة ، وأسكن في باب العراق بحلب ، وأبي صاحب رحى وتزوجني رجل يبيع السقط فطلقني لرائحة كرهها من فيّ ، وكنت أقبح نساء حلب . فلما عرفت ذلك زهدت في الدنيا الغرارة وتوفرت على العبادة وأكلت من مغزلي ومردني فصيرني إلى ماترى . وتقول الأخرى : أتدري من أنا يا علي بن منصور؟ أنا توفيق السوداء التي كانت تخدم في دار العلم ببغداد على زمان أبي منصور بن محمد بن علي بن الخازن . وكنت أخرج الكتب للنساخ فيقول : لا إله إلا الله ، لقد كنت سوداء فصرت أنصع من الكافور ، فيقول : أتعجب من هذا ، والشاعر يقول لبعض المخلوقين :

كأنّ رُضابَها مِسْك شنيــن على راحٍ ، تُخالِطُ ماءَ شَنّه

فلا تستكثر الهجمات فيها، فإعْراسُ ،بتلك ، دُخولُ جَنّه

إذا قَبّلتَهـــا قابَلْتَ منهـا أريجَ الروض ، فـي زَهْرِ مُغِنّه

تغَنّتْ من غنى مالٍ وصَبْرٍ، وأما بالقريـض ، فلمْ تَغَنّـــه

وليستْ بالمِعَنّهْ فـي جِـدالٍ، وإنْ جُدِلتْ ، كما جُدِل الأعِنّه

أولئك ما أتَيْنَ بنُصح خِـــلٍّ، ولا دِنَّ المَلِيكَ ، ولا يدِنّه

وقد أملنْ أن يأخُذْن ، يوْمـاً، رُشاكَ ، ولم يَقُمْنَ بما ضمِنّه

---

[1] شروح سقط الزند ، ق3 ،ص1107 ، يسوفه: يشمه ، العيس : الإبل البيض ، البرس : القطن .

[2] ينظر : رسالة الغفران ، أبو العلاء المعري ، دار المعارف ، القاهرة ـ مصر ، ط11 ، تح عائشة عبد الرحمن ، 1977م، ص278.

[3] سورة الرحمن ، الآية : 57 .

ولو طاوعْتَهنَّ لجئن ، منهـا بأُخْتِ الغُولِ والنصفِ الضفنَّه

وإذا جاورتها نبذت جواري وإلا تلف لي ذنباً تجنه [1]. (الوافر)

" إنها خبرة أبي العلاء بأوصاف المرأة الجميلة ، التي يعددها على لسان أم الفتى حين تكشف لابنها زيف كلام الخاطبة حين تريد خداع الشاب الذي يبغي عروسا فتبقى له الأمور وتصور له القبيح حسنا في هذا الحوار الممتع الذي نرى واقعية أبي العلاء وخبرته بشؤون الحياة الجارية من حوله . كما يكشف أيضاً عن السبب الأول الذي دعاه إلى نبذ المرأة ونصح الشباب بتجنبها وهو أن ينصرفوا إلى القضية الأساسية وهي الكفاح وخوض الحرب بنفس واثقة . أما السبب الثاني الذي يورده أبو العلاء وهو أن أم الفتى قد أصبحت عجوزاً مسنه تثقل عشرة عروس ابنها عابها فهو مجرد تحليل نفسية أم الفتى التي تكره لابنها حمل عبء الزواج " [2] . وفي ذلك يقول : "لاشك أنه يسيء بها الظن في جميع أطوارها ، ويرى أن تقطع الأسباب والرسائل بينها وبين الحياة العامة ، إذ هي لا تصلح منها لشيء ، فإما العلم فقد حظّره عليها " [3]، وفي ذلك يقول من الخفيف :

علموهن النسيج والغزل والرد ن ، وخلـــــوا كتابـــة وقـــــراءه

فصلاة الفتاة "بالحمد" و"الإخـ ـلاص" تجزى عن "يونس" و"براءه"

تهتك الستر بالجلوس أمام السـ تر ، إن غنـــت القيـــــان وراءه [4] .

وذلك يعني أنه كان لابد من تعلمهن القرآن ، فإن بعض السور القصار فيها الكفاية للصلاة . إن نظرة أبي العلاء إلى المرأة لم تكن نتاج فلسفة خارجية عن ذاته وإنما كان موقفه منها جرياً على فساد الرأي العام للعصر بالنسبة للمرأة . ولكنه حين ينظر إلى المرأة كأم يخرجها من حيّز هذه القضية المعقدة ، ويجعلها رمزاً جميلاً للتضحية ، وهو يفضلها على الأب ويراها أولى بالرعاية وأحق بالعطف والشفقة والحنان ، وفي ذلك يقول من الطويل :

وأعط أباك النصف حيا وميتا وفضل عليها من كرامتـــه الأُمَّا

أقلك خفا إذا أقلتك مثقـــــلا و ارضعت الحولين واحتملت تما

---

[1] شروح سقط الزند ، مرجع سابق ، ق5 ، ص2005 ومابعدها ، الضفنه : الأحمق من الرجال .

[2] النقد الأجتماعي في آثار أبي العلاء المعري ، مرجع سابق ، ص242 .

[3] تجديد ذكرى أبي العلاء ، مرجع سابق ، ص308 .

[4] اللزوميات ، مرجع سابق ، ج1 ، ص61 ، الردن : تنضيد المتاع وترتيب البيت ، الهتك : الشق ، القيان ، جمع قينة وهي المغنّية.

وألقتك عن جهد وألقاك لـــذة وضمت وشمت مثل ما ضم أو شمــا [1] .

وقد حاول الأستاذ أحمد أمين أن يبحث عن أثر آخر صدر عنه أبو العلاء في نظرته للمرأة فاعتقد أن حملة أبي العلاء على المرأة وفسادها كان نتيجة القسم الأول من حياته حين كان يدين بتعاليم أخوان الصفا خاصة وأن لأخوان الصفا في النساء رأي سيء [2] .

ونحن نعرف أن تأثير أبي العلاء بالتيارات الفكرية لم يكن واضحاً ولا قوياً في القسم الأول من حياته بل كان أكثر تأثره واضحاً في أدب العزلة خاصة في اللزوميات ، كما أن موقف أبي العلاء في شبابه لم يحمل في أغلبه مظاهر عدائية نحو المرأة بل أنه كان كما يرى محمد سليم الجندي يحسن الظن بها خاصة حين ينظر إليها كأم إذ يجعلها رمزاً جميلاً للتضحية والإيثار [3] .

إن موقف أبي العلاء من المرأة في الغالب يعكس نظرته الاصلاحية في المجتمع وهذا ما يؤكده المعري في نقده لأخلاق المرأة من فتنة وكيد وفساد وكذب ، وحرصه الكامل على صيانتها والابتعاد بها عن مواطن الشر والفساد لكي لا تكون يوماً سبيلاً من سبل الغواية في المجتمع ، لقد كان أبو العلاء ينظر إلى المجتمع بكل فئاته وكل مظاهر الحياة فيه محاولاً كشف آفاته وعيوبه ، ولم يكن نقده مقتصراً على المرأة بل كان يوجه نقده إلى الحكام والمصلحين وعلماء الدين وأصحاب المذاهب والأدباء وغيرهم ، مما يؤكد أن للمعري موقفاً من المجتمع ، وهذا موقف اصلاحي قبل كل شيء ، وأبو العلاء صاحب هذا الموقف كان في لحظات صفائه وتأمله الذاتي يحس بقيمة المرأة في المجتمع ولذلك غير عن وجهة نظر طيبة في المرأة .

آراء أبي العلاء في الزواج :

كان موقف أبي العلاء من الزواج معروفاً فقد عزف عن الزواج طوال حياته ، وكان قد أعلن في أدبه عن رفضه الزواج ، ودعا الناس إلى ذلك محبباً إليهم حياة الوحدة والزهد في متاع الدنيا كله ، ولا شك أن آراء أبي العلاء في الزواج تصدر عن موقفه الخاص من المرأة لأنه حين رفض الزواج كان قد دعا إلى الإعراض عن المرأة قدر الامكان ، كما أنه لم يقلل من ذمها ثابتاً من أبي العلاء بل كثيراً ما كان يتراجع عن بعض آرائه فيحكم بما يمليه عليه عقله فنجده أحياناً يدعو إلى التزوج ودعا إلى أن يطلب الرجل لسنته زوجاً ، فيقول :

---

[1] اللزوميات ، ج2 ، ص344 ، أقلك : جملك .
[2] ينظر : ظهر الإسلام ، أحمد أمين ، النهضة المصرية ، القاهرة ـ مصر ، 1952م ، ج2 ، ص160 .
[3] الجامع في أخبار أبي العلاء ، محمد الجندي ، مرجع سابق ، ج2 ، ص1960 .

فاطلب لبنتك زوجاً كي يراعيها وخوف ابنك من نسل وتزويج [1].(البسيط)

إن موقفه من الزواج يبدو أنه موقف شخصي أو رؤية ذاتية ولا يعقل أن يكون قد رأى أن يكف الناس جميعاً عن الزواج . ومما يلاحظ على الباحثين أنهم لم يفرقوا بين موقف أبي العلاء من المرأة في جميع حياته العلمية وبين ما يمكن أن يفهم من أدبه تجاه المرأة ، فجاءت آراؤهم تعكس موقف أبي العلاء في حياته الخاصة أكثر مما تعكس رؤيته كشاعر ، والحقيقة أن أبا العلاء لم يكن بأقل حاجة إلى عطف زوج تحنو عليه ، ولكن أسباباً قوية حالت دون زواجه ، ومن ذلك أن أبا العلاء رأى المرأة في عصره عصر حضارة شائحة وفساد طام وأخلاق بائرة فرأها فتنة خطرة ولهواً مشاعاً وإغراء صارخاً وشهوة تسعى ، " فأبو العلاء ينفر من الإقدام على الزواج من المرأة أيا كانت ، والناس يبتعدون عن الفاجرة ولكنهم إذا ما أيقنوا إن لا فرق بين أبناء المعففات وأبناء الفواجر ، فالابتعاد عن المرأة إذن أفضل وأسلم ، ولكنا لا نعتقد أن أحداً يشارك أبا العلاء رأيه هذا إلا من كان على تشابه كبير معه في الخلق والفكر "[2] ،وفي ذلك يقول :

هي النيران تحسن من بعيد وتحرقن الأكف إذا لمسنـــه

أخذن اللبَّ أجمع ظالمات فعدت وما ربعن وما خمسنه

ولولا أنهـن أذى وكيـــد لما أصبحن في كلل حبسنه [3].(الوافر)

فالمرأة نار تهواها الأنفس وهي بعيدة حتى لا تأذى بلهبها ، فإذا ما اقترب منها كان الأذى وكان الشر وكان السوء الذي يصيب الإنسان من النار إن هو لمسها ، ونراه يقرر موقف المرأة وسيطرتها على العقل ، ويعلل لأذى النساء وشرورهن تعليلاً منطقياً ، عندما يرد ذلك إلى ما حبسن فيه من الكلل .

ومع العلم بأنه يكره الزواج فإنه يوصي به للمرأة ؛ لأن زواجها صيانة لها عن الزلل ، على شرط أن يكون زوجها كفوءاً من كل ناحية ، فيقول:

وما حفظ الخريدة مثل بغل تكون به من المتحرمات[4].(الوافر)

---

[1] اللزوميات ، مرجع سابق ، ج1، ص246 .

[2] النزعة الفكرية في اللزوميات ، د. خليل إبراهيم أبو ذياب ، الشركة العربية للنشر والتوزيع ، 1992م ، ص434 .

[3] اللزوميات ، مرجع سابق ، ج2 ، ص474 .

[4] المصدر نفسه ، ج1 ، ص217 ، الخريدة : البكر لم تمسس ، المتحرمات : ذوات المتعة والحرمة .

وقوله :

إذا خطب الزهراء شيخٌ له غنىً وناشئ عدم آثرت من تعانق

وقل غناء عن فتاةٍ ، وزوجها أخو هرم ، أحجالها والمخانق [1].(الطويل)

أما فيما يتعلق بالرجل والزواج فرأي المعري مختلف قليلاً . يجب على الرجل أن يكون عفيفاً مهما تتكاثر حوله المغريات ، وأن يحفظ عليه شبابه بالعفة ليجد منه بقية في أيام الشيخوخة ، يقول :

وصن في الشرخ نفسك عن غوانٍ يزرن مع الكواكب معتمات

فقد يسري الغوي إلـــى مخـــازٍ بجنح في سحائب مثجمات [2].(الوافر)

فأبو العلاء كان يرى نفسه ، ذلك الشيخ الخليل الذي ربما فكر في الزواج بعد أن وجد حاجته ماسة له ، ولكنه ينصح ما كان في مثل سنة بألا يتزوج فتاة صغيرة السن وينصحه إذا أراد أن يتزوج فعليه بالمرأة التي تقدم سنها وكثرت محن الأيام عليها لأنها أصلب عوداً وأكثر قدرة على مجابهة الأحداث [3] ، وفي ذلك يقول :

ولا يتـــأهلن شيـــخ مقـــل بمعصرة من المتنعمات

فإن الفقر عيب ،إن أضيفت إليه السنٌّ جاء بمعظمات

ولكن عرس ذلك بنت دهـــر تجنبت الوجوه محممات

من اللائي إذا لم يجد عـــام تفوقن الحوادث مرزمات

من الشمط اغتزلن بكل عود وأفنين السنين مجرمات[4].(الوافر)

يدعو أبو العلاء إلى الزواج بواحدة فقط ؛ لأن تعدد الزوجات يجلب الكثير من المتاعب ولأن النساء مثل الزجاج إن لم تكن رفيقاً به تكسر وتناثرت أشلاؤه ، ويدعو الرجل في سن الشباب إلى أن يصون نفسه عن التردي في مهاوي الغواية ، فيقول :

وواحدة كفتك ، فلا تجاوز إلى أخرى تجيء بمؤلمات

---

[1] اللزوميات ، ج2 ، ص82 ، الزهراء : الفتاة المتهللة الوجه ، أحجالها : خلاخالها ، المخانق : العقود .

[2] المصدر نفسه ، ج1 ، الشرخ : أول الشباب ، أثجمت السماء : أسرع مطرها ودام .

[3] ينظر : النقد الاجتماعي في آثار أبي العلاء ، مرجع سابق ، ص250 .

[4] اللزوميات ، ج1 ، ص216 ، المعصرة : المرأة بلغت شبابها ، محممات : مسودّات ، الشمط : جمع شمطاء وهي من اختلط سواد شعرها ببياضه .

وإن أزعمت صاحبة بضر فأجدر أن تروع بمرغمات

زجاج إن رفقت به و إلا رأيت ضروبه متفصمات[1].(الوافر)

ومن حسن سياسة الرجل امرأته أن يكون لها هيبة في نفسها ، فإذا ضعف أمامها واستخرى طمعت هي فيه وتنمرت عليه ، وفقد الزوج كل أسباب الحياة المطمئنة ، فيقول :

متى يَطْمَعن فيك يرين تيهاً لأطيب مطعم متأجمات

ويرفعن المقال عليك جهلاً وينفدن الذخاير مغرمات

توهمن الظنون فكن نـــاراً لما أشعرنه متوهـمات[2].(الوافر)

ويتخذ أبو العلاء من الأخلاق ميزاناً يزن به الزوجة والمرأة الصالحة ، فإذا اختل ميزان الأخلاق دعا الزوج إلى طلاقها وهجرانها ، يقول:

إذا ركبت إجـارهـــا ورأيتهـــــا تكلم يومـاً في التسـتر جارها

فبادر إليها البت واهجر وصالهـــا وقل تلك عنسٌ وحل راع هجارها

وإن شاجرت في ابن لها أو كريمة عليها فياسرها وخل شجارها

إذا شئت يوماً أن تقارن حـــــرة من الناس فاختر قومها ونجارها

فمنهن من تعطي الرباح عشيرها ومنهن من تثني بخسر تجارها[3].(الطويل)

فالمرأة الفاضلة عنده هي التي تنحدر من أسرة كريمة ويدعو الرجل إلى البحث عن أصل زوجته في عائلتها لأن منهن الصالحة التي يكسب الزوج بالإقتران بها ، ومنهن التي تلحق بالزوج الخسارة والندم . إلا أن فضل الحلول عنده دائماً هو إلا يتزوج الإنسان حتى أنه يفضل الخصاء على الزواج ، وإن الرجل العاقل هو الذي يستدفئ بنور العقل .

رأي أبي العلاء في الزواج معروف ، إذ أنه لم يتزوج ولم تُعْدِهِ الثؤباء التي أعْدَتْ غيره من الناس ، ولم يجن على غيره كما جنى عليه أبوه ، وقد أثار عزوفه عن الزواج حنق بعض الباحثين فحاولوا أن يفسروه تفسيرات كثيرة ، ومن ذلك ما

---

(1) اللزوميات ، ج1 ، ص217 ، الضِرِّ : الزوجة الثانية ، متفصمات : متكسرات ؛ فصمه : كسره .

(2) المصدر نفسه ، ج1 ، ص214 ، المتأجمات : الغاضبات ؛ تأجم عليه : غضب ، ينفدن : يذهبن .

(3) المصدر نفسه ، ج1 ، ص464 ، الإجار : السطح ، البَتّ :القطع وهنا الطلاق ، العنس : الناقة ، الهجار : حبل تربط به يد الناقة ، الكريمة : الابنة .

رأيناه عند بعضهم حيث ذهب إلى أن أبا العلاء لم يتزوج بسبب عجزه الجنسي ، وقد استدل على هذا الرأي بقوله :

ولدّي سر ليس يمكن ذكره يخفى على البصراء ، وهو نهارُ

أما الهدى فوجدته ما بيننا سـراً ، ولـــكن الضـــلال جهارُ[1].(الكامل)

وفساد الأحوال الاجتماعية العامة في عصره وإفراطه في الغيرة على المرأة كان من أهم الأسباب التي منعته من الزواج ، مضافاً إليه فقره المدفع وعيشته الضنكية مما لا تقبله امرأة في الوجود وإذا لم تكن حياته تلك ليقبلها الداعي الفاطمي كيف تقبلها امرأة ، أما المانع الجنسي أو العجز الجنسي الذي ذهب إليه الأستاذ أمين الخولي فإنه لا يتمشى مع كثير من أقواله في لزومياته ، يقول :

لو أن كل نفوس الناس رائية كرأي نفسي تناءت عن خزاياها

لعطلوا هذه الدنيا فما ولـدوا ولا اقتنوا واستراحوا من رزاياها[2].(البسيط)

"بحث أبو العلاء في متاعب الحياة وآلامها فوجدها طافحة بالشقاء والعذاب والبؤس وهاله أن يرى كل هذا والناس غافلون سائرون في عملياتهم لا يدركون مما يحيط بهم شيئاً ، وأكثر من هذا رآهم يحرصون على الزواج والنسل وكأن هذا الذي يتجرعونه من أوصاب الدنيا شهد مصفّى ، عليهم أن يحرصوا عليه لينالوا منه قسطاً موفوراً ، فذهب يدعو الناس إلى الامتناع عن الزواج والزهد في المرأة ؛ لأنها سبب الشقاء ، ولكي ينفر الناس من الزواج راح يصور لهم الآثار السيئة التي يخلفها الزواج ، ويجسم المآسي عسى أن يعرضوا عنه "[3] ، ونجد تلك الآثار التي تنجم عن الزواج بصفة عامة في كثير من لزومياته فيقول :

صحِبنك فاستفدت بهن ولـدا أصابك من أذاتك بالسمات

ومن رزق البنين فغيرُ نـــاءٍ بذلك عن نوائب مسقمات

وأن تعطَ الإناث فأيُّ بؤس تبين في وجوه مقسمات

يردن بعولة ويردن حليـــا ويلقين الخطوب ملومات[4].(الوافر)

---

[1] اللزوميات ، ج 1 ، ص434 .

[2] المصدر نفسه ، ج2 ، ص584 ، رائية : ترى (القلبيه) ، الرزايا : المصائب .

[3] النزعة الفكرية في اللزوميات ، مرجع سابق ، ص447 .

[4] اللزوميات ، ج1 ، ص211 ، نوائب مسقمات : مصائب جالبات للهم والمرض ، مقسمات : جميلات حسنات .

فهو يسجد الآثار السيئة التي تنجم عن الزواج الذي تسببه المرأة فينتج عنها البنون والبنات الذين يثقلون كاهل الآباء بالتكاليف والأعباء ، وناهيك عما يسببه الأبناء للآباء من أذى ، وما تسببه البنات من عناء لهن ، فهن يردن أن يحسن الآباء اختيار أزواج لهن .

النسل :

كان موقف أبي العلاء من النسل امتداداً لموقفه من الزواج ، وكثيراً ما ربط بين الأمرين ، كقوله :

واطلب لبنتك زوجاً كي يراعيها وخوف ابنك من نسل وتزويج[1].(البسيط)

وفي الوقت الذي نراه يرفض النسل بشدة خاصة في قوله :

لو أنّ بني أفضل أهل عصـــري لما آثرتُ أن أحطى بنسل

فكيف وقـد علمتُ بـأنّ مثلـــي خسيس لا يجيء بغير فسل[2].(الوافر)

نراه يتراجع أو يتساهل في القول بنسل قليل النفع يأتي به الرجل بعد تفكير وروية ، كقوله :

دنيـاك دار كـــل ســاكنهـا متوقع سبباً من النقل

والنّسلُ أفضلُ ما فعْلتَ بها وإذا سعيت له فعَنْ عقل[3].(الكامل)

وقوله من البسيط :

خير النساء اللواتي لا يلدن لكم فإنْ ولدنَ فخير النسل ما نفعا[4].

ويبدو أن رفض المعري للنسل لم يكن قطعيا ، وإنما مذهبه في ذلك أن النسل في المجتمع حافل بالفساد لن يزيد الأمور إلا تعقيداً ، ولن يجلب إلا مزيداً من الشقاء ، كقوله من البسيط :

وأكثر النسل يشقى الوالدان به فليته كان عن آبائه دفعا[5] .

---

(1) اللزوميات ، مرجع سابق ، ج1 ، ص246 .
(2) المصدر نفسه ، ج2 ، ص265 ، الفسل : الرذل الحقير .
(3) المصدر نفسه ، ج2 ، ص279 .
(4) المصدر نفسه ، ج2 ، ص39 .
(5) المصدر نفسه ، ج2 ، ص39 .

ونلتقي برأي لأحد الدارسين يذكر فيه " أنه من الخطأ أن المعري حارب النسل بناء على فلسفته وإنما أخفقت دعوة التوحد وشعر بإخفاقها فيئس من الإصلاح البشري فنادى بالتهديم " [1] .

إن أبا العلاء يرى دنياه شراً أن يرى التناسل تفاقماً لهذالشر : "تناسلوا فنما شر بنسلهم " ثم يراه جناية يجنيها الناسل على ولده لأنهم كما تشقى الدنيا بهم يشقون بها، فيقول من الطويل :

على الولد يجني والد ولو أنهم ولاة على أمصارهم خطباءُ

وزادك بعداً من بنيك وزادهـم عليك حقـوداً أنــهم نجبــاءُ

يرون أباً ألقاهم في مـــؤرَّب من العقد ضلت حل الأرباءُ[2] .

وهو يرى جناية الوالد على أبنائه مضاعفة لأنه إذ يعطيهم الحياة على ما فيها من عنت وبلاء ، يجر عليهم مصير كل حي من غشية الموت وصرعته ، كقوله :

وهذا الدهر بشر بالمنايا فلم فرحت ببشر أم بشر[3].(الوافر)

ولهذا ينصح أبو العلاء بعدم الزواج ، فإذا ألحت على الرجل الغريزة وخاف الإثم ، فله أن يتزوج ولكن إياه والنسل ، فيقول من الطويل :

نصحتك لا تنكح ، فإن خفت مأثما فأعرس ولا تنسل ، فذلك أحزم[4] .

وأسلم وجه للزوج دون نسل زواج العقيم ، كقوله من الطويل أيضاً :

أرى النسل ذنباً للفتى لا يقاله فلا تنكحن الدهر غير عقيم[5] .

" إن أبا العلاء يتناول العلاقة بين الرجل والمرأة على أنها علاقة عجيبة ، وأعجب ما فيها و أغربه عنده ما يعقبها من إنجاب "[6] ، ثم ماذا يرجو الوالدان من الولد ؟ إن كانا يرجوانه لكبرهما فقد ساء الفأل وطاش السهم ، فما نصيبهما منه إلا العقوق، فيقول :

---

(1) المعري ذلك المجهول ، مرجع سابق ، ص35 .

(2) اللزوميات ، مرجع سابق ، ج1 ، ص44 ، النجباء : جمع نجيب وهو الفاضل الكريم ، المؤدب : المحكم .

(3) المصدر نفسه ، ج1 ، ص521 .

(4) المصدر نفسه ، ج2 ، ص304 ، المأثم : الخطأ.

(5) المصدر نفسه ، ج2 ، ص379 .

(6) المتنبي وأبو العلاء المعري ـ رؤية في الإبداع الأدبي ، د. صالح حسن اليظى ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ـ مصر ، د.ط، 1990م ، ص165 .

وكـم ولـد للـوالدين مـضيـــع يجازيهما نجلا بما نجلاه

طوى عنهما القوت الزهيد نفاسةً وجراهُ سارا الحزن وارتحلاه

يعيرهما طرفاً من الغيظ شافنـاً كـأنهما فيما مضى تبـــلاه

ينام إذا ما أدنفـا، وإذا سـرى له الشكوُ بات الغمض ما اكتحلاه

يذم لفرط الغي ما فـعلاه بـه وأحسن وأجمل بالذي فعلاه[1] .(الطويل)

فالناسل يلقى العذاب والشقاء من أولاده أنفسهم وبسبب أولاده .أذى في جسمه وفي ماله وفي جاهه ، ثم إنه يلقى شقاء نفسياً مما يصيب أولاده من مصائب في الحياة :

صحبنك فاستفدت بهن ولداً أصابك من أذاتك بالسمات [2].(الوافر)

"ومع كل ما ينسب المعري إلى الوالداين من الجناية على أولادهم ؛ لأنهم يأتون بهم إلى هذا العالم المملؤ بالشقاء والآلام ، فإنه يحُثّ الأولاد على إكرام آبائهم والمبالغة في إكرام أمهاتهم "[3] ، فيقول :

العيش ماضٍ فأكرم والديك به ، والأم أولى بإكرام وإحسان

وحسبها الحمل والإرضاع تدمنه أمران بالفضل نالا كل إنسان[4].(البسيط)

" إن موقفه من المرأة كان جزءاً من موقفه لقضايا العصر كلها . فتردي الأحوال الاقتصادية وانتهاك الحرمات وانصراف الناس إلى اللذات والمجون والعبث لم يجد معه مفراً من النظر إلى المرأة التي أصبحت عضواً عاطلاً في المجتمع ؛ ولذلك فرّق أبو العلاء بين المرأة الأم التي تشبه أمه ، والتي جاهرت كثيراً وامتازت بالتلقي والورع ، وبين المرأة العاطلة عن العمل التي دعاها إلى أن تعمل بالغزل والنسيج أفضل من أن توجه همها إلى الغزل والغواية . ورأى أن خير ما يستعين به هو زوج يكفل لها قضاء حوائجها المادية والروحية ويدفع عنها غوائل الزمن إلا أن جناية النسل على البشرية أرهقت فكره كثيراً وجعلته يحارب فكرة الزواج حيناً ، ويحبذ العقم حيناً آخر ولا يريد لمزيد من البشر أن ينظموا إلى أرض المعذبين "[5] .

---

[1] اللزوميات ، ج2 ، ص553 -554 ، نجلاً : رفساً ، نفاسة : بخلاً ، تبله : أسقمه وذهب بعقله ، أدنفا: اشتد عليهما المرض.
[2] المصدر نفسه ، ج1 ، ص211 .
[3] دراسات في الأدب والعلم والفلسفة ، مرجع سابق ، ص146 .
[4] اللزوميات ، ج2 ، ص507 ، تدمنه : تلزمهما .
[5] النقد الاجتماعي في آثار أبي العلاء ، مرجع سابق ، ص262 .

ورغم اختلاف الآراء حول موقف أبي العلاء من الزواج والنسل فإن من المرجح أن أبا العلاء كان يعي ما يقول ويعرف ما يفعل ويدرك ما التزم به في حياته ، لقد كان يريد من ذلك أن يثبت لنفسه أكبر قدر من النزاهة والنقاء بالبعد عن المفاسد التي انعمى فيها الآخرين .

لقد كان أبو العلاء لا يخفي نظرته في المرأة التي يراها ـ في عصره ـ فتنة وغواية ، وكذلك النسل الذي كان ـ رغم أهميته ـ مصدراً من مصادر القلق ومشغل من المشاغل وحملاً كبيراً على رجل مثله ، ولذلك لم يكن مستغرباً من رجل مثله أن ينزع نزعة فكرية منتقماً كثيراً من الأفكار التقليدية السائدة والمظاهر السلبية الغالبة على طبيعة العلاقات الإنسانية في المجتمع .

المبحث الثاني

قضية الحياة والموت

عانى أبو العلاء من الحياة أشد العناء وأرهقته بمصائبها المتلاحقة ، وكالت له من نكباتها ما لا طاقة له به ، ومن يرجع إلى تاريخ حياة شيخ المعرة يجد المصائب قد واكبته منذ أن رأى النور في الدنيا ، فأبت عليه الدنيا أن يدرج كما يدرج سائر الأطفال من بينها مستمتعاً بناظريه كما يستمتعون ، فاستردت هاتين الجوهرتين لتتركه للظلام والأشباح في أعقاب السنة الثالثة من عمره ...ومضت به الأيام على طورها المتقلقل حتى قذفته بكارثة أخرى وهي وفاة أبيه ، ولم تمض السنوات حتى فجع بأمه التي وافتها المنية وهو في طريقه إلى المعرة عائداً من بغداد ليراها ، وقد درس أبو العلاء الحياة درساً مستقصياً واعياً ، وقد رأى أن الحياة مملوءة بالشقاء طافحة بالآلام ، وإذا رجعنا إلى اللزوميات لنتبين آراءه في الحياة فإننا نجدها طافحة بتصوير حقيقة الحياة الدنيا التي يحياها الإنسان ذلك لأنه أهتم بها اهتماماً بالغاً ، لآنه كان يهدف من وراء إبراز تلك الآلام والمصائب التي تنفس الناس من الدنيا والحياة ليضعوا حدا لآلامهم وشقائهم بالإعراض عنها ، ولذا وجدناه يهتم بتصوير هذا الجانب وإبرازه في صور منفرده مؤكد أن الحياة ليس فيها إلا الشقاء والبؤس والعذاب ، كقوله :

وقد بلونا العيش أطواره فما وجدنا فيه غير الشقاء[1].(السريع)

فلماذا : إذن الحياة ؟ ولماذا إذن الرغبة في العيش والتهالك على حطام الدنيا وليس فيها إلا الشقاء وإلا السوء ؟ وقد نجد عنده تأكيداً لشقاء الدنيا وسوء الحياة عندما يؤكد أن الحياة ليس فيها صفاء وكل ما فيها كدر وطين ، فيقول :

لا أزعم الصفو مازجاً كدراً بل مزعمي أن كله كدرُ[2].(المنسرح)

فهو يرى بل يؤكد أن الشقاء يستغرق الحياة ويستقطب الدنيا وليس يخالفه شيء من السعادة أو الخير كما يظن هؤلاء الناس مخطئين . بيد أننا نجد عنده تخفيفاً من غلواء رأيه في شقاء الدنيا وبؤس الحياة فيرى أن فيهما شيئاً من السعادة أو الخير ، كقوله :

تسمى سرورا جاهل متخرص ـ بفيه البرى ـ هل الزمان سرور؟

---

(1) اللزوميات ، مرجع سابق ، ج1 ، ص67 .

(2) المصدر نفسه ، ج1 ، ص448 ، تكدر الماء : تعكر .

نعم ، ثم جزء ألوف كثيـــرة من الخير و الأجزاء بعد شرور[1].(الطويل)

فقد خفف من غلوائه فجعل في الدنيا خيراً ولم ينكر الخير في الحياة وهو في حقيقة الأمر ينكره انكاراً شديداً ، فالخير موجود ولكن هو عبارة عن جزء تافه من ألوف مؤلفة من الأجزاء التي هي شر خالص ، ونراه يركز على ذلك في لزومياته لينفذ إلى هدفه الذي دعا الناس طويلاً لتحقيقه ولكن دون جدوى لم يتأثروا بأقواله وكانوا يجدون لذة لا تعدلها لذة في شقاء الدنيا وكأنهم كانوا لا يدركون ولا يتصورون حياة خالية من الشقاء ، ومن صوره لشقاء الدنيا ، قوله :

لعمرك ما الدنيـــا بدار إقامـة ولا الحي في حال السلامة آمن

وإن وليداً حلهـــــا لمعـــذب جرتْ لسواهُ بالسعود الأيامـــن

ونال بنوها ما حبتهم جدودهم على أن جد المرء في الجد كامن[2].(الطويل)

وعلى الرغم مما في الحياة من مصائب و مما تصبه الدنيا على الإنسان من سوء وعذاب تفيض بها فيضاناً لا حدود له ، يقول :

ليالٍ ما تفيق من الرزايا فويحي من عجائبها وويبي[3]. (الوافر)

فبقاء الإنسان واستمراره في الدنيا سمّ زعاف يتجرعه الإنسان متمثلاً فيما يتجرع من كؤوس الشقاء والعذاب " إلا أنه شديد الحرص والبقاء والتشبث بالحياة وهذا ما دهش له فأبدى استغرابه من موقف الناس من الدنيا ، وقد وجدناه يحرص على أن يوضح للإنسان حقيقة وجوده في الدنيا ويكشف له ما يحيط به من سوء وألم ، وأنه لن يخرج من الحياة إلا خاسراً "[4]، فيقول :

ويأمل ساكن الدنيا رباحاً وليس الحيُّ إلا في خسار[5].(الوافر)

ولعل حرصه على خير الناس ورغبته الأكيدة في تجنيبهم ما فيها شقاء هو ما جعله يكثر من تنفير الناس من الحياة والدنيا وما فيها من شقاء ، ولعل رأفته بالناس

ورحمته بهم هما سبب حرصه على دعوته إياهم للإعراض عن الدنيا لأنها تخلو من كل خير يسعى إليه الناس ، فيقول :

---

(1) اللزوميات ، ج1 ، ص395 ، المتخرص : الكاذب ، البرى : التراب .
(2) المصدر نفسه ، ج2 ، ص438 ، الأيامن : هي الطيور التي تتجه يمياً ، وتسمى السوائح ، حبتهم : منحتهم .
(3) المصدر نفسه ، ج1 ، ص174 ، الويب : الطويل .
(4) النزعة الفكرية في اللزوميات ، مرجع سابق ، ص28 .
(5) ينظر : اللزوميات ، ج1 ، ص528 .

لو كنت رائد قوم ظاعنين إلى دنياك هذي لما ألفيـــت كذابـــا

لقلتُ : تلك بـلاد نبتها ســـقـــم وماؤها العذب سمّ للفتـــــى ذابـا

هي العذاب فجدوّا في ترحلكم إلى سواها وخلوا الــدار إعذابـا

وما تهذب يوم من مكارههـــا أو بعض يوم فحثوا السير إهذابا

خبرتكم بيقيـــن غير مؤتشب ولم أكن في حبال المين جذابـــا[1].(البسيط)

فحب الدنيا والرغبة في الحياة غريزة فطر الله عليها الناس ولا يستطيع أحد أن يتخلص من ربقة ذلك الحب ويتحلل من سطوة تلك الرغبة ، ويؤكد ذلك في كثير من لزومياته على نحو ما نرى في قوله :

كأن المهيمن أوصى النفــوس بعيش الحياة و إحبابها[2].(المتقارب)

وكذلك قوله :

من ذا يلومك في هواك مسيئة كل الأنام بحبها كلف سدم[3].(الكامل)

ويقول أيضاً :

لو أن عشقك للدنيا له شبـــح أبديته فملأت السفح والجبلا[4].(البسيط)

ــ هناك جانب آخر اهتم به أبو العلاء في الحياة الدنيا وهو الموت الذي كتب على سائر الأحياء ولن ينجو منه أحد ، وهو في هذا الجانب يظهر ذكاءه لينفر الناس حقيقة من الدنيا التي مصيرها الفناء ويعلن لهم أنها لن تخلص من السوء والشقاء والعذاب والشر ، فمهما نال الإنسان من متاع الدنيا وحقق من آمالها فلن يخلص له كل ذلك ولن تتم سعادته ولن ينعم بذلك الخير لأن الموت يتربص به في كل فج ، يقول :

هب الفتى نال أقصى ما يؤمله أليس راعي المنايا خلفه حطم[5].(البسيط)

ونجده ينكر الحياة وينكر على الناس تهافتهم عليها مادام مصيرها الفناء ومادام الموت يرقبهم من وراء كل ثنية ومن خلف كل مرقب ويترصدهم في كل طريق ويؤكد لهم أن الموت نهاية آلام الإنسان التي يكابدها في الدنيا ، فيقول :

---

(1) اللزوميات ج1 ، ص111 ، الإعذاب : الترك والإعراض ، الإهذاب : السير السريع ، المؤتشب : الزائف ، العين : الكذب.
(2) المصدر نفسه ، ج1 ، ص161 .
(3) المصدر نفسه ، ج2 ، ص423 ، المسيئة : الدنيا ، السدم : الحريص على الشيء .
(4) المصدر نفسه ، ج2 ، ص201 ، الشبح : الشخص .
(5) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 328 .

بقائي في الدنيا على رزيـــة وهل أنا إلا غابر مثل ذاهب ؟

إذا خلق الإنسان ظل حِمامُهُ وإن نال يُسراً ،من أجل المواهب

تقادم عمر الدهر حتى كأنما نجوم الليالي شيب هذي الغياهب[1].(الطويل)

ونجده يتعجل الموت ليخلص من شقائه ويضع حدا لآلامه ،يقول:

مللتُ عيشي فعوجي يا منية بي ودُقتُ فنيه من بؤسٍ ومن رغدِ[2].(البسيط)

فالموت هو مأساة الإنسانية الكبرى ، وكان طبيعياً من أبي العلاء أن يهتم بهذه المأساة لما لها من وثيق الصلة والارتباط بآرائه ونظراته إلى الحياة الدنيا ، " فالموت داء يصيب الإنسانية كافة ولن تجد له دواء وشفاء عند أحد مهما كان حاذقاً في الطب وذلك إرادة الله سبحانه وتعالى التي أمضاها في الإنسانية منذ ذرأها ، ومهما حاول الإنسان الإفلات من الموت والخلاص منه فلن يستطيع ذلك ولذا فالموت يعرفه الجميع لأنه صادف الجميع في الدنيا فهو أصح شيء ولا يستطيع أحد إنكاره "[3]، فيقول :

والموت أصدق حادث وأصحُّه وكأنه كذب يُسرُّ فينغمُ[4].(الكامل)

ومهما حاول الإنسان أن يستشفى من ذلك الداء فإنه لابد من أن يشرب كأس المنية التي فرض على الجميع شربها ، فيقول :

وللموت كأس تكره النفس شربها ولابد يوماً أن نكون لها شرباً[5].(الطويل)

ومادام الموت كأساً ، يتجرعها الجميع فمن الأفضل إذن أن يموت الإنسان ميتة شريفة ، فيقول :

---

(1) اللزوميات ، ج1 ، ص134 ، الرزية : مخففة من رزيئة ، وهي المصيبة ، الغياهب : الظلمات .
(2) المصدر نفسه ، ج1 ، ص 349 ، عوجي : ميلي ، فنيه : ضربيه .
(3) النزعة الفكرية في اللزوميات ، مرجع سابق ، ص34 .
(4) اللزوميات ، ج2 ، ص 339 .
(5) المصدر نفسه ، ج1 ، ص104 .

من السعد في دنياك أن يهلك الفتى بهيجاء يغشى أهلها الطعن والضربا

فـإن قبيحا بالمسـود ضجعة على فرشه يشكو إلى النفر الكربا

ولي شرق بالحتف ما هو مغرب أيممتُ شرقاً في المسالك أم غربا[1].(الطويل)

وواضح أنه قد ألمَّ المتنبي المشهور :

وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تكون جبانا[2].

ونجد عنده تصويراً رائعاً للموت وحتميته وأنه لابد نازل بكل حيّ على أديم الأرض وفي هذه الدنيا في كثير من لزومياته كقوله :

زاره حتفه فقطب للمـــــوت ألقي من بعدها التقطيبا

زودوه طيبا ليلحـق بالنـــاس وحسب الدفين بالترب طيبا

نام في قبره ووســـد يمنـــاه فخلـناه قـام فـينا خطـيبا

للمنايـا حواطـــب لا تبالـــى أهشيما حرت لها أم رطيبا

صرفت كأسها فلم تسق شربا مرة خالصا وأخرى قطيبا[3].(الخفيف)

ونجد عنده تفسيرات وصوراً كثيرة يستخدمها لتوضيح حقيقة الموت ، فيرى في بعضها أنها عدوى تصيب الإنسان وخصوصاً الأبناء من آبائهم ، فيقول :

والده خصّه بعدوى من موته ،والحمامُ يُعدِي[4].(مخلع البسيط)

ونراه يولّد من حتمية الموت كثيراً من الصور الرائعة المبدعة من مثل تصويره الموت بعدوى تنتقل من الآباء إلى الأبناء وأنها لا علاج لها ولا يجدي معها علم الطبيب وحذقه ، أما الزاوية الأخرى التي عالج منها مشكلة الموت فهي أن الموت كتب على الجميع فنراه يقول :

وادٍ من الموت الـــزؤام وكلنـــا أشفى ليدفع فوق جرف الوادي

سفر يطول من الأنام على كرى من غفلة وكرى من الأزواد[5].(الكامل)

---

(1) اللزوميات ، ج1 ، ص104 ، ضجعة : نومة ، الحتف : الموت .

(2) ينظر:ديوان المتنبي ، تح .عبد الوهاب عزام ، طبعه لجنة التأليف والترجمة ، 1944م، ص470 .

(3) اللزوميات ، ج1 ، ص119 ، الهشيم : العشب اليابس ، الرطيب : المبتل اليانع ، القطيب : الممزوج .

(4) المصدر نفسه ، ج1 ، ص355 .

(5) المصدر نفسه ، ج1 ، ص366 ، أشفى : أشرف ، الكرى : النعاس ، كرى الثاني : النقص.

ونراه يقول مرة أخرى :

على الموت يجتاز المعاشر كلهم مقيم بأهليه ومن يتغرب[1] .(الطويل)

وكذلك قوله :

هو الموت من ينجُ من رامـــــح فلابد من أسهم النابـــــل[2].(المتقارب)

تفاقم إحساس أبي العلاء بعجزه الجسدي ، ليصبح موقفاً إنسانياً من الوجود ، وقد حظى سقط الزند بكثير من مراثي أبي العلاء الإنسانية العالية ، فقد كان موت الأب بالنسبة إلى أبي العلاء مختلفاً اختلافاً كاملاً في تأثيره عليه عن موت الأم ، فقد كان موت الأب بمنزلة الانتباه الأول للموت ، فيقول :

لقد مسخت قلب وفاتك طائـراً فأقسم أن لا يستقـر علـــي وكـن

يقضي بقايا عيشه ، وجناحـه حثيث الدواعي في الإقامة والظعن

كأن دعاء الموت باسمك نكزة فرت جسدي ،والسم ينفث في أذني[2](الطويل)

كان موت الأب هو النكزة التي لمست أركانه المتهيئة للشعور المأساوي ، والتساؤل عن الحقيقة ،" لكن أبا العلاء توقف عن رثاء الأشخاص بعد أن رثي أمه "[3] ، أي أنه بدأ مرحلة جديدة من الرثاء ، ومن النظر إلى الوجود ، هذه المرحلة الجديدة هي العزلة ، العزلة في أدق صورة ، وأكملها من الناحية النفسية ، والمادية ، فموت الأم كان فقداً حقيقياً لبصره ، فقداً لجذوره وانتمائه ، موت الأم أشعره بغربة خاصة هي غربة فقد الأحبة .

كان موت الأم هو موت الذات بالنسبة لأبي العلاء المعري ؛ لأنه أمات العلاقة بينه والحياة في عمومها ، تلك الحياة التي كان يحاول ترويضها ، وإرغامها على تقبله في آخر محاولة يائسة هي رحلة بغداد ، بل كان موت الأم هو موت الإمكانية في حياة أبي العلاء ، يقول في إحدى رسائله إلى خاله أبي سبيكة ، بعد وفاتها :

" لا آمل بعدها خيراً ، ولا أزيد في المحن إلا إيضاعا ويسرا " [4].

---

[1] اللزوميات ، ج1 ، ص82 .
[2] المصدر نفسه ، ج2 ، ص289 ، النابل : رامي السهم .
[3] سقط الزند ، مرجع سابق ، ص63 .
[4] مع أبي العلاء في رحلة حياته ، د. عائشة عبد الرحمن ، ط1 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لبنان ، 1972م ، ص77.
[5] الشعر العربي القديم ، مرجع سابق ، ص197 .

فبرغم كون الموت الحقيقة الوحيدة في الحياة ، فإن أبا العلاء يستشعر تمرد الروح عليه ، والتي تعاني الروع في دنوها منه ، فيقول :

تراع إذا تحس إلى ثراها إياباً ، وهو منصبها القرابُ[1] (الوافر)

وحين يقول أبو العلاء أن القيمة الوحيدة المتحصلة من الوجود هي الموت فإنه لا ينظر بذلك إلى الوجود نظرة سوية مكتملة ، لا يراه حياة ، وموتاً معاً ، بل يراه موتاً فقط ، فيقول :

لو نُخِلَ العيشُ لما حصلتْ شيئاً سوى الموتِ يد الناخِلِ [2](السريع)

وكأنه بهذا القول يدعو الحياة كلها إلى الموت ، منكراً على الأحياء الاطمئنان إلى العيش ، حيث يكون الموت طردية متواصلة ، تنال القوي فما بال الضعيف ، يقول :

فأرقبي يا عصماءُ يوماً ولو أنك في رأس شاهقٍ عصاءُ[3].(الخفيف)

أن أبا العلاء حين يصور تخاذل الأقوياء أمام قوة الموت إنما يقوم بعملية تعويض نفسي عن عجزه ، وعلى الرغم من وحشية الموت ، وقدومه الحتمي ، فإن لأبي العلاء حاجة فيه ، فيقول :

أسخطه البين ثم أرضته عقباهُ ، فنال الرضى من السخط[4].(المنسرح)

" وما أقسى أن يكون الموت أهلاً للشاعر ، واستدرك فأقول : إن الخلاص بالموت لم يكن أصلاً لأبي العلاء ، بل كل من هذيان أمانيه " [5]

ولابد لأبي العلاء الذي أقعده بصره 'وأشعره بدرجة من درجات الموت '_لابد له – أن يشتهي الموت حيث العجز موت بطئ قاتل 'يقول :

طال الثواء 'وقد أنى لمفاصلي أن تستبد بضمها صحراؤها

فترت ' ولم تفتر لشرب مدامةٍ بل للخطوب يغولها إسراؤها [6].(الكامل)

---

[1] اللزوميات ، مرجع سابق ، ج1 ، ص91 ، تحسُّ : تساق وتقاد .
[2] المصدر نفسه ، ج2 ، ص280 .
[3] المصدر نفسه ، ج1 ، ص57 .
[4] المصدر نفسه ، ج2 ، ص 16 ، العقبى : الآخرة .
[5] الشعر العربي القديم ، مرجع سابق ، ص200 .
[6] اللزوميات ، ج1 ، ص54 ، الثواء : الإقامة بالمكان ، فترت : ضعفت ، يغولها : يهلكها .

ونراه في صورة أخرى يوضح أن ,الحياة في طرفيها : البداية والنهاية متشابهة ' لا فرق بين مشهد الموت ومشهد الميلاد ، فصيحة البشير بمولود يستقبل الحياة لا تختلف عن صيحة النعيّ براحل يودّع الحياة" [1]، تماماً كما يختلط في السمع صوت الحمامة فوق غصنها فلا ندري أهو غناء أم بكاء :

غيرُ مجدْ في ملتى واعتقادي نوحُ باكٍ ولا ترنمُّ شـــادٍ

وشبيه صوت النعي إذا قيس بصوت البشير في كلً ناد

أبكت تلكم الحمامة أم غنت على فرع غصنها الميادِ؟[2].(الخفيف)

وإذا كانت الحياة إلى فناء ، وإذا كان كل حي يتحول في النهاية إلى تراب هذه الأرض التي ظلت تستقبل أفواج الموتى منذ بدأ الله الخلق ، وستظل تستقبلها حتى يوم القيامة ، لابد أن يكون من أجساد هؤلاء الموتى ، وكأننا حين نسير فوقها نسير فوق الأجساد ، وهو لهذا يرسل صيحته الإنسانية بأن يخفف الإنسان من وطئه على الأرض ، يقول:

صاح هذي قبورنا تملأ الرحب ، فأين القبور من عهد عاد ؟

خفف الوطء إما أظن أديم الأرض إلا من هـــذه الأجســـاد

وقبيــح بنا ، وإن قــدم الــعهـــــد هـوان الآبـــاء والأجـــداد

سر ، إن اسطعت في الهواء رويداً لا اختيالاً على رفات العبادِ[3].(الخفيف)

ثم في مزيج من السخرية المُرَّة واليأس الحزين من مصير الإنسان في الحياة ، يرسم هذه الصورة التي تفيض بالسخرية الحزينة من هذا المصير الذي قد يجمع في النهاية بين الأعداء والخصوم في قبر واحد :

رُبَّ لحد قد صار لحداً مراراً ضاحكٍ من تزاحم الأضداد

ودفـين على بقـــايا دفـيـــن في طويل الأزمان و الآباد [4].(الحفيف)

وإذا كان هو المصير المحتوم فَفِيْمَ حرص الإنسان على الحياة ؟

---

[1] في الشعر العباسي نحو منهج جديد ، مرجع سابق ، ص167 .
[2] سقط الزند مرجع سابق ، ص49 .
[3] المصدر نفسه ، ص50 ، الرحب : من رحُب الشيء أي اتسع ، أديم الأرض : ظاهرها .
[4] المصدر نفسه ، ص50 ، اللحد : القبر ، الآباد : الأزمة.

تعب كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب في ازدياد[1].(الخفيف)

ثم تعود إليه حيرته أمام قضية الموت والحياة ، ويحاول أن يتعمق فيها فيما انتهى إليه وكأنه راجع نفسه فيه ، فالبداية والنهاية متشابهان ، ولكن الحقيقة أن حزن الإنسان على رحل يودعه لإضعاف سروره بقادم إلى الحياه يستقبله . والموت مصير كل حي ، ولكن هل الموت عند التأمل فناء ؟ هل فناء الجسد عند الموت يعني فناء الحياة ؟ إذن فإين الروح ؟ وإلى أين المصير ؟

إن حزناً في ساعة الموت أضعاف سرور ، في ساعة الميلاد

خـلق النـاس للبقـــاء ، فضـلت أمة يحسبونـــهم للنفـــادِ

إنما ينقـلون مـن دار أعمـــــال إلى دار شقوةٍ ، أو رشـادٍ

ضجعة الموت رقدة يستريح الجسم فيها ،والعيش مثل السهاد[2].(الخفيف)

وفي أبيات رائعة يتصدى أبو العلاء لمدح الموت ، وبيان فضائله ،مفرقاً بين الحياة والموت بفارق واحد : الحركة والجهد ، فالحياة حيوية وعناء وسعي ، والموت همود ، خمول ...ولابد أن يطيب الموت لأبي العلاء إذا كان معناه السكون والراحة من الشقاء ، لأنه يداوي جرحه الأول : جرحه من عجز بصره ،فالحديث عموما عن الموت يهدده لأنه يساعده على أن يخفي عجزه في طيات عجز البشرية قبالة الموت ،فيصبح لسكونه وتوقفه مبرراً قوياً منضويا تحت مبرر الجمع البشري ،وضعفه ،ويضيع الإحساس بالأزمة الفردية"[3] .

يقول :

يدل على فضل الممات وكونه إراحة جسم أن مسلكه صعب

ألم تر أن المجد ،تلقاك دونه شدائد ،من أمثالها وجب الرعب

إذا افترقت أجزاؤنا ،حط ثقلنا ونحمل عبئا ،حين يلتئم الشعب

وأمس ،ثوى راعيك وهو مودع ولو كان حيا ،قام في يده قعب[4].(الطويل)

---

(1) سقط الزند ، ص51 .

(2) المصدر نفسه ، ص51-52 ، النفاذ : الهلاك ، الضجعة : المرة من الاضجاع الذي مصدر اضّجع أي وضع جنبه بالأرض ، السهاد : الأرق وقلة النوم .

(3) الشعر العربي القديم ، مرجع سابق ، ص202 .

(4) اللزوميات ، ج1 ، ص79 ، الشعب : المتفرق ، ثوى : مات ، القعب : كأس الشراب الكبيرة .

وعلى هذه الشاكلة يعالج شيخ المعرة حتمية الموت على الجميع في هذه الدنيا ،وليس الموت حتما على الجميع فحسب وإنما هو كذلك لا يفرق بينهم ،فكلهم أمام الموت سواء يسقيهم من كأسه دونما تفريق بين ملك وسوقه ،ولا فرق في ذلك بين شارب الماء وشارب المُدام وشارب الحليب ،فكلهم يشربون من كأس الموت التي كُتب علي كل حى أن يتجرعها ،يقول :

والمنايا كالأسد تفترس الأحياء جمعاً ولا تعافُ الكليبا

مثلما قيل في جرير أخي القول يصيد الكركي والعندليبا

كم سقينَ الحمام شارب مـــــاء ومُدام أو من يسقى حليبا

تفرعُ الشامخ المنيف من الشمم وتهوى فتستبيح القليبا [1].(الخفيف)

فالإنسان بعد الموت لا يحس شيئاً ،وأن الإحساس بما في الكون مما يحيط به ينعدم تماماً بعد الموت ، ويتخذ هذه الناحية ليشير إلى غرض كبير المعنى لمسه في حياة الناس من ذم ومدح للموت ،فهو هنا يريد أن يقول للناس إن مدحهم وثناءهم لن يفيدا الموت شيئاً وكذلك ذمهم وقدحهم لن يضرهم شيئاً ،فقد انعدم اتصال هؤلاء الموتى بالحياة بهذه النقلة إلى ذلك العالم المجهول ؛ ولذلك يقول من الطويل :

إذا غيبـونى لـم أبـال متـــى هفـــا نسيم شمـــال أو نسيـــم جنوب

فهل عاينوا في مضجعى لجرائمـــى كتائب من زنـــج تروع ونوب ؟

وهل يجعل الأرض التي ابيضّ لونها كلون الحرار الحمس لون تنوبى ؟[2].

وعلى هذا النحو عالج أبو العلاء مشكلة الموت في حياة الإنسان ورأى أنه حتم على جميع الكائنات في الدنيا وأنه لا يفرق بين أحد من الناس فكلهم أمامه سواسية ، ثم يرى أن الموت راحة من الشقاء الذي يكابده الإنسان في دنياه ، وأنه السبيل الوحيد لخلاصه من عنائه وآلامه ، ومن الحق أن " أبا العلاء في موقفه من مشكلة الحياة والموت يعد امتداداً لشاعرين شغلا بهذه المشكلة : أبي العتاهية والمتنبي ، فالثلاثة يشتركون في إحساسهم الحاد بمشكلة الحياة ، وفي تفكيرهم فيما وراءها من مصير، ولكن أبا العتاهية وقف من المشكلة موقفاً عاطفياً يسوده الاستسلام للحياة ، والاطمئنان إلى مابعد الموت ، ويتجلى فيه الإيمان الديني في أقوى صوره في حين يختفي منه الشك الفلسفي بصورة واضحة ، ... أما المتنبي فإنه يقف من الحياة

---

[1] اللزوميات ، ج1 ، ص120 ، الكركي : طائر مائي ، الشم : جمع أشم وهو مرتفع الرأس .

[2] المصدر نفسه ، ج1 ، ص136 ، الحمس : الأكنة الصلبة .

موقفاً ثوريا متمردا حاقدا عليها ، لا لأنه يكرهها ويرفضها ؛ ولكن لأنه يحبها ويحرص عليها ويريد أن يخضعها لكل ما يريده منها . إنه يقف موقف المتعالي عليها الذي يريد أن يذلها ويفرض إرادته عليها ، وأما أبو العلاء فموقفه منها موقف فلسفي هادئ يتحكم فيه العقل الذي لا يؤمن إلا بالحس ، أما ما وراء الحس مما لا يصل إليه العقل فعالم مجهول يحيط به الشك وتكتنفه الحيرة ويغشيه ضباب كثيف يحجب الرؤية ويرد البصر " [1].

[1] في الشعر العباسي ، مرجع سابق ، ص176 .

المبحث الثالث

قضية الخير والشر

الخير والشر اسمان يطلقان على مفهومين مختلفين في الوجود ، ويخضعان في تعريفهما للأفكار التي يرثها أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية التي عمرت الأرض أما يعرف بالتقاليد أو العرف الذي يخضع له هذا المجتمع أو ذاك ، لذا فالاختلاف كبير بين أمم الأرض في مفهوم الخير والشر ، وفي نظراتها إليهما ، ولكن مفهوم الخير والشر عند الأمة الإسلامية هو ما أوضحه الدين الإسلامي الحنيف الذي يعتبر كلا من أعمال الناس وتصرفاتهم وفق هذا المفهوم " فالخير في نظر الدين هو ما يؤدي إلى منفعة الناس بحيث لا يصيب أحداً بضرر ، أو ما يكون نفعه أكثر من ضرره ، بحيث لا يتوصل إليه بشيء من الضرر كما نرى ذلك في كثير من ظواهر الكون ، أما ما يعلمه الناس فقد حدده الدين تحديداً دقيقاً وخصص له ما يعرف في الفقه بالمعاملات فما لا يثبت الضرر أو الأذى لأحد من الناس ولا يتعارض ومبادئ الإسلام ومفاهيمه وقيمه وأفكاره ، أما الشر ، فهو يتنافى ومنفعة الناس "[1] ، ولهذا فمن الطبيعي أن يتعارض ومفاهيم الإسلام خلافاً لما ذهب إليه بعض الفلاسفة من أن مفهوم الخير والشر يعود إلى العقل لا إلى الشرع ، فما يراه العقل خيراً فهو خير وما يراه العقل شراً فهو شر .

بحث الفلاسفة و المسلمون قضية الخير والشر بحثاً ضافياً في مؤلفاتهم ، وتوسعوا في تعريف كل من الخير والشر وتحديد مفهومهما وتوضيح الفرق بينهما ، وقد اختلفوا اختلافاً كبيراً تبعاً لاختلاف نظراتهم ومقاييسهم ، فالمهم في هذا المقام أن نوضح أن أبا العلاء اختلف عن هؤلاء في تناوله للمسألة فهو لم يبحثها بحثاً فلسفياً عقلياً ، ولم يتوقف عندها ليحدد المفاهيم والخصائص ومسائل الخلاف ، وإنما بحثها من زاوية نفسيته القلقة ونظرته الخاصة للحياة والناس ، خاصة أنه يصدر في أكثر ما قاله عن إحساس عميق بما في الحياة من فساد وشرور وعن رغبة صادقة في الإصلاح ، " فقد عالج أبو العلاء مفهوم الخير والشر في لزومياته على ضوء أفكاره وآرائه . الذين عاشرهم وعاش بين ظهرانيهم ، على أنه لم يقصد في ذلك أهل عصره فحسب وإنما كان يقصد ، سائر الناس في كل زمان ومكان ، ولم يكن يخص أحداً بعينه ، وإذا أردنا أن نتعرف آراءه في الخير والشر فا لزومياته توضح تلك الآراء والأفكار ، وأول مانراه أن الخير والشر في فلسفته يعيشان معاً في هذه

[1] النزعة الفكرية في اللزوميات ، مرجع سابق ، ص330 .

الحياة ممتزجين لا انفصال بينهما ، فهكذا خلقهما الله منذ أن خلق البشر ، فمع خلق آدم وحواء خلق معهما الخير والشر متلازمين لا يفترقان "[1] ، فيقول من البسيط :

والخير والشر ممزوجان ما افترقا فكل شهدٍ عليه الصَّابُ مَدْرُورُ[2] .

فانظر إليه كيف شبه التزام الخير والشر وعمد افتراقهما بالشهد الذي نثر عليه الصاب فإذا كان هناك خير فلابد أن يكون معه شر في هذا الوجود ، ولكن كيف يقع الخير والشر في حياة الناس ؟ وماذا يكن نصيب الإنسان منهما ؟ ، يقول من الطويل:

بدا عارضا خيراً وشراً لشائم وما استويا في الخطب إذ وبلاه[3].

الخير والشر كسحابتين تهطلان على إنسان يرقبهما ، ولكنهما لايستويان فيما تسقطانه من مطر ، فسحابة الشر أكثر مطراً وأعم من الخير ، في حين يكون الخير نادراً لا يكاد يذكر إلى جانب ما يصيبه من الشر ، وقد نرى من هذا البيت نظرته القاتمة إلى وجود الإنسان في الدنيا ، فلماذايوجد الإنسان وقد وجد الخير والشر فغلب الشر ؟ ولماذا يوجد الشر مادام الإنسان قد وجد ؟ ولكن لابد من غلبة أحدهما على الآخر ووجود الاثنين على هذا النحو الذي أراده الله لتنفذ تلك الإرادة في الإنسان الذي عصى ربه فكان نصيبه هذا الشقاء الكثير وهذا الشر العميم والخير القليل .

هنا يركز على غلبة الشر على الخير واشتهاره في الوجود حيث يقول :

والشر مشتهر المكان معرف والخير يلمح من وراء خمار[4].(الكامل)

فالشر معلم معروف ومكانه واضح المسالك لا يخفى على أحد ، أما الخير فلا يكاد أحد يراه إذ أنه استتر عن عيونهم ، ونراه يؤكد أن الناس يتصارعون إلى الشر ويلهثون في أعقابه ويخضعون له في حين لا يكاد أحدهم يلتفت إلى قرينه " الخير" فيرى أن من واجبه أن يؤديه في حياته تنفيذاً لأمر الدين :

والخير أزهر ما إليه مسارع والشر أكدر ليس عنه محجم[5].(الكامل)

فهو يبرز هذه الفكرة بالطباق لأنه أقدر على توضيح المعنى وإبرازه وتبيان الغرض حيث يرى أن الخير يشبه في إشراقه ونوره الشمس أو القمر ولكن أحد لا يسرع

---

[1] في الشعر العباسي ، مرجع سابق ، ص139 .
[2] اللزوميات ، ج1 ، ص407 ، الصاب : جمع الصَّابة وهي شجرة مرَّة .
[3] المصدر نفسه ، ج2 ، ص553 ، العارض : السحاب ، وبل : أمطر .
[4] المصدر نفسه ، ج1 ، ص541 .
[5] المصدر نفسه ،ج2 ، ص332 ، أزهر : أبيض ، أحجم عن الأمر : ابتعد عنه .

إلى عمله ونشره ، في حين أن الشر أكدر شيء ؛ ومع ذلك لا يوجد أحد يحجم عنه فلا يقترفه ولا يخضع لإرادته .

ونراه يوضح كيف يحارب الخير وينصر الشر فما نلمح فيه مصداقا لنظرات الشاعر الحكيم ويؤكد أمثاله قوله من إحدى لزومياته من البسيط :

ومنشد الخير لا تصغي له أذن قد ضلَّ مذ كانت الدنيا فما نشدا[1] .

فالداعي إلى الخير في الناس الذين فطروا على الشر والفساد منذ خلقت الدنيا جاهل ضال لأنه إنما يدعو من جبلوا على الشر ما يتنافى وجبلتهم وتكوينهم وهو الخير ، ونلاحظ أنه يهتم بهذه الفكرة اهتماماً كبيراً فيولد منها مجموعة من الصور الفنية تمتاز بالطرافة والجدة ، يقول من البسيط :

الخير كالعرفج المطحور حرقه راع ببـــطءٍ ولمــا أن ذكــا خمــدا

والشر كالنار شبت ليلها بغضا يأتي على جمرها دهر وما همدا[2].

فقد شبه الخير بهذا النبات الذي لا يبقى فيه نار ولا يخلف جمرا فما أن يشتغل حتى تخمد ناره وأراد أن يضيف إلى هذه الصورة وصف هذا النبات بأنه معطور ليؤكد قلة ما ينبعث منه من نار سرعان ما ينطفئ ، في حين رسم صورة للشر فقد جعله كشجر الغضا المشهور باستمرار ناره وتلهبها وتأجج جمره طويلاً ، وهذا يعني تأكيد بقاء الشر في نفوس الناس وندرة الخير عندهم .

ولكن ما موقف أبي العلاء وآراؤه من الخير وحده ؟ .

الخير محبوب يرغب فيه الناس ويحبونه ، ولكنهم لا يعملون على نشره في حياتهم لأنهم إن لم يعجزوا عن أدانه فهم يكسلون عن ذلك ، كقوله:

والخــير مـحبوب ولـكنه يعجز عن الحي أو يكسل[3].(السريع)

ويؤكد مرة أخرى وضوح سبل الخير للناس ومعرفتهم لها ولكنهم لا يتبعونها لسيطرة الشر على نفوسهم وغلبته ، كقوله من الطويل :

فإن سبيل الخير للحي واضح إلى يوم يقضي ثم تنقطع السبل[4] .

---

(1) اللزوميات ، ج1 ، ص324 .

(2) المصدر نفسه ، ج1 ، ص323 ، العرفج : شجر صغير سريع الأشتعال ، المطحور : المرمي المنتشر في الأرض ، ضرمه: أشعله ، الغضاة : نوع من الشجر .

(3) المصدر نفسه ، ج2 ، ص190 .

(4) المصدر نفسه ، ج2 ، ص158 ، الحي : المرء .

ويرى أن الخير أفضل من سائر اعتقادات الإنسان وأفكاره في هذه الدنيا ، فيقول من الكامل :

والخير أفضل من اعتقدت فلا تكن هملا وصل لقبلة أو زمزم[1].

ويذكر أيضاً رأي الناس في أفضلية الخير عن سواه ،وقوله من الطويل :

ويعلم كلُّ أن للخير موضعاً وفضلاً عن إثباته أجتمع الدهم[2].

ويؤكد لنا ندرة الخير في قوله من البسيط :

الخير يندر تارات فنعرفـــه ولا يقاس على حرف إذا ندرا[3].

وقد صور ندرة الخير واستغراق الشر في صورة تمتاز بالطرافة والروعة والجمال في قوله :

وقد أسفت لخير إذ علمت به وما أسفت عليه كيف لم يدم[4].(البسيط)

أما رأيه في الشر فهو واضح بالمقارنة إلى رأيه في الخير ، فقد خصص المعري بعض أقواله في الشر وحده أيضاً ، ومن ذلك قوله من الكامل:

إن الشرور لكالسحابة أثجمت لا كالسرور كأنه برق خلب[5].

وقوله :

الشر جم من تسلم له إبـــل من غارة الجيش يتركها لخراب[6].

ويؤكد أن الشر طبع في الإنسان خلق معه أيضاً ، في قوله من البسيط :

الشر طبع ودنيا المرء قائدة إلى دناياه والأهواء أهوال[7].

وقوله من البسيط :

والشر طبع وقد بثت غريزته مقسومة بين أنواع وأجناس[8].

---

(1) اللزوميات : ج2 ، ص405 ، هملاً : سائباً بلا راع ، زمزم : كن مجوسياً .
(2) المصدر نفسه ، ج2 ، ص302 ، الدهم : العدد :الكثير .
(3) المصدر نفسه ، ج1 ، ص470 ، إذا ندرا : إذا كان غريباً غير مألوف .
(4) المصدر نفسه ، ج2 ، ص386 .
(5) المصدر نفسه ، ج1 ، ص163 ، أثجمت : أسرع مطرها ودام ، برق خلب : لامطر يليه .
(6) المصدر نفسه ، ج1 ، ص143 ، الجم : الكثير ، الخراب : جمع الخارب وهو السارق .
(7) المصدر نفسه ، ج2 ، ص170 ، الدنايا : الشرور والمفاسد .
(8) المصدر نفسه ، ج1 ، ص639 .

وعلى ما سبق نلاحظ أن المعري يعالج مشكلة الخير والشر في لزومياته فيرى أن الخير نادر ولا قدرة للناس على أدائه ونشره . في حين أن الشر متأصل في نفوسهم وجد معهم منذ وجدوا .

نلاحظ من عرضه لآرائه في الخير والشر إنه يتناوله من جوانبه المتعددة ، فيبحث في الخير ثم يبحث في الشر ويشير إلى امتزاجهما ، ويخلص إلى أن الشر في الوجود أغلب من الخير ، ويرى أن الشر غريزة فطر عليها آدم عليه السلام وأورثه أبناءه وأحفاده بعده ، ومن هنا ندرك أن بحثه لهذه المشكلة بحث شعري مجرد وليس بحثاً عقلياً ... فقد بحثها من ناحية تشاؤمه ويأسه من صلاح الناس وفطرتهم ، بينما كان بحث الفلاسفة والمتكلمين عقلياً أو شرعياً أو محاولة للتوفيق بين نظرية الشرع .

وقد ذهب بعض الدارسين إلى البحث في فكرة الخير والشر لعلهم يجدون أصلاً لمذهب إبي العلاء وتفسيراً لمناحي تفكيره في مباحث طويلة عن هذه القضية عند اليونان وعند المسلمين ، وتفرعوا من هذه المشكلة إلى مشاكل فلسفية أخرى ، وكأن أبا العلاء يعالج المسألة معالجة فلسفية منظمة ، وقد توصل أحدهم إلى أن النزعة العقلية كان لها أثرها في نظرة أبي العلاء إلى الخير ، فالعقل عنده هو معيار كل معرفة ، ولا يكون الخير خيراً حقيقياً إلا إذا كان خاضعاً لحكم العقل ، لهذا فإن " مذهب أبي العلاء قريب من مذهب الرواقيين ؛ لأنه قد مدح الجهد والمشقة ودعا إلى اتباع العقل وهجر اللذات ونادى بالعدل و المساواة والرحمة ، وهو قريب أيضاً من مذهب شوبنهاور لأن الرحمة عنده هي الحب ، لا بل هي مبدأ الإحسان والعطف على الإنسان والحيوان "[1]

وقد اختلفت آراء الدارسين حول نظرة أبي العلاء إلى الخير والشر ، "فيرى فريق منهم أن المعري لا يعتقد بأن الوجود شر مطلق وإنما كان يقر بوجود الأمرين الخير والشر معاً"[2] ، فيوافق الفريق الثاني من المتشائمين أو هم يوافقونه ويدل هذا على أمور :

- إنه يعتقد تنزه الله عن الشر ، ولا ينسب إليه الخير ولو اعتقد فيه .
- إنه أثبت وجود الخير في الدنيا ، كما أثبت وجود الشر ، في مثل قوله من البسيط :

---

[1] النزعة الفكرية في اللزوميات ، مرجع سابق ، ص330 .
[2] الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره ، مرجع سابق ، ج1 ، ص345 .

خيرٌ وشرٌ وليلٌ بعده وضَحٌ والناس في الدهر مثل الدهر قسمان[1].

- إنه أثبت للخير أحكاماً إيجابية ، في مثل قوله :

والخير بين الناس رســـم دارس والشر نهج والبرية معلم[2]. (الكامل)

ولاشك أن أبا العلاء في جانب من آرائه في مسألة الخير يصدر عن نظرة دينية وخاصة فيما أورده عن جزاء الإنسان بما يفعل ، وهذا يفهم من قوله:

فافعل الخير إن جزاك الفتى عنه ، وإلا فالله بالخير جازي[3] (الخفيف)

وقوله من الطويل :

إذا ما فعلت الخير فاجعله خالصاً لربك وازجر عن مديحك ألسنا[4]

وهذا يخالف من رأى أن أبا العلاء كان يرى قطعاً أن الخير يجب أن يطلب لذاته والعاقل إنما يفعل الخير لأنه خير وجميل لا لأنه يرجو عليه ثواباً عند الله والناس .

وهكذا تتمثل أفكار أبي العلاء وآراءه في الخير ، وضرورة عمله وموقف الناس من الخير والشر ومدى انتشار الشر في المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان .

---

[1] اللزوميات ، ج2 ، ص512 ، الوضح النهار .
[2] المصدر نفسه ، ج2 ، ص333 ، رسم دارس : أثر بائد .
[3] المصدر نفسه ، ج1 ، ص595 .
[4] المصدر نفسه ، ج2 ، ص458 ، ازجر : امنع .

المبحث الرابع

الرمز عند المعري

إن ظواهر الحياة متعددة كما أن طرائق التعبير شتى وفي الوقت نفسه فهي تختلف أحياناً أخرى .

والتعبير له مذاهبه المختلفة .وله طرائقه المتباينة ،ولقد كان اهتمام الكتاب والنقاد بالتعبير ومذاهبه بالغ الأهمية واحتفلوا بهذه المذاهب ،فقعدوا لها القواعد ووضعوا لها الأصول وألفوا في ذلك الكتب الكثيرة ...، ومن بين هذه المذاهب التي احتلت حيزاً كبيراً من تفكير الكتاب والنقاد مذهب التعبير بالرمز.

"الرمز أصلا ظاهرة من ظواهر الحياة البشرية الأولى أثرت تأثيراً كبيراً في كتابة الأقدمين ليس هذا فحسب بل أثرت ـ أيضاً ـ في كثير من الفنون حتى طبعت الكتاب والفنانين بطابعها الرمزي الأصيل " [1].

فالرمز في اللغة: يعني الإيماء أو الإشارة بأي شيء سواء أكانت هذه الإشارة بالشفتين أم العينين ام الحاجبين ، أم الفم ،أم اليد ،أم اللسان" [2] ، وأكثر ما يكون على سبيل الخفية .

أما في الإصطلاح : فإنه ليس مصطلحاً جديداً على النقد العربي ،إذ تناوله الدرس النقدي والبلاغي منذ القدم بمعناه اللغوي الإشاري، ويبدو قول قدامة بن جعفر :"أما الرمز فهو ما أخفى من الكلام وأصله الصوت الخفي الذي لا يكاد يفهم "[3] "ينطوي على أول تحديد اصطلاحي لمفهوم الرمز في النقد العربي" [4].

وذهب القزويني إلى أن الرمز فروع من الكناية، والذي يحدده طبيعة العلاقة بين الكناية والمكني عنه "فإن كان فيها نوع خفاء فالمناسب أن تسمى رمزاً ؛ لأن الرمز هو أن يشير إلى قريب منك على سبيل الخفية"[5].

أما في العصر الحديث فإن تحديد مصطلح الرمز يمثل اشكاليه معقدة ،"واختلف النقاد في تحديد مفهومه، فمنهم من عدّه وسيلة إدراك مالايستطاع التعبير عنه بغيره، فهو أفضل طريقة ممكنة للتعبير عن شيء لايوجد له معادل لفظي ، هو بديل

---

[1] ينظر:الرمزية في الادب ، إسماعيل الرسلان ، دار الحمامي للطباعة ، القاهرة – مصر (د.ت) ، (د.ط) ، ص1 .
[2] القاموس المحيط للفيروز آبادي ، مرجع سابق ، مادة (رمز) ، ص536 .
[3] ينظر : نقد الشعر : قدامة بن جعفر ، دار الكتب العربية ، بيروت – لبنان ، (د.ط) ، 1982 ، ص61 .
[4] ينظر : الرمزية في الأدب العربي ، د.درويش الجندي ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، (الفجالة - القاهرة) ، ص43-44
[5] الغموض في شعر أبي العلاء ، مرجع سابق ، ص170 .

من شيء يصعب أو يستحيل تناوله في ذاته ، ومنهم من رأي أنه "الدلالة على ما وراء المعنى الظاهري ،مع اعتبار أن المعنى الظاهري مقصود أيضاً"[1].

الرمز عالم يعلو على طاقة اللغة ،وحدودها المادية التي مهما اتسعت فإنها ـ بالطرق التقليدية ـ لن تحتمل اتساع النفس الإنسانية وتشعبها وتناقضاتها ، فالرمز "لمحة من لمحات الوجود الحقيقي ،يدل عند الناس ذوي الإحساس الواعي على شيء من المستحيل أن يترجم عنه بلغة عقلية ،دلالة تقوم على يقين باطي مباشر. الرمز كما يقول يونج :وسيلة إدراك مالا يستطاع التعبير عنه بغيره ،فهو أفضل طريقة ممكنه للتعبير عن شيء لا يوجد له أي معادل لفظي ، هو بديل من شيء يصعب او يستحيل تناوله في ذاته"[2].

وأهمية الرمز العظيمة ليست فقط اكتشاف أبعاد الفكرة ، أو القضية ، بل هي كشف عالم الشاعر ،فالشاعر بارتياحه إلى رموز بعينها ،يتيح لنا أن نتلمس تفاصيل حياته الإنسانية الداخلية ، وحقيقة علاقتها بالخارج ، فالرمز يتولد من فراغ ،ولا يأتي لمجرد الرغبة فيه فقد استخدم المعري الرمز البسيط ، كما استخدم رمز الكلمة والضمني إلا أن استخدامه للبسيط أكثر من ذلك وتنوعت خامات البسيط من الحمام رمزاً للأمن ،إلى النخيل والطلح رمزاً للبادية والحاضرة ،إلى السبت والأحد رمزاً لليهود والنصارى والحنيفة على التوالي إلى اسمي زيد وعمرو رمزاً للعرب لكثرة تداولها حتى أن النحاة أكثروا من ضرب الأمثلة بها ،وإلى أسماء: ذنك ، وأشناس ،وخان ،وكك ،رمزاً للترك. وإلى الغار رمزاً للشيعة والسنة، وإلى رضوان ومالك رمزاً للجنة والنار ،ومن ذلك قوله في الحمام:

متى تصبح وقد فُتْنا الأعادي نُقِمْ حتى تقول الشمس روحا

بأرضٍ ،للحمامة أن تغنــي بها ،ولمن تأسّف أن ينوحا [3].(الخفيف)

وقوله عن اليهود وسبتهم من الكامل :

إن كانت الأحبار تعظم سبتها فأخو البصيرة كل يوم مسبت [4].

ويقول عن الترك وسلطانهم من الوافر :

أزول وليس في الخــلاق شــك فلا تبكوا علي ولا تبكوا

---

[1] الغموض في شعر أبي العلاء ، مرجع سابق ، ص171 .
[2] الصورة الأدبية ، مرجع سابق ، ص153 .
[3] سقط الزند ، مرجع سابق ، ص119 .
[4] اللزوميات ، مرجع سابق ، ج1 ، ص187 ، الأحبار : جمع الحبر وهو رئيس الكهان عند اليهود .

أتى المسرى على شرفات كسرى وأورث مُلكهُ خان وككُّ [1].

وقوله عن الجنة والرضوان :

يارضوَ لا أرجـــو لقـــــاءك بل أخاف لقاء مالك [2].(مجزوء الكامل)

وقول عن أهل السنة ،ورفيق الغار ،وغديرهم لأهل الشيعه من الطويل :

خممت فؤادي للمعاشر كلهم وأمسكت لما عظموا الغار أو خما [3]

الرمز بالكلمة :إذا كان الرمز البسيط على كثرته يوجد باللزوميات فإن الرمز كله في شعر المعري يوجد بديوانه السقط ،وهذا راجع إلى أن طبيعة هذه المرحلة كانت عقلية بينما كانت بالسقط وجدانية .والعقل بطبعه يحترم الفروق بين الأشياء بينما الخيال يحترم مواضع الشبه فيها .

ويقول في ديوانه سقط الزند أبياتاً من قصيرة يهنىءُ بها عروساً وعريساً ،وهي من الرمز بالكلمة :

لم يزل الليلُ مُقيمـــاً يـــرى مالا رأتْ عادٌ ،ولاجـرهُمُ

في ساعةٍ هشتْ ،إلى مثلهـا مكة ، وارتاحت لها زمزم

للطيب ،في حندِسها سورةٌ ، مناخـرُ البدر بـه تفحـــم

حتى بدا الفجر ،به حُمـرةٌ ، كصـــارمٍ غيـر منـــه الـــدم

ثم مضى يُثني على سيـدٍ ، كالليـــث ،إلا أنـــه أحـــزم

مضمخاً ،ينظر في عطفهِ ، كأن مسكـــاً لونُـــهُ الأسحمُ

نال شباباً منـــه مستقبـــلاً ، تهـــرمُ دنيـــاهُ ، ولا يهـرم [4].(السريع)

في هذه الأبيات نجده بشعوره يتناول هذا الجانب برمزية تلمح ولا تصرح وتومئ ولا تشير .وهذه طبيعة الحياة الجنسية وأسلوبها ،فكلمة الليل :ترمز بوضوح إلى قوله تعالى :"يولج الليل في النهار"[5]. وكلمة:"ساعة" تعني العروس ،وربما كلمة

---

[1] اللزوميات ، ج2 ، ص122-123 . خان وكك : لقبان لملوك الأعاجم .
[2] المصدر نفسه ، ج2 ، ص148 ، رضو : بواب الجنة .
[3] المصدر نفسه ، ج2 ، ص346 ، من عظموا الغار : أهل السنة ، من عظموا الخم : أهل الشيعة .
[4] ديوان سقط الزند ، مرجع سابق ، ص174-175 ، الحندس : شدة الظلام ، نال شباباً : أبي الليل .
[5] سورة غافر ، الآية : 13 .

مكة مؤنثة ."وزمزم" تشير إلى قوله تعالى : " الله يعلم ماتحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار "[1].

وما الحندس هذا إلا العروس المعطرة بالمسك والعنبر لتوافق لونها مع سواد الحندس ،ففاح الخباء بها عطراً حتى أفعمت مناخير بدرها لا منخرين كما هو في الواقع ،ليمكنه من استنشاق هذا الفيض ،ثم مضى الليل بلباسه وأتى الفجر كصارم غير منه الدم ،فماذا يعني هذا غير فض البكارة وما يتبع ذلك وما يدل عليه من مخولة أنثى بها على العريس ؟ ولو كان المعري بعصرنا هذا لسمعنا التصفيق له وصوت البارود أيضاً للتعبير عن الفرح .ثم يربط المعري بين لون الدم ولون المسك صراحة في البيت الأخير بعد أن أكد عليه بالإيحاء .

ويشير إلى حقيقة متعارف عليها وهي أن معاشرة الفتيات تجدد الشباب ،ومعاشرة الشمط تذهب به ،وهذا واضح من قوله :"نال شباباً منه لايهرم" فهل يعني هذا أن عريس القصيدة كان كهلاً ؟ربما قصائد المعري كانت تخاطب دائماً الكهول ،لا الأتراب إلا في الرثاء ،ومما يحمد هنا أن رمزيته بدأت غامضة ،ثم أخذت تتدرج في الوضوح إلى أن بلغت حد الرمز بالحقيقة المتعارف عليها .

الدرع :ومن الرمز بالكلمة قسم خاص يستقل عن السقط وعن اللزوم يعرف بالدرعيات تبلغ جملة أبياته 617 بيتاً. ليس لغيرها من الأسلحة نصيب .وهذا ما يلفت النظر ،وقد حاول الدكتور طه حسين أن يعلل عناية أبي العلاء بالدروع خاصة فلم يستطيع أن يفهم لذلك سبباً "[2].

ورأى الأستاذ أنيس المقدسي " أنها الأرجح أداة استعملها لإظهار مقدرته اللغوية "[3].

فيلغي الشك على ما قال ولا يزيد على ما قاله الدكتور طه حسين شيئاً إلا تدوين ما خطر بذهنه .ونحن يمكن أن نتوصل إلى ذلك الآن إذا فحصنا أسلحة ذلك الوقت فهي تتكون من السيف والرماح والقنابل أو من "الخيل" أسلحة للهجوم .ومن الدرع والخوذة أسلحة للدفاع.

فيقول أبو العلاء المعري في ذلك :

عليك السابغات ، فإنهنه يدافعن الصوارم والأسنّهْ

---

[1] سورة الرعد ، الآية : 9 .
[2] تجديد ذكرى أبي العلاء ، مرجع سابق ، ص181 .
[3] ينظر : أمراء الشعر العربي العباسي ، أنيس المقدسي ، بيروت لبنان ، ط 7 ، ص405 .

ومن شهد الوغى ، وعليه درع تلقاهـــا بنفـس مطمئنـــه [1].

الرمز الضمني :"بالقصيدة الثامنة والستين من ديوانه سقط الزند أبيات عن قطاة ،أتى بها المعري كمشبه به ثم استطرد الحديث عنها وعن طريق ذلك صور خلجاته النفسية وخوفه عندما وقع بيد الجباة عند انحداره بنهر عيسى المتفرع من نهر الفرات عند الأنبار إلى بغداد على نهر دجلة بسفينة اعتقلت قبيل بغداد ،فخلصه أبو أحمد الحكاري من آل حكار(بعد جهد) من سلطانهم الذي كان يقضي بأخذ الأتاوة من كل سفينة تمر من هناك صاعدة أو هابطة "[2] وفي ذلك يقول من البسيط :

سارت ، فزارت بنا الأنبار سالمة ، تُزجى ، وتُدفع في موج ودُقّاع .

والقادسيـــة ، أدتهـــا إلـــى نفـــرٍ، طافوا بها ، فأناخوها بجعجاع [3]

ويقول فيما نحن بصدده من الطويل :

أخال فؤادي ذات وكرٍ ،هوى بها، من الطير ،أقنى الأنفِ ،مخلبه سلط

تحث جناحاً ،من حـذار مُغـاورٍ ، صباحاً فقبضٌ يجمع الريش أوبسط

تذكرُ ،إن خافت من الموت ،أفرُخاً بِيهَمْـاءَ ، لم يمكن أصغرَهـا اللقـط

تجاوب فيها الزغب من كل وجهةٍ ، سُحَيْراً ،كما صاح النبيط أو القيط

تبـــادر أولاداً ، وترهب مـــــارداً ، يهون عليها ، عند أفعاله ،السَّحْطُ

وعن آل حكّارٍ جرى سَمَرُ العلـــى ، بأكمل معنى ، لا انتقاص ولا غَمْطُ

فإن يُنْسِهم أمرَ السفينـــة فضلهـــم ، فليس ،بمنسي ،الفراق ،ولا الشحط [4]

فهو يشبه فؤاده بقطاه انقضّ عليها طير ،لا بجارحٍ فقط ،بل معكوف الأنف ،صلب المخلب ،صباحا ،أحد أوقات الجوع ،كثير الإغارة ،مارد .كل هذا مما يزيد في خطورته عليها .فأقلعت تسابق الموت وتلاحق الحياة .ودخل هو معها في مطاردة عنيفة ،ومحاورة أعنف بجمع الريش أو بسط وتحت جناحاً "، ولم يترك المعري وسيلة يلهب بها سرعتها إلا وذكرها ،فصغارها زغب لم يمكنهم اللقط بعد ،وقد تركتهم يتصايحون طلبا لها ولطعامها بعد أن عضهم الجوع سحرا .

---

[1] سقط الزند ، مرجع سابق ، ص349 ، السابغات : الدروع .

[2] الصورة الفنية في شعر أبي العلاء ، مرجع سابق ، ص82 .

[3] سقط الزند ، مرجع سابق ، ص166 ، الأنبار : بلد في العراق .

[4] المصدر نفسه ، ص217 ، اليهماء : البرية الواسعة التي لا يهتدى فيها , السحط والشحط : الذبح ، آل حكار : جماعة من أهل بغداد حصلوا أبا العلاء من العشارين .

إن ما ذكرت عن الرمز عند المعري ما هو إلا محاولة لمعرفة الرمز بديوان سقط الزند واللزوميات والدرعيات كأمثلة أتى بها المعري .

وهذا يعني أن الرمز وسيلة من طبيعة الأداء الشعري فهو ليس بجديد عند الشعراء في شعرهم ،ولكن الجديد هو طريقة الاستخدام له كما وكيفاً ،فإن زاد كمه حتى يصبح الوسيلة الوحيدة للأداء الشعري كانت الرمزية ، وإن زاد غموضه حتى يحجب الفهم أحياناً رغم المعاصرة كانت السريالية والشاعر المعري لم يبلغ هذا ولا ذاك .

الفصل الثالث

الفصل الثالث

الصورة الشعرية في شعر أبي العلاء المعري

المبحث الأول

مفهوم الصورة الشعرية

مفهوم الصورة الشعرية

إذا كانت لغة الكلام بين الناس أو لغة التخاطب اليومي تقتضي وجود عنصرين مهمين ، هما :

_ الوضوح : وهو المعنى الوظيفي الَّذي يسد الحاجة اللغوية .

_ والمطابقة : وهو المعنى الاجتماعي الَّذي يسد الحاجة الاجتماعية .

فإن لغة الأدب تقتضي وجود عنصر ثالث هو عنصر الخيال[1] .

وعنصر الجمال هو ما يطلق عليه في النقد الأدبي " التصوير بالكلمة " ؛ ذلك لأن " الشاعر على صلة بالحقائق النفسية والكونية التي تلهمه في تجربته ، ولكل تجربة شعرية عناصر مختلفة من فكرة ، وخيال ، وعاطفة ، وهذه العناصر ذاتها . كل عنصر على حدة . لا يتألف منها شعر ، إذ أنها والحالة هذه نثرية بطبيعتها ، ولكن الشاعر يختار منها مواد تصويرية إذ يستعين بها على جلاء صورة تتوافر لها قوة الإيحاء والتعبير بحيث لا يقوى النثر على أدائها" [2] .

إذا كانت التجربة هي أصل الإبداع الشعري فإن الوسيلة الجوهرية لنقل تلك التجربة هي الصورة ... فما التجربة الشعرية كلها إلا تجارب كبيرة ذات إجزاء ، وهي بدورها صورة جزئية ... وقوام هذه الصورة بطبيعة الحال _ هو الأخيلة المفضية إلى تشكيلات خارجية تثير حواسنا على الدوام ، وتبعث البهجة والدهشة

---

[1] ينظر : اللغة بين المعيارية والوصفية ، تمَّام حسَّان ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1942م ، ص60 .
[2] ينظر : النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، دار الثقافة ، بيروت ـ لبنان ، 1973م ، ص384 .

في نفوسنا ، وهذا شيء طبيعي لأنها أداة النقل والإيحاء والبديل للتعبير المباشر المفروض ، أو للتعبير الذي يحس استغلال طبيعة اللغة المجازية [1] .

فالتجربة الأساسية متميزة من التأثيرات التي تحاك في أعصابنا و أنفسنا ، إنما هي بصيرة تتم بفضل الخيال ، ومن الهام أن نتذكر أن هذه الحَدثَة الخيالية لايمكن أن تختصر في تأثيرات متعلقة بالجهاز العصبي [2] .

يبدو أن مصطلح الصورة " الصورة الشعرية " من أكثر المصطلحات تردداً في الكتابات النقدية ، الأمر الذي يدفعنا إلى القول : إنه لا يوجد باحث يتصدى لدرس الشعر ونقده ، وتمييز جيده من رديئه ، والموازنة بين شاعر وآخر من دون أن تكون الصورة ذروة عمله وجوهر بحثه . " الصورة الفنية هي إبداع فني واسع المجال ، يتدخل في صنعة كل ما يتخيره الشاعر من وسائل الصياغة الفنية المختلفة ، كالتعبير المجازي بما يشتمل عليه من تشبيه واستعارة وكناية ، وكذلك التعبير الحقيقي باعتباره أسلوباً فنياً خاصاً داخل العمل الأدبي فضلاً عن كل ما يتدخل في صنع ذلك كله من عوامل تتصل بإمكانيات الشاعر اللغوية والفنية ، فالألفاظ متاحة لكل الناس وعلى الأديب أو الشاعر أن يخلق منها ما لم يتمكن غير من خلقه "[3] .

ففي المعجمات اللغوية نجد أن الصورة تعني ثلاث دلالات : الشكل ، والنوع ، والصفة . يقول ابن منظور : " الشكل .. ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى

---

[1] ينظر :الأصول التراثية في نقد الشعر العربي المعاصر ، عدنان قاسم ،المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس ـ ليبيا ، 1980م ، ص248 .

[2] ينظر : الصورة الأدبية ، د. مصطفى ناصف ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ، ط2 ، 1981م ، ص24 .

[3] الصورة الفنية في شعر أبي العلاء ، مرجع سابق ، ص20 .

معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته "[4] . وقد وردت الصورة بمعنى التوهم ، قال ابن منظور : " تصورت الشيء : توهمت صورته فتصور لي "[5] .

وجاء في القاموس المحيط " الصورة بالضم : الشَّكْلُ ... ، وقد صوره فتصور ، وتستعمل الصورة بمعنى النوع والصفة "[1] .

فقد ذكرت مادة " ص ، و ، ر " في آي الذكر الحكيم ست مرات : مرتين بصيغة الفاعل وهما صوّركم ، وصوّرناكم ، ومرة بصيغة الفعل المضارع يصوّركم ، ومرة بصيغة المفرد صورة [2].

وقد وردت شواهد من القرآن الكريم والحديث الشريف لذلك ، منها قوله سبحانه : (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين)[3] ، وقوله تعالى : (هو الخالق البارئُ المصوِّر) .[4]

وقد وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم جملة من أحاديث شريفة اشتملت على معاني الصورة والتصوير . منها ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه من قول المصطفى عليه السلام : " من صَوَّرَ صورة في الدنيا كُلِّف يوم القيامة أن ينَفُخَ فيها الروح وليس بنافخ " وقد أورد البخاري حديثاً آخر عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : " أشدَّ الناسِ عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون " [5]

---

[4] ينظر : لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري بن منظور ، تصحيح : أمين محمد عبد الوهاب ، محمد الصادق العبيدي ، (د.ت) ، (د. ط) ، مادة : (صور) .
[5] المصدر نفسه ، مادة (صور) .
[1] القاموس المحيط ، مرجع سابق ، ص452 ، مادة (صور) .
[2] ينظر : بناء الصورة الفنية في البيان العربي ـ موازنة وتطبيق ، د. كامل حسن البصير ، مطبعة المجتمع العراقي ، (د.ط) ، 1987م ، ص21 .
[3] سورة الأعراف ، الآية (11) .
[4] سورة الحشر ، الآية (24) .
[5] ينظرالصورة الفنية في الشعر العربي : مثال ونقد ، إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن الغنيم ، الشركة العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 1996م ، ص6 .

وقد روى مسلم في صحيحه " عن مسروق قال : قلت لعائشة : فأين قوله : ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوحى ؟ قالت : إنما ذاك جبريل صلى الله عليه وسلم كان يأتيه في صورة الرجال ، وأنه أتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورتَهُ ، فَسَدَّ أفق السماء " [6]. ومعناه : أن جبريل كان يأتيه في هيئة الرجال ، وأنه أتى هذه المرة على شكله الأصلي المهيب ، وسد أفق السماء . ومن ذلك يظهر أن معنى الصورة : " الصفة أو الشكل المحسوس " .

وإذا تأملنا في أعماق التاريخ لوجدنا مفهوم الصورة في النقد اليوناني تعني " خلق شيء على هيئة غيره على سبيل التقليد ، مع إبراز جوانب التأثير التي يريدها المصور "[1]... والصورة بهذا المفهوم لا تبتعد عن المفهوم اللغوي ؛غير أن المفهوم

اليوناني قد " مال إلى التخصيص ، فجعل الصورة محصورة في الشيء المشابه لغيره "[2] .

يقول الجاحظ (ت 255 هـ) " فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير "[3] .

وفي ذلك يقول الجرجاني (ت 71 هـ) : " واعلم أن قولنا " الصورة " ، إنما هي تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا "[4] .

---

[6] المصدر نفسه ، ص 6 -7 .

[1] الصورة الفنية في الشعر العربي ، المرجع السابق ، ص8 .

[2] المصدر نفسه : ص7 .

[3] ينظر : الحيوان ، لأبي عمر بن عثمان عمر بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ـ لبنان ، ط3 ، 1996م ، ج3 ، ص132 .

[4] ينظر : دلائل الأعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، القاهرة ـ مصر ، ط1 ، 1996م ، ص508 .

أما في النقد الأدبي عند العرب فنجد لفظة الصورة ترد عند العتابي ت (220 هـــ) عندما تحدث عن حسن تأليف الكلام ، في قوله : " الألفاظ أجساد ، والمعاني أرواح ، وإنما نراها بعيون القلوب ، فإذا قدمت فيها مؤخراً أو أخرت منها مقدّماً ، أفْسَدْتَ الصورة وغيَّرْتَ المعنى ، كما لو حُوِّل رأس إلى موضع يد ، أو يدُ إلى موضع رِجْل ، لتحولت الخِلْقة وتغيرت الحِلْيَة "[5] .

وربما كان هذا جديداً على النقد الأدبي عند العرب فلم يعهد عند القدامى استعمال الصورة في غير المحسوسات لكنها في قول العتابي دلت على اللغة متمثلة في ألفاظها وتراكيبها ، ففساد الصورة هو فساد الألفاظ والتراكيب وسوء نظمها .

ثم يأتي الجاحظ (ت 255 هـــ) بعد ذلك مفصلاً القول فيما تقوم به صناعة الشعر وجاعلاً الشعر جنساً من التصوير ، وصناعة من الصناعات التي تحتاج إلى فن وإبداع ، وفي ذلك يقول : " المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي ، والبدوي والقروي ، وإنما الشأن في إقامة الوزن ، وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع وجودة السبك ، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير " [1] .

ومادام الشعر جنساً من التصوير فإن وظيفته _ كما يرى الجاحظ _ لا تصل إلى أرقى مستوياتها إلا بإقامة الوزن المناسب ، وتخير اللفظة الخفيفة على السمع ، وعند سهولة مخرج الكلام ببعده عن المعاظلة والإغراب ، وبصحة الطبع والبعد عن التكلف ، وبجودة السبك وإحكام النسج [2] .

---

[5] ينظر : الصناعتين ، لأبي الهلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، تح : علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ـ بيروت ، (د.ط) ، 1986م ، ص161 .

[1] الحيوان ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 131- 132 .

[2] ينظر : البيان والتبيين ، لأبي عمر بن بحر الجاحظ ، تح وشرح : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط5 ، 1995م ، ص65 -69 .

إذن فالجاحظ حين رأى الشعر تصويراً في أحد أجناسه والتمس التصوير شعراً في إحدى غاياته وضع الدراسات النقدية والبلاغية العربية بين يدي القرآن الكريم والمعجم العربي في أصالة وإبداع متلمساً لها مصطلح الصورة والتصوير عن علم بطبيعة الأدب وبصيرة بوسائله وأهدافه .

ويقين إنه يفهم في هذا مادة " ص ، و ، ر ، " وصياغتها على أنها تؤدي عن هيئة الشيء وأموره وصفاته ولا يقتصر بها على شكله عنصراً منفصلاً عن مضمونه . فلم يقف الجاحظ في تلك المسائل النقدية عند الصورة والتصوير نظرية إنما سار في ضوئها تطبيقاً [1] .

وتبقى الصورة وحدها هي القادرة على التألق والإبداع ، إنما تجعل من أدواتها صورة تؤثر وتعمل في النفس والوجدان شعوراً وإدراكاً وفهماً يكون توأماً للتجربة نفسها .

أما ابن الأثير (ت 637 هـ) فقد استعمل الصورة بمعنى المحسوس جاعلاً طرف التشبيه إما صورة وإما معنى [2] .

ويتضح مما سبق أن التيار العام في النقد العربي القديم يكاد يحصر المدلول اللفظي للصورة في الجانب المادي المحسوس من الكلام ، واللفظ الذي يقابل المعنى. وهذا لا يدل على عدم وجود الصورة في النقد العربي القديم ، فقد درست بعمق ، ولكنها لم تعرف بغير التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية ؛ ذلك لعدم تميز النقد عن البلاغة تميزاً دقيقاً ، ولقوة التيار البلاغي في ذلك الوقت [3] .

---

[1] الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد، مرجع سابق ، ص28 -29 .

[2] ينظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لضياء الدين ابن الأثير ، تح : أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، (د.ط) ، (د.ت) ، ج2 ، ص127 -128 .

[3] الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد ، مرجع سابق ، ص12 .

وإذا بحثنا عن مدلول الصورة في عصرنا الحديث لوجدنا لمصطلح الصورة مفاهيم مختلفة لدى أفرع المعرفة ، فمفهومه في علم النفس غير مفهومه في الفلسفة ، ومفهومه في الفلسفة غير مفهومه في النقد الأدبي أو الشعر ، بل إن مفهومه في الشعر ليس واحداً دائماً وإنما هو في تحرير وتبديل مستمرين حتى أن كل مدرسة فنية تعطيه المفهوم الذي يتفق وفلسفتها العامة ، والمسألة التي تكاد تكون موضع إجماع في الدراسات النقدية الحديثة _ على تباين آرائها الشديد _ هي أن الصورة بالمفهوم الفني لها تعني : " أية هيئة تثيرها الكلمات الشعرية بالذهن شريطة أن تكون الهيئة معبّرة وموحية في آن "[1]. ويظهر أن مصطلح الصورة الفنية في النقد الأوربي جاء مبنياً على التراث اليوناني ؛ بدليل أن لفظة الصورة والوهم والتماثل والرمز ، تنحدر من أصل واحد في اللغة الإنجليزية . وهو أمر يذكر بنظرية المثل عند أفلاطون [2] .

_ فالصورة عند المذهب الكلاسيكي تهدف إلى نقل الوجود الخارجي كما هو ، وكما يظهر للعين وتختزنه الذاكرة . فهي إذن صورة جامدة ، لا تستوحي ما قد يكون وراء الألفاظ من إيحاءات [3] .

_ أما الرومانسيون فإن الشاعر عندهم " يستعين على جلا الصورة في الشعر بالطبيعة ومناظرها ، على أن يراعي صنوف التشابه التي تربط مابين صور الطبيعة وجوهر الأفكار والمشاعر ، بحيث لا يقف هذا التشابه عند حدود المظاهر الحسية"[4] .

---

[1] ينظر : الصورة الفنية في النقد الشعري دراسة في النظرية والتطبيق ، د. عبد القادر الرباعي أستاذ في جامعة اليرموك ، إربد ـ الأردن ، مكتبة الكتاني للنشر والتوزيع ، ط2 ، 1995م ، ص84 .

[2] الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد ، مرجع سابق ، ص12 .

[3] المصدر نفسه ، ص12 - 13 .

[4] ينظر : النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال ، دار العودة ، بيروت ـ لبنان ، (د.ط) ، 1987م ، ص414 .

_ أما الرمزيون فإن شاعرهم يتجاوز المحسوسات ليعبر عن أثرها العميق في النفس ، ذلك الأثر الذي لا يستطيع أن تعبر عنه اللغة إلا بالإيحاء . وذلك بوساطة الموسيقا والألفاظ المصورة والغموض وترسل الحواس [5] .

وقد أوجد الباحثون المحدثون علاقة وثيقة بين الصورة الفنية والخيال وكذلك علاقة هذه الصور بالفنون الأخرى ، وبهذا توسع مفهوم الصورة ليستوعب كل فنون العصر ذلك ؛ لأن طبيعة الفن التركيبية ضرورة سيكولوجية ، من حيث إن الفن يخرج اللاشعور المتناقض المفكك إلى الشعور المنظم الواحد ، لا علاقة لهذا التفكيك أو التحليل بما يقال من رعاية تفاصيل الأشياء والنظر إليها ، فربما يتم التحليل دون اختفاء كبير بالتحليلات ، ويكتفي الشاعر ببيان مواطن الأشياء من حيث هي كل[1].

ومع ما ذكرنا من اهتمام نقدنا العربي بموضوع الصورة إلا أننا نعترف بإن هذا النقد قد عالجها معالجة تتناسب مع ظروفه التاريخية والحضارية ، فأهتم كل الاهتمام بالتحليل البلاغي للصورة القرآنية ، وتميز أنواعها وأنماطها المجازية وركز في دراسة الصورة الفنية عند الشعراء الكبار أمثال أبي تمام والبحتري وابن المعتز . ويقوم مفهوم الصورة عند المحدثين أساساً على الخيال الشعري ، فالصورة هي أداة الخيال ووسيلته الشعرية ، والدلالات القديمة لهذه الكلمة يمكن أن نستنتج ما نعرفه حديثاً بالصورة الذهنية .

ويرجع اهتمام النقاد قديماً وحديثاً بالصورة لما لها من أهمية كبيرة في الكشف عن جوانب الإبداع في الآداب المختلفة في شتى لغاتها ، " فالصورة الدلالية لها

---

[5] الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد ، مرجع سابق ، ص13 .
[1] الصورة الفنية في شعر أبي العلاء ، مرجع سابق ، ص48 .

دورها الجمالي والنفسي المهم في التعبير الأدبي ، وكثيراً ما اعتمد الأدباء عليها شعراء كانوا أو كتاباً " [2] .

إذا كان المفهوم القديم قد قصر الصورة على التشبيه والاستعارة فإن المفهوم الجديد يوسع من إطارها ، فلم تعد الصورة البلاغية هي وحدها المقصودة بالمصطلح ، بل قد تخلو الصورة بالمعنى الحديث من المجاز أصلاً ، فتكون عبارات حقيقية الاستعمال ، وتشكل في الوقت نفسه صورة دالة على خيال خصب[3] .

ونلاحظ مما سبق أن هناك أوجه الشبه والاختلاف بين الآراء القديمة والحديثة بشكل عام ، فالصورة القديمة انبثقت من مسألة اللفظ والمعنى في البلاغة والنقد تلك المسألة التي طال الكلام والخلاف حولها ، حيث جعل القدامى الجانب اللفظي من الكلام هو صورته ، فالصورة هي ما يقابل المعنى ، وإليها ترجع المزية في صناعة الشعر ، أما عند المحدثين المعاصرين فقد بحثت الصورة بوصفها عنصراً جوهرياً ومتكاملاً ، وبوصفها قضية نقدية قائمة ، يرجع إليها الفضل في نقل الأفكار والمشاعر ، وإثارة الإيحاءات والظلال [1] .

ويتطلب الحديث عن أهمية الصورة الشعرية... ، فالواقع أن الصورة الشعرية تنقل إلينا التجربة الشعرية التي يخوضها الشاعر ، والفكرة التي انفعل بها ، والألفاظ حين ترتبط على نحو خاص تكون في القصيدة مجموعة من الصور ، وليست الصورة التي يكونها خيال الشاعر إلا وسيلة من وسائله في استخدام اللغة

---

[2] ينظر الكتابة والإبداع ، عبد الفتاح أبو زائدة ، دار الأندلس للطباعة ، بيروت ـ لبنان ، 1992م ، ص61 .
[3] ينظر : الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطورها ، د. علي البطل ، دار الأندلس ، بيروت ـ لبنان ، ط3 ، 1983م ، ص25 .
[1] الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد ، مرجع سابق ، ص17 .

على نحو يضمن به انتقال مشاعره _ انفعالاته وأفكاره _ إلى القارئ على نحو مؤثر [2] .

فالصورة كلام مشحون شحناً قوياً يتألف عادة من عناصر محسوسة ، خطوط ألوان ، حركة ظلال تحمل في تضاعيفها فكرة وعاطفة ، أي أنها توحي بالكثير من المعنى الظاهر وأكثر من انعكاس الواقع الخارجي ، وتؤلف في مجموعها كلاً منسجماً [3] .

والمفهوم القديم لم يشعب أهداف الصورة إلى مقاصد متباينة كما في الصورة الحديثة بحسب انتمائها ، فهي عند الكلاسيكيين ذات هدف يختلف عنه عند الرومانسيين ، وهي عند هؤلاء لا تهدف إلى ما يهدف إليه الرمزيون في صورهم .. وهكذا ، أما الصورة القديمة عند العرب فذات اتجاه واحد نتج عن اتجاه اجتماعي واحد يمجد الفضيلة ، ويحرص على تحري خطى السابقين ، فالصورة عند القدامى لم تكن تعنى بالنظر في القصيدة كلها دفعة واحدة ، أي بكونها تمثل مشهداً ، أو لوحة كبيرة يحكمها شعور عام . وهكذا بخلاف الصورة في النقد القديم .

ثم إن النقد القديم يحرص على عدم خروج الصورة عن حدود النطق فلا نجد الإغراق في الخيال حتى يشبه الأوهام . وأخيراً نجد في النقد الحديث أوصافاً مختلفة للصورة ، فقد وصفوها بأنها شعرية ، وأنها أدبية ، وأنها بلاغية ، وأنها بيانية ، وأنها فنية ، وذلك بحسب الفن الذي قيلت فيه [1] .

---

[2] ينظر : فصول من البلاغة والنقد الأدبي ، د. إسماعيل الصّيفي ـ د. حسن محسن ـ د. صلاح الدين حسن ـ د. عز الدين الجردلىّ ـ أ. عبد الرحمن سالم ، مكتبة الفلاح ـ الكويت ، ط1 ، 1983م ، ص352 .

[3] التفسير النفسي للأدب ، مرجع سابق ، ص136 .

[1] الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد ، مرجع سابق ، ص17 ـ18 .

ومن هنا نقول : إن وجهات النظر بين القدامى والمحدثين قد تباينت حول مفهوم الصورة ، فالنقد الحديث ينظر إلى الصورة بأنها الصيغة اللفظية التي يطرح فيها الأديب فكرته ، ويصور تجربته ، ويظهر اهتمام النقد الحديث بالخيال واضحاً جلياً ، ويعتبره الأساس في تكوين الصورة الشعرية ، وهو لا يحد من حرية الشاعر ولا يقيدها ، بل يفسح له المجال .

وقد شغلت دراسة الصورة حيزاً واسعاً ومهماً من اهتمامات النقد العربي الحديث واختلفت الاتجاهات بين ناقد متأثر بالتراث العربي ، وبين آخر حاول الإفادة مما درسه وتوصل إليه النقاد الغربيون بشأن الصورة وأهميتها وعناصر تكوينها وبين هذا وذاك حاول نقاد آخرون أن يوفقوا في دراساتهم وبحوثهم في موضوع الصورة بين تراثنا الخالد وما خلفه لنا الأجداد .

إن النقد الحديث يجعل للشاعر الأمر مفتوحاً في حقل استخدام اللغة ، وتسخيرها للتعبير عما يجول في خاطره ، ويشترط النقد الحديث أن تكون الصورة ذات إيحاء كبير ، لها القدرة على خلق المتعة والإحساس بالجمال ، وأن تنقل القارئ والمتلقي إلى عالم الحس ودنيا الواقع ، كما يشترط قيام الصور على عنصر الموسيقى ، أما النقاد القدامى فقد اقتصر مفهومهم للصورة الفنية على التشبيه والاستعارة بأنواعها معتمدين في ذلك على الصلة الوثيقة بين الصورة والشعر ، باعتبارها من الخصائص النوعية التي تميزه عن غيره ، فضلاً على أن الصورة كانت تفرض نفسها على وعي الناقد القديم أثناء بحثه القضايا الأساسية التي شغلته ، مثل : الموازنة والسرقات .

ومن هنا فإن المفهوم الجديد يوسع من إطار الصورة ، فيتجاوز بها المفهوم البلاغي عليه قديماً ، لتخلو الصورة بالمصطلح الحديث من المجاز أصلاً فتكون

بذلك عـــبارات حـقيقية الاســـتعمال ، تـــــشكل في الوقـــت نـــفسه صـــورة دالـــــــة على خيال خصب [1].

المبحث الثاني

مصادر الصورة عند أبي العلاء المعري :

المصدر هو منبع الشيء وموطنه ، وللصورة الفنية عند الشعراء مصادر يستقون منها ، بمعنى أنهم يأخذون صورهم الفنية من أشياء مختلفة ، وهذه الأشياء تكون محسوسة كالبيئة التي عاش فيها الشاعر ، وتكون غير محسوسة كثقافة الشاعر وتجاربه الشخصية . وعلى ذلك فإن مصادر الصورة هي الأشياء التي يتكئ عليها الشعراء في إبداع صورهم ، بل هي منطلقات الخلق الفني التي

[1] ينظر : الصورة الفنية في شعر أبي العلاء المعري ، مرجع سابق ، ص53 - 54 .

تعكسها مرآة وجدان الشاعر ، ولذلك نجد أن صور الشاعر تتلون بحسب وقع تلك الأشياء على مواقع الإحساس في نفوسهم ، كما نجد أن لكل شاعر طابعاً خاصاً يتلاءم مع بيئته وتكوينه الثقافي وقدراته الخيالية . فالشاعر الذي عاش في البادية مفترشاً التراب وملتحفاً السماء ومخالطاً للبهائم ومشاركاً للوحوش ، يختلف عن الآخر الذي عاش بين القصور ورأى الزخرف من الأثاث والأواني ، ولم يشعر بمشقة الحر والبرد ، أو وحشية الليل البهيم ! إن كل واحد منهما سيصدر في شعره عما رآه وعلمه وتربى عليه ، متأثراً في ذلك باستعدادته الفكرية والفطرية .

يقول الدكتور مصطفى ناصف إنه إذا كانت " أطوار الحياة كلها مجال الاستكثار والاستفادة من التجارب ، فإن للبيئة المبكّرة _ فيما يرى بعض النقاد _ شأناً خاصاً . فالطفولة زمن العواطف القوية ، وألوان الحب العميقة للأشخاص والأماكن والروائح والأصوات . والتجارب المتأخرة لا يمكن أن تطمس بحال ما تلك التأثرات الأولى"[1].

ولا يخفى ما للذاكرة من أثر في التصوير والخيال لأن تلك " الذاكرة التي تمارس بطريقة خاصة هي هبة الشاعر الطبيعي ؛ فالشاعر إنسان يستطيع أن يجدد العهد بتأثرات حسية معينة كما لو كانت تحدث أول مرة . وليس الخيال نفسه إلا عملاً من أعمال الذاكرة ، إذ لاشيء مما نتصوره لم نكن نعرفه بوجه ما _ من قبل . وقدرتنا على الإدراك هي قدرتنا على أن نتذكر ما مارسناه لنستخدمه في موقف آخر متميز ؛ فكل شاعر عظيم أوتى ذاكرة قوية تمتد إلى ما وراء التجارب الضخمة ، إلى ملاحظات ضئيلة دقيقة في خارج التراكز الشخصي " [1] .

---

[1] الصورة الادبية ، د . مصطفى ناصف ، مرجع سابق ، ص32-33 .

[1] ينظر : الصورة الأدبية ، مرجع سابق ، ص 31 .

وإذا نظرنا إلى مواد الصورة عند المعري نجدها تنحصر في الغالب في عرض تلك المواد وبيان موضعها من صور الشاعر ، وكانت أكثر تلك المواد وضوحاً الثقافة بجوانبها التاريخية والعلمية والأدبية .

فلا شك في أن لأبي العلاء يداً طولى في معرفة أخبار الماضين والحاضرين في عصره ، وما كان لكل أمة من العقائد والعزائم ، وما لها من العادات والمواضعات والخصائص ، وما وقع لها من الحوادث بين أفرادها المشهورين ، أو بينها وبين غيرها .

أما الثقافة التاريخية فهي من أكثر المصادر التي استعان بها في تكوين الصورة الفنية فقد حفل شعره بالإشارات التاريخية التي شملت كل العصور من عهد آدم إلى العباسيين كما شملت كثيراً من الأماكن .

وفي هذا القول : " من الوافر "

كدِرْعِ أُحَيْحَة الأوْسيّ طالتْ عليه ، فهْيَ تُسْحَبُ في الرَّغام [2] .

جعل الشاعر في هذا البيت من درع أحيحة خامة شعرية ، وإشارة تاريخية خافها الكثير وهناك نماذج أخرى لاستخدامه للإشارات التاريخية في البناء الفني في شعره ، ومن ذلك قوله " من البحر الكامل " :

ومُحَمَّدٌ ، وهو المنَبَّأُ ،يَشْتَكي لَمَكانِ أَكْلَتِهِ ، انْقِطَاعِ الأَبْهَرِ [1] .

ونرى في هذا البيت إشارة إلى " حادثة خيبر التي مفادها أن النبي صلى الله عليه وسلم أكل أكلة في خيبر ، وكان فيها السم وكان يقول بعدها : إن أكلة خيبر قطعت أبهري والأبهر واحد الأبهرين وهماعرقان يخرجان من القلب " [2] .

---

[2] سقط الزند ، مرجع سابق ، ص 90 .

[1] اللزوميات ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 530 ، الأبهر : عرق مستنبط من الصلب ، والقلب متصل به .

وفي " لزوم مالايلزم " إشارات أخرى إلى الحوادث للأفراد والجماعات والأمم ما يصدق قوله فيه :

مَا كَانَ في هذه الدّنيا بَنُو زَمَن إلاَّ وعنديَ من أَخْبَارِهِمْ طَرَفُ [3] . (البسيط)

ويستخدم بعض الإشارات التاريخية استخداماً أضفى على الصورة نوعاً من الغموض والإبهام وذلك حين خفيت تلك الإشارات إلى درجة الإيماء والألغاز كما في قوله : من البحر الخفيف :

أيْنَ عَمْرُو لمَّا دَعَا أمَّ عَمْرٍو وَلَدَيْها مِنَ المُدامـــــــــــــــــــــــــــــــةِ صَحْـــنُ

بِئْسَتِ الأمُّ للأنَامِ هي الدنيا وبِئْسَ البنـــــــــــــــــــــــــــــــونَ للأمِّ نَحْـــــــــــــــــــــــــــــــنُ

كلُّنـــــــــــــــــــــــــــــــا لايَبَرُّهَا

بِمَقَـــــــــــــــــــــــــــــــالٍ فاعْذُرُوها إذ لَيْسَ بالفعْلِ تَحْنُو [4] .

ويتضح من الأمثلة السابقة أنه يتكلف الإشارات التاريخية في شعره دليلاً على معرفته الواسعة وإظهاراً لثقافته المتنوعة .

والثقافة العلمية هي الأخرى كان لها الحظ الوافر في تشكيل صور المعري الشعرية فلقد استخدم العديد من العلوم كخامات لصوره الشعرية . ومن بينها علم العروض ، الزحاف الذي يدخل على التفعيلة ببيت الشعر ففي ذلك يقول : من " البحر الكامل "

---

[2] الصورة الفنية في شعر أبي العلاء المعري ، مرجع سابق ، ص 101 .
[3] اللزوميات ، مرجع سابق ، ج2 ، ص 53 .
[4] المصدر نفسه ، مرجع سابق ، ج2 ، ص 453 .

ما زاغَ بَيتُكمُ الرّفيعُ ، وإنما بالوَجدِ أدركَه خفيٌّ زِحاف [1] .

فالشاعر استعمل الزحاف خامة شبه بها أعمار الناس وحسن الخاتمة لها . فيحسن بخاتمتها البيت إن حسنت ، ويقبح إن قبحت فيقول : " من البحر الطويل " .

وأَعْمـــــارنُا أَبْيـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــاتُ شعْـــــرٍ

كـــأنْمـــــــــــــــــــا أواخِـــرُها للمُنْشِـــديـــن قَـــوَافي

إذا حَسُنَتْ زانتْ ، وإن قَبُحَتْ جنت أذىً وَهَوىً فيما يَسُوءُ هوافي [2] .

فقد استعمل العروض والقافية كثيراً في نثره وشعره ، في باب التورية والتشبيه ، والكناية ، وغيرها من أبواب البيان ، بصورة تدل على قدرة وبراعة ، ومن ذلك قوله في " سقط الزند " :

إذَا الْمَنْهُوكُ فُهْتَ بِهِ انْتِصَاراً لَهُ مِن غَيْرِهِ فَضلَ الطّويلا [3] . (الوافر)

وقوله في اللزوميات :

كَالْبَيْتِ أُفْرِدَ لاَ إِيطَاءَ يُدْرِكُهُ وَلاَ سِنَادَ وَلاَ في اللَّفْظِ إِقْوَاءُ [4] . (البسيط)

وقوله :

خَبَرَ الحيَاةَ شُرُورَهَا وَسُرُورَهَا مَنْ عَاشَ عِدَّةَ أَوَّلِ الْمُتَقَارِبِ [1] . (الكامل)

وقوله :

---

[1] سقط الزند ، مرجع سابق ، ص 84 .

[2] اللزوميات ، مرجع سابق ،ج2 ، ص 65 ، هوافي : كثيرة الغلط والزلل .

[3] شروح سقط الزند ، تحقيق الأساتذة : مصطفى السَّقا ـ عبد الرحيم محمود ـ عبد السلام هارون ـ إبراهيم الابياري ـ حامد عبد المجيد ، بإشراف أ . د طه حسين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1987م ، ط3 ، ق3 ، ص1395 ، النهوك من الشعر أقصره

[4] اللزوميات : مرجع سابق ج1 ، ص49 .

[1] اللزوميات : مرجع سابق ج1 ، ص 154 .

وَأَكْرَمَنِي عَلَىَ عَيْبِي رِجَالٌ كَمَا رُوِيَ القَرِيضُ عَلَى الزَّحَافِ [2] .(الوافر)

ويمكننا أن نستنتج من كلامه ذلك أمور منها :

_ إنه كان شديد الاستقراء ، واسع الاطلاع على كلام القوم ، غارفاً بما يوافق كلام الأئمة وما يخالفه .

_ إنه لا يتابع المتقدمين في كل ما قالوه ، وإنما كان يناقش أقوالهم ، ويرجح بعضها على بعض .

_ إنه كان يعوّل على استقرائه ، فيحكم أحكاماً عامة .

_ إنه يعتمد على نفسه وعلمه ، فيجيز كثيراً مما منعه القوم ، ويمنع كثيراً مما جوزوه .

_ إنه ابتكر تقسيماً لبعض أحكام هذين العلمين ولقوافي الشعر كله [3] .

والأمثلة كثيرة في شعر أبي العلاء على استعمال مختلف العلوم .

ففي الصرف استخدم تكسير الاسم الصحيح في الجمع بالزيادة والنقصان كرجل ورجال ، وكتاب وكتب ، ونحوها خامة خاصة " شبه بها تشبيهاً ضمنياً كيف يكون تلاقي الأحبة تفرقاً كقوله : " من الطويل "

تلاقٍ ، تَفَرَّى عن فِراقٍ تَذُمّهُ مَآقٍ ؛ وتكسيرُ الصّحائحِ ، في الجَمْع [1] .

---

[2] المصدر نفسه ، ج2 ، ص72 .
[3] ينظر : الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره ، الجندي ، مرجع سابق ، ج2 ، ص 634-635 .
[4] سقط الزند ، مرجع سابق ، ص270 ، تفرّى : تكشف .

ففي " رسالة الملائكة " فقد أجاب بها عن مسائل صرفية ، ولكنه مزجها بغيرها ، وفي كلامه كثير من الإشارات إلى ما اصطلح عليه أهل العلم ، كقوله في اللزوميات من البسيط :

إِذا غَدوْتَ عَنِ الأَوْطانِ مُرْتَحِلاً فَضَاهِ في البَيْنِ حَذْفَ الوَاوِ مِنْ يَعَدِ [2] .

فقد شبه الرحيل عن الوطن كفراق الواو من الفعل المثال : " وعد " " يعد " .

وقوله من البسيط :

معنى خبيء على مابان منه كما تبنى الزوائد من ياأوس لاتنم .[3]

وقوله من الطويل :

إذا مادعي القوم ضاهى صريحهم فلا نُـــــــكْرَ واعدده آخر عبدل

أليس كباقي أحرف الوزن لامـــــــــــــــه ومافصلت من لام سهلٍ وأهدلِ.[4]

وقوله من الخفيف :

بِتٌّ كالواو بين ياء وكسرٍ لا يُلامُ الرجال إن أسقطوني .[5]

ولعل استخدام مصطلحات العلوم اللغوية وغير اللغوية بكثرة في شعر الشعراء في ذلك الوقت يعود إلى أن العلوم تكاملت في العصر العباسي ، من كمالها أن استوفى كل فن منها مصطلحاته وتوضحت دقائقه ، وأدباء تلك الأيام كانوا في الطليعة من المثقفين فلم يتوقفوا في ثقافتهم عند حدود ضيقة ، وإنما وسعوا آفاقهم

---

[2] اللزوميات ، مرجع سابق ، ج1 ، ص350 .
[3] المصدر نفسه ، ج2 ، ص390 .
[4] المصدر نفسه ، ج2 ، ص235-236 ، وعي القوم : من ادعى الانتساب إليهم .
[5] المصدر نفسه ، ج2 ، ص533..

، وضربوا في كل ناحية بسهم وأخذوا من كل فن بنصيب . وبذلك صارت المسائل العلمية من متناولهم يستمدون منها ما يشاءون ويجعلونها مصدراً من مصادر المعاني ، وحينئذ تقتضي الدقة في أداء هذه المعاني المستمدة من مختلف العلوم أن يعبر عنها بالألفاظ التي وصفها أصحابها للدلالة عليها ، ومن هنا تسربت المصطلحات العلمية إلى لغة الأدب وانتشرت انتشاراً ظاهراً في أساليب الكتاب والشعراء ، وقد يكون استمداد الأدباء لهذه المعاني العلمية راجعاً إلى أنها تُجزي في مواطنها ما لا يجزيه غيرها ، ويكون للتظرف والتملح ، وقد يرجع إلى ضيق الأفق وقصور الخيال [1] .

ومن الدين خاصة القرآن الكريم استمد أبو العلاء صوره ومعانيه ويتضح ذلك في قوله : " من البحر الطويل "

سَعَى آدمُ جدُّ البريَّةِ فـــــــــــــــــــي أذىً لِذرِيَّةٍ في ظَهْرِهِ تُشْبِهُ الذَّرَّا

تَلا الناسُ في النَّكْراءِ نهجَ أَبِيهمُ وغُرَّ بنوُهُ في الحياةِ كما غُرَّا [2] .

وعند شرح هذين البيتين يشير إلى تأثره بالقرآن الكريم بقوله : هذا مأخوذ من الكتاب الكريم لأنه قد نطق بعصيان آدم عليه السلام وهبوطه إلى الأرض بما فعل من الجزيرة [3] . وفي الكتاب الكريم " فدلاهما بغرور " [4] .

أما علم الكلام أو العقائد فلم نقف على كتاب له خاص بعلم الكلام أو العقائد ، وإنما يتراءى في كلامه ما يدل على اطلاعه على مذاهب العلماء في الكلام

---

[1] ينظر : دراسة في الأدب العربي وتاريخه ، أحمد الشعراوي ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ـ مصر ، د . ت ، ص 62 ـ 63 .
[2] اللزوميات ، مرجع سابق ، ج1 ، ص457 .
[3] ينظر : زجر النابح ، أبو العلاء المعري ، تحقيق د . أمجد الطرابلسي ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ـ سوريا ، 1985م ، ص99 .
[4] سورة الأعراف ، من الآية 21 .

والجدل وتقصيه آثارهم ، وانتقاده كثيراً من آرائهم وكتبهم ، ونحو ذلك مما سيأتي ، كقوله :

وما جَدَلُ الأقْوام إلاّ تعِلَّةٌ مُصَوَّرَةٌ عن بَاطِلٍ مُتَوَهَّمِ [1] . (الطويل)

وقوله من البسيط :

لولا التَّنَافُسُ في الدنيا لما وُضِعَتْ كتبُ التَّنَاظُرِ لا المُغْني ولا العُمَدُ [2] .

وقوله من الطويل :

واعلم أن ابن المعلم هازل بأصحابه والباقلاني أهزل [3].

ويلاحظ القارئ المتمهل لشعره وجود مصدر لعله من أهم مصادر الصورة هو التراث الشعري فقد اتخذ أبو العلاء الشعر العربي القديم مصدراً مستمداً منه صوره الخيالية التي لم يكن يستطيع أن يبدعها بطريقة أفضل لو اعتمد على نفسه فحسب ، فقد غلب على المعري أسلوب الجاهلية والإسلام في بعض أغراض الشعر كالمدح والفخر ونحوهما في سقط الزند ، فهو يطبع على غرار شعرائهما في هذه الأغراض ؛ لذلك نراه في قصائد المدح يصف الوادي والفرس والسيف والدرع والوحش والناقة وما شاكل ذلك حتى يخيل إليك أن صاحب هذا الشعر أعرابي عريق في إعرابيته ، في ألفاظه وفي مناحي كلامه وأسلوبه ، ولاشك أن سبب ذلك كثرة ما يحفظه من كلام العصرين .

---

[1] اللزوميات ، ج2 ، ص370 ، التَّعِلَة : مايشغل الإنسان به نفسه .
[2] المصدر نفسه ، ج1 ، ص295 ، المغني كتاب في الفلسفة للأشعري ، العمد : كتاب في الحكمة .
[3] المصدر نفسه ، ج2 ، ص162 .

وقد ذهب بعض الباحثين إلى تتبع أوجه تأثره ببعض الشعراء العباسيين سواء في الصور أو المعاني أو الألفاظ . ومن ذلك قوله : من " الوافر " .

فإنْ عَشِقَتْ صَوارِمُكَ الهَوادي فلا عَدِمَتْ بمنْ تَهوَى اتّصال [4] .

وقد تأثر بقول أبي الطيب المتنبي : " من الكامل " .

رقّتْ مضاربُهُ فَهُنّ كأنَّما يُبدين منْ عشْق الرِّقاب نُحولا [1] .

ونرى أن هناك اختلافاً واضحاً بين البيتين رغم وجود بعض الشبه ، فبينما يريد أبو العلاء القول للممدوح إن كانت سيوفك تعشق رقاب الأعداء فقد بلغتها أملها مما عشقت ، وأمكنتها من الذي أحبت وعلقت ، يقول أبو الطيب إن سيوف الممدوح رقيقة ماضية فكأنما هي تبدي نحولاً من عشقها الرقاب كما ينهل العاشق من جراء العشق وقد أبدى البطليوسي إعجاباً ببيته وفضله على بيت المتنبي ، وعلل ذلك بأن سيوف ممدوح أبي العلاء بلغت ما تريد أما أبو الطيب فلم يذكر أنها بلغت من معشوقها بغية وأدركت من وصاله أمنية [2].

إن الصورة التي نحن بصدد دراستها " صورة بصرية ينشئها المكفوف ، فهي ليست أكثر من اقتران لفظي حفظه الكفيف ثم استدعاه لتركيب صورة بصرية لا تقابل في ذهنه شيئاً يمت إلى الواقع المرئي بصلة ؛ فهي ليست أكثر من تركيب لفظي " [3] ؛ لذلك فإن معظم المعارف التي حصل عليها كانت عن طريق السماع ؛ ولهذا عوّل على اللغة المسموعة ، معتمداً التقليد والمحاكاة في الصورة الشعرية ؛ وقد اعترف بأنه قلّد غيره ، وحاكى سواه بقوله : " لا أعرف من الألوان إلا

---

[4] ديوان سقط الزند ، مرجع سابق ، ص104 .
[1] ينظر : ديوان المتنبي ،تحقيق .عبد المنعم خفاجي ، مكتبة الفجالة ـ مصر ، د.ت ، ص293 .
[2] ينظر : الصورة الفنية في شعر أبي العلاء ، مرجع سابق ، ص107 .
[3] ينظر : مجالات علم النفس ، مصطفى فهمي ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، د. ت ، ص23 .

الأحمر ، لأني ألبست ... في مرض الجدري ... وكل ما أذكره من الألوان في شعري ونثري ، إنما هو تقليد الغير واستعارة منه " [4] .

فمن هنا يجب علينا أن نتحدث على حواس الصورة ، فللحيوانات جميعاً حاسة البصر ، السمع ، اللمس ، الشم ، الذوق ، وللإنسان منها حاسة أخرى ولعل غيره من أنواع الحيوانات مثلها ولكنه لا يعرف ، تعرف بالحاسة السادسة جعل منها العلماء إجابة سهلة لكل ما يقع خارج هذه الحواس أو الإدراك العقلي ولا يجدون له تعليلاً ، ويضربون لذلك أمثلة عدة تؤكد وجودها ونشاطها وهي مقنعة ومع ذلك لا نستطيع أن نتحدث عنها عند المعري لأنها شبه وهمية أو غير مرئية على الأقل ، فالإنسان يستخدم عادة حاسة النظر ثم اللمس ثم الشم ثم الذوق بهذا الترتيب إن جهل شيئاً وأمكن معه استخدام هذه الحواس جميعاً .

والسبب أن الصفات بطبعها متدرجة من شكل يعم الجميع إلى ملمس يخص البعض إلى شم وذوق لا يخص إلا القلة .

فالعين ترى الأضداد : الماء والنار ، والمتناقضات : النور والظلام ، وعدة أشياء في آن واحد ، واللسان عاجز عن تذوق الحرارة والبرودة والحلاوة والمرارة ، والطبيعة في الحواس هي التي تجعل العين تدرك الأجسام على بعد أو بلا ملامسة ، واللمس بأي جزء من الجسم إلا أن أريد التفحص فبالأنامل والشم على بعد قريب غالباً ، والذوق بجزء معين وملامسة مباشرة ويجعل النظر قاسماً مشتركاً أعظم يتدخل في حالة اللمس والشم والذوق ولا تتدخل هذه الحالة من حالات النظر فالإنسان يرى الحرير ثم يلمسه ويرى الشمام ثم يشمه ، ويرى العنب ثم يتذوقه ويجعل الذوق ذا طابع علمي يستخدم عند الأكل والشرب . والشم بالمثل إلا أنه بدرجة أقل من الذوق بالأكل وأكثر بغير الأكل ويجعل الإنسان يفجع

[4] تعريف القدماء بأبي العلاء ، طه حسين ، مرجع سابق ، ص30 .

أن فقد الرؤية ولا يتأثر كثيراً إن فقد الإحساس بالطعوم ويجعل المبصر يستخدم حاسة الذوق بتحفظ بالغ والأعمى بتحفظ أبلغ ؛ لأن الإنسان لا يتذوق الطعوم إلا بالملامسة وهذه تتصل بالطعام وتجعل السمع بمثل النظر واللمس والشم والذوق ؛ لأنه يعني اللغة واللغة هي الوعاء التاريخي لخبرات البشر .

فما اجتمع لفظ السمع والبصر بآية من آيات القرآن الكريم إلا وقدم السمع على البصر . قال تعالى : ((فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعاً بصيراً)) [1]. وقال الدكتور طه حسين " إنما الفضل كل الفضل في ذلك لسمعه الذي كان ينقل إلى نفسه الأصوات المختلفة وما تدل عليه " [2] ، وشهد شاهد من أهله ، وقال هو بذاته ، وفي ذلك قول بشار من البسيط :

لا تعرف الوزن كفى بل غدت أذني وزانة ، ولبعض القول ميزانُ

يا قوم أدني لبعض الحي عاشقـــــــــــــــــــة والأذن تعشق قبل العين أحياناً

قالوا : بمن لا ترى تهذي فقلت لهم الأذن كالعين توفي القلب ماكان [3] .

والمرتب على هذه الفروق الدقيقة بين طبيعة الحواس ونوعية الصفات في المدركات كثير أهمه أن الإنسان يستخدم حاسة البصر أكثر مما يستخدم بقية الحواس ، وأعني بالبقية اللمس والشم والذوق ، والسمع خارج عنها ' لأنه لا يمثل الجميع . فيكون له من مخزون خبراتها الأكثر ، وعند قراءة أعمال الآخرين ، وعند الابتكار للشخص ذاته يظهر أثر الاستخدام والخبرة .

فالدكتور طه حسين بلغ عمادة الأدب وهو للعين فاقد .

---

[1] سورة النساء ، الآية 58 .
[2] ينظر: تجديد ذكرى أبي العلاء ، مرجع سابق ، ص114 .
[3] ديوان بشار ، ج2 ، ص533 .

وبالنسبة للشاعر المعري لم يفقد غير حاسة البصر ، وبفقدها قويت بقية الحواس فيه كغيره من العمى ، ولا أعني بقويت أنه زاد السمع سمعاً والشم شماً والذوق ذوقاً كما يعبر البعض ؛ ولكن أعني أنه اعتمد عليها فزادت قوة بالاستخدام .

أما عن سمعه قال العمري : " دخل عليه أبو محمد الخفاجي وسلم عليه ولم يكن يعرفه فرد عليه السلام وقال : هذا رجل طويل ، ثم سأله عن صناعته فقال :أقرأ القرآن . فقال : أقرأ عليّ شيئاً منه . فقرأ عليه عشراً . فقال : أنت أبو محمد الخفاجي الحلبيّ ؟ فقال : نعم . فسئل عن ذلك فقال : أمّا طوله فعرفته بالسّلام ، وأمّا كونه أبا محمد فعرفته بصحة قراءته وأدائه بنعمة أهل حلب " [1] .

فالحواس ذات تأثير كبير ومباشر في التعبير عن الصورة الحسية التي يريد الشاعر نقلها إلى المتلقي ، وذلك لأنه يستخدم في تصوير الشيء الذي لا يمكن أن يعبر عنه بواسطة الأفكار المجردة ، لهذا كان للحواس دور مهم في مساعدة المبدع في نقل الصورة الحسية .

إن هذا شيء طبيعي عند جميع المبدعين باستثناء الشاعر الأعمى الذي يجمع كل شيء لتركيز الصورة الحسية واعتماده على الحواس ، إذ أنه يستخدم هذه الحواس في نقل التشبيه الذي يعتمد عليه إلا على الحاسة البصرية التي هي سبب العاهة ، إنما يسخر الحواس في نقل الصورة الحسية لذا اجتمعت الآراء في البلاغة على الدور الحسي الذي يؤديه التشبيه ، " فهو يجسد في صورة حسية الأفكار المجردة ويجعلها كأنها موجودة أمامنا " [2] .

" والمكونات الحسية في الشعر عامة وشعر العميان خاصة عنصر ضروري في القصيدة ، وقــدرة الشاعر في أنه وجد شيئاً من العـــــدم ، ولكن قدرته في أنه

---

[1] تعريف القدماء بأبي العلاء ، ص 52 .

[2] ينظر : الصورة الشعرية في الكتابة الفنية ، صبحي البستاني ، دار الفكر اللبناني ـ بيروت ، ط1 ، 1986م ، ص812 .

استطـــــاع أن يكوّن صـــورة في أشتات وأن يحضر الصلة المؤلفة إلى ذهنه احضاراً واضحاً"[3].

إذن يمكن القول : إن " المدركات الحسية من بصرية وسمعية وشمية وذوقية ترى وكأنها واحدة أمام الجميع ، إلا أنّ تصوير هذه المدركات يرجع بالأساس إلى مدى تفاعل التخيل عند كلّ شاعر وآخر ، ويرتبط بالإيحاء الشعوري الذي يفهمه كلّ حسب ما يراه ويحسه " [1] .

فالمدركات الحسية هي المادة المكونة للإبداع ، ولذا تسهم العناصر الحسية في تشكيل الصورة عند أي شاعر .

_ **الصورة السمعية :** " إن حاسة السمع تلي الحاسة البصرية من حيث القيمة الجمالية ، وهما معاً يفضلان الحواس الأخرى من حيث القيمة العقلية والثقافية "[2].

أما من الجانب الآخر ، فتؤكد الدراسات المتخصصة " أن حاستي السمع والبصر قويتان عند المكفوفين ، وفقاً لمبدأ التعويض ، وكانت هذه القوة لا ترجع إلى موهبة خاصة ، وإنما تنشأ مع براعة استخدامها وطول تدريبها " [3] .

" لقد حرص الشاعر الكفيف على بناء الصورة السمعية ليعوض عن الصورة البصرية الأصل ، فيبرز جمال الأصوات وقيمة المسموعات بعد أن سعى لبناء تأسيس نظري حاول فيه إقناعنا بمساواة السمع والبصر " [4] . "والسمع هو عماد الكفيف في صلاته الاجتماعية فعن طريقها يكشف تصرفات الناس من حوله

---

[3] ينظر شعر العميان ، الواقع ، الخيال ، المعاني والصورة الفنية (حتى القرن الثاني عشر الميلادي) د . نادر مصاوره ، مراجعه وتدقيق وتقديم : د. غالب عنابسه ، دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان ، ط1 ، 2008م ، ص223 .

[1] شعر العميان ، الواقع ، الخيال ، المعاني والصورة الفنية (حتى القرن الثاني عشر الميلادي) ، مرجع سابق ، ص223 .

[2] ينظر : مبادئ علم النفس العام ، يوسف مراد ، دار المعارف ـالقاهرة ، ط7 ، 1987م ، ص68 .

[3] رحلة في عالم النور ، مرجع سابق ، ص 82 .

[4] مبادئ علم النفس العام ، مرجع سابق ، ص 68 .

وانفعالاتهم الصوتية فيكتسب بفضل اليقظة (الضرورية) مهارات كثيرة في معرفة حالة المتحدث النفسية وتقدير نوعية العواطف ودرجتها " [5].

فالشاعر الكفيف مأخوذ بالصوت مشغول بالسماع مرهف الأذن حمل إصغاءه مهام البصر ، بل ومهام حواس أخرى كما يقول المعري في وصف رهافة سمعه :

لا تعرف الوزن كفي بل غدت أذني وزانةً ولبعض القول ميزان [1].
(البسيط)

" ولذلك يمكن القول أن الأعمى من كثرة تجاربه وخبراته أشبه ما يكون بالأخصائي في علم الأصوات ومخارج الحروف " [2] .

نلاحظ المعري يؤثر فيه الصوت والغناء والحديث والشدو حزناً أو فرحاً ، فهو في كلتا الحالتين متأثر بالصورة الضوئية ، وأول إشارة نراها له في الصوت هي ذكر ممدوح شاعر أراد أن يثنى على شعره بالرقة والحلاوة فقرنه بحلاوة سماع الألحان لعاشقها إذ يقول :

أطربنا ألفاظه طرب العـــا شق للمسمعات بالألحان [3] .(الخفيف)

ولأبي العلاء أبيات عديدة في ذكر النغمات والأوتار والألحان وذلك في قوله :

وما نغم الأوتار في سمع أذنه بأحسن صوتاً من رُغاء سَوامهِ [4] . (الطويل)

وقوله :

وهواك عندي كالغناء لأنه حسن لدي ثقيله وخفيفه [5].(الكامل)

---

[5] ينظر : شعر المكفوفين في العصر العباسي ، د. عدنان عبيد علي ، مكتبة الإبداع ، 1985م ، ص85 .
[1] ديوان اللزوميات ، ج2 ، ص449 .
[2] ينظر : أثر كف البصر على الصورة عند المعري ، د . رسمية موسى السقطي ، مطبعة أسعد ـ بغداد ، 1968م ، ص46 .
[3] شروح سقط الزند ، ق 1 ، ص457 .
[4] المصدر نفسه ، ق2 ، ص508 ، سوامه : إبله السائمة ، ويقال : رغت الإبل ترغو رغاء ، والسوام كل ما رعى من المال .

يقول : من محبته لإبله ، وحسنها في عينه ، يلتذّ بأصواتها كما تلتذّ بنغمات الأوتار ، فهو لا يبتذل منها شيئاً ، ولا يقري منها ضيفاً .

وقد استعار النغمات لشعر الممدوح لمبعثه الطرب في الأفهام إذ تراه يقول :

فتشوّقتْ شوقاً إلى نغماته أفهامنا ورنت إلى آدابه[6]. (الكامل)

يجعل الشاعر أذنه طريقاً إلى قلبه فيتغنى بحديث المرأة ، " والسمع عماد الأعمى في اتصالاته الاجتماعية " [1] .

ويصف المعري ذكر صوت الحمام ، شدوها وشجوها فيقول من الطويل :

أَتَى وَهْوَ طَيَّارُ الجَنَاحِ وَإِنْ مَشَى أَشَـــــــاحَ بِمـــــــا أَعْيَا سَطِيــحا مِنْ السَّجعِ

يُجيبُ سَمَـــاوِيَّـــاتِ لـــــــــــــــــــــوْنٍ كَـــــأَنَّمـــــــــــــا شَكَرْنَ بشَـــــــوْقٍ أوْ سَــكرْن مِن البِتـــــــعِ

ترى كُلَّ خَطْبَاءِ القمِيصِ كَأَنَّها خَطِيبٌ تَنَمَّى في الغضِيضِ مِنَ اليَنْعِ

إذا وَطِئَتْ عُوداً بِرِجِـــلٍ حَسْبتَهـــــــــــــا ثَقِيلة حِجْلٍ تَلْمِسُ العُــودَ ذا الشِّــرْعِ [2].

ويقول في غناء حمامة ورقاء من الطويل :

وغنت لنا في دار سابور قينة من الورق مطراب الأصائل ميهال

---

[5] سقط الزند ، مرجع سابق ، ص 260 .
[6] شروح سقط الزند ، ق2 ، 508 .
[1] ينظر : أثر كف البصر ، مرجع سابق ، ص54 .
[2] شروح سقط الزند ، مرجع سابق ، ق3 ، ص 1337 إلى 1339 .

رأت زاهرا غضّا فهاجت بمزهر مثـــانية أحشـــــــــاء لـــــــــطُفن وأوصال

فقلت : تغني كيف شئت فإنما غنـــــــاؤك عندي يا حمـــــــــامة إعـــــــــوال[3].

ولم يكتف المعري في ذكر الحمام فراح يعطيها صوراً سمعية لأصوات أخرى ، فنراه يذكر صور سمعية في صوت الأسد بقوله من الطويل :

أتعلم ذات القُرْطِ والشَّنْف أنني يشنفني بالزّأر أغلب رئبال ؟[4] .

ويذكر صوت الأسود مرة أخرى بقوله:

وما ذاد عنّي النوم خوف وثوبها ولكن جرسا حال في أذني سمع [1].(الطويل)

وقد استطاع المعري أن يعطينا صورة سمعية من خلال وقع الأسنة على الدروع وتشبيهها بصوت نقيق الضفادع في قوله :

غـــديـــر نقت الخرصـــان فيـــه نقيق علاجم ، والليل داجى [2] . (الوافر)

وصوت تكسير الرماح في ساحة المعركة يشبهه المعري بصوت نقيق الضفادع بقوله:

---

[3] ديوان سقط الزند ، مرجع سابق ، ص267 .
[4] المصدر نفسه ، ص266 .
[1] سقط الزند ، مرجع سابق ، ص273 .
[2] شروح سقط الزند ، ق4 ، ص1724 ، الخرصان : الرماح ، العلاجم : الذكور من الضفادع .

وسمرِ كشجعان الرمال صياحها إذا لقيت جمعا صياحُ ضفادي [3]. (الطويل)

وصورة سمعية لصوت الرعد يذكرها المعري الذي يشبه صوته بصوت زئير الأسد في قوله :

تهزم الرعد حتّى خلته أسدا أمامه ، من بروق ، ألسنٌ دُلع [4] .(البسيط)

وهنا نلاحظ أن السمع ذا صلة بالرموز العقلية التي تتمثل بالتعبير اللغوي إلى جانب الصلة بأصوات الحياة العقلية ، وأن عماد الكفيف هو السمع في اتصالاته الاجتماعية فهو يزن شخصية الفرد أمامه وكيف يميز اللهجة بين فرد وآخر بدقة ، وهو في هذا المضمار يكتسب مهارة عجيبة ليس في القدرة على تذكر الأصوات ولكن على استنتاج حالة المتحدث النفسية ، إذ أن الصورة السمعية للكفيف تقوم بمساعدة الكفيف في تميز العوائق التي تعترض سبيله ، فإن حاسة السمع عند الشاعر الكفيف لها المكانة الأولى بعد الحاسّة البصرية ، وهي أساس الصورة في شعره .

_ **الصورة اللمسية :** تعتبر يد الأعمى مصدراً للمعرفة في كثير من نواحي حياة الشاعر الأعمى ، فمن خلالها تجمع أدوات البحث والمعرفة والعمل .

وحاسة اللمس هي حاسة إدراك الجمال فهي تطلعنا على مالا تستطيع العين إطلاعنا عليه "كالنعومة ، الرخاوة ، والملامسة " فالأصابع تداعب الشعر وتحس به فالشاعر لهذه الصورة مثلاً يوقظ فينا انفعالاً قوياً مؤثراً لا يقل عن الانفعال النابع عن الصورة البصرية والسمعية ، إن حاسة اللمس تصبح وسيلة إحساس وشعور ونقل فالذي تفيده حاسة اللمس في الوصف أيضاً لا يقل عمّا تفيده الصورة البصرية لوصف جسد أو قوام ، فحاسة اللمس من الحواس الأساسية التي يعتمد

---

[3] سقط الزند ، ص301 ، الضفادي : الضفادع .

[4] اللزوميات ، مرجع سابق ، ج2 ، ص32 ، تهزم : تقصف ، دُلعُ : متدلية .

عليها في الحصول على المعرفة من خلالها ، فنلاحظ المعري يصف العصى التي اعتبرها جزءاً من حاسة اللمس " معرفة الأشياء من خلالها " فيصفها ويصورها في قوله :

عصا في يد الأعمى يروم بها الهدى أبرلـــه من كـــــل خدنٍ وصـــــاحبٍ

فأوســـــع بني حـــــــــــواء هجـــــــــراً فـــإنهـــــــــم يسيرون في نهج من الغدر لاحبٍ[1].(الطويل)

ويجد المعري في حاسة اللمس ما يناسب المعنى للتعبير عن حظه السيء ، بحيث يوصلها إلى السامع بصورة فنية في قوله من البسيط :

تظلّ كفي لحُرفي إن لمست بها سهيك طيبٍ ، كأخرى باشرت سهكاً [2].

وحاسة اللمس على سعة مجالاتها لم نجد لها تعبيراً كافياً عند المعري إلا في أبيات قليلة ، ومن أبرزها إشارته إلى خشونة الدرع في قوله :

قضاء تحت اللمس قضّاءةً غيرَ قضاءِ السيف واللهذم [3] .(السريع)

وقوله :

وما بُردةٌ في طيّها مثل مبردٍ بعاجزة عن ضمَّ شخص وأوصال [1] .(الطويل)

وفي قولٍ آخر له :

وعندي حصدأ مرودة كأن مُطاويها مبرد [2] . (الطويل)

---

[1] اللزوميات ، مرجع سابق ، ج1 ، ص 128 ، الخدن : الصديق والصاحب ، اللاحب : الطريق الواضح .
[2] المصدر نفسه ، ج2 ، ص132 ، الحُرفُ : الحرمان ويريد سؤ الطالع ، سهيك طيب : الطيب المسحوق الفوّاح ، السهيك : رائحة الصدأ .
[3] شروح سقط الزند ، مرجع سابق ، ق4 ، ص 1750 ، قضاء : خشنة ، اللهذم : الماضي .
[1] شروح سقط الزند ، ق4 ، ص1834 ، أوصال : جمع وصل ، وهو العضو .
[2] المصدر نفسه ، ق4 ، ص1834 .

وهكذا نجد المعري لم يصور حقيقة إحساسه اللمسي أو أي صورة لمدركاته الحسية.

_ **الصورة الشمية :** وهي الصورة التي تثير فينا الخيال عندما نشعر بها عن طريق عضو الشمّ الأنف فندرك بالرائحة فوارق الأشياء . " وبالنظر لما تتميز به حاسّة الشمّ من بعد المدى ، فإنها تأتي في المرتبة الثانية بعد السمع عندما يضيع البصر . فهي تسهم في تنويع حياة الكفيف ، وإثارة الاهتمام ، كما تسهم في التعريف على روائح البدن الطبيعية " [3] .

وحاسة الشم لها دورها الفعّال في معونة الأعمى على " تفهم حقائق ما حوله ، وهي في حاجة إلى مزيد من المران والتدريب لتكون يقظة في تمييز جميع الروائح على اختلاف أنواعها وقوتها ومعرفة شتى مصادرها " [4] ، " فعن طريق هذه الحاسة يستطيع الكفيف أن يميز بين مختلف أنواع الطعام والشراب ويميز أنواع النباتات والحيوانات ، ثم إن هناك روائح مميزة كرائحة الأرض بعد المطر ، ورائحة الكحول ، ورائحة الأزهار ، بل إن الأعمى يستطيع أن يميز بعض الأفراد من روائحهم الطبيعية أو من العطر الذي اعتادوا التعطر به " [5] .

فهذا المعري يصف المحبوبة بجمال اللون وطيب الرائحة إذ جعل حلتها من زهر الخزامى في قوله :

كأن الخزامى جمّعت لكِ حلّة عليك بها في اللون والطيب سربالُ [1]

.(الطويل)

---

[3] ينظر : شعر العميان ، مرجع سابق ، ص243 .
[4] أثر كف البصر ، مرجع سابق ، ص51 .
[5] المصدر نفسه ، ص 51 .
[1] شروح سقط الزند ، مرجع سابق ، ق3 ، ص1222 .

فزهر الخزامى أبيض اللون يميل إلى الحمرة ، حتى كأنه يشبه خدود الجميلات في حلاوته وجمالها .

ويتضوع المسك من ذوائب محبوبته من رائحة طيبة عطره في قوله من الطويل :

ويُرفع إعصـــــــــــار من الطيب لا يُرى عليه انتصار كلما سُحب المِرط

غدت تحت راحٍ يجذب الستر مثلما تنســـمَّ راح بالمديــر لها تسطـــو

وقد ثمل الحـــادي بها من نسيــمهـــــــــــا كأن غاله من كرْم بابل إسنفط [2] .

ومعناه إن هبّت الريح ارتفع لها عطر لا يفوقه بالطيب عطر غيره كلما مشت هذه الحبيبة تسحب من وراءها إزارها ، وإن هبّت الريح وهي في هودجها فإن ستر هذا الهودج يبعث من طيبها للريح كلما حركته ما تهدى .

وفي رثاء أمه يجد المعري ريح المسك والكافور أريجا يحمل الرائحة العطرة من عبقه إلى روح أمه ، في قوله :

فيا راكب المنون أما رسولٌ يبلّـــــغ روحهـــــــــــــــا أرج الســـــــــــــــــلام

ذكيا يصحب الكافور منـــــــه بمثل المسك مفضوض الختام [3] .(الوافر)

ويُكثر المعري من الصور الحسية الشمية كقوله يصف ليلة زفاف ممدوحه ، وقد أفاض في وصف المشمومات من العطور وبالغ حتى خرج عن المألوف وأسرف

---

[2] المصدر نفسه ، ق4 ، ص 1616 إلى1618 ،تنسم : انتشر ، راح الأولى من البيت الثاني من الريح ، وراح الثانية : الخمر ، إسنفط: من أسماء الخمر .

[3] المصدر نفسه ، ق4 ، ص 1420 - 1421 .

إذ اشترك في الشم ، وجعل له منخرين فجاءت الصورة مجسمة غريبة ، في قوله : للطـــــيب في حِنْدِســـها سَـــــوْرة مناخر البدر به تفعم [1] . (الرجز)

فليس مهما أن يكون الشاعر الكفيف قد ركز على طيب تلك الرائحة أو قبح غيرها ، بل إن صلة تلك الروائح بالنفس ، وما تمثله بالنسبة إلى الشاعر الأعمى هما الهدف .

_ **الصورة الذوقية :** ومن الحواس التي يعتمد عليها الكفيف في اكتشاف العالم الذي ينتمي إليه هي " الذوق " ، فهي أكثر أهمية للشاعر الأعمى من البصر فيما يمكن تسميته " الاتصال بعالم الواقع من الخيال " ، وحاسة الذوق تشبه حاسة اللمس في امتدادها على الاتصال المباشر .

وحاسة الذوق عند الشاعر الأعمى " تغني الثروة الثقافية ، إذ تضيف إلى مداركه وإحساسه مقدارا ليس كبيرا من العالم المحيط حوله . وذلك أن التعرف الذوقي إلى المحسوس يتطلب من الحاسّ تماساً مباشراً ، وتجربة عملية ليتحقق له فهم المادة المذوقة " [2] .

أما الوسيلة الذوقية في شعر المعري فلا تكاد تعثر عليها فربما كان بسبب أن هذا الرجل " زهد ــ الخجول " وتقشفه وعزوفه عن الطيبات سبب في غياب هذه الوسيلة في وصفياتها ، وقد جعل المعري للكرم طعماً لذيذ المذاق وللأخلاق الفاضلة عذوبة ، فأصبح لهذا التصوير الذوقي دلالة معنوية ، فيقول :

تنازع فيك الشبه بَحْرٌ وديمةٌ ولست إلى ما يزعمان بمـــــائلِ

إذا قيل بَحْرٌ فهو ملحٌ مكدرٌ وأنت نمير الجود عذب الشمائلِ

---

[1] شروح سقط الزند ، ق2 ، ص 853 ، الحندس : شدة الظلام ، تفعم : تملأ .
[2] شعر العميان ، مرجع سابق ، ص 260 .

ولست بغيثٍ فوك للدرّ معدنُ ولم تلف دراً في الغيوث الهواطلِ [1] .
(الطويل)

وعلى ضوء ما تقدم نستطيع أن نرجّح بأن الصورة السمعية قد تفوقت على سواها ، وبقيت النسبة بين الصور الثلاث ، اللمسية والشمية والذوقية على اختلاف أهميتها بالنسبة للشاعر الأعمى ، متقاربة .

_ **الصورة اللونية :** يدل لفظ اللون في اللغة على تغيير الهيئة والصورة ، فاللون صفة الشيء وهيئته من البياض والسواد والحمرة وغير ذلك ، وما فصل بين الشيء وغيره[2] .

يظهر أن الشعراء العميان استخدموا ألواناً متعددة للتعبير عن الصفات الإنسانية سواء ما يتعلق منها بالرجل أو بالمرأة ، فعلى صعيد اللون وارتباطه بصورة المرأة يقول المعري من الطويل :

وبيضاء ريّا الصيف الضيف والبرُى بسيطة عُذر في الوشاح المُجَوّع [3] .

ويعني بذلك المرأة البيضاء ، وكان الشعراء السابقون يتغزلون بالمرأة البيضاء ، فقد كان اللون الأبيض يرمز للحسن في المرأة ، حتى أصبح البياض صفة ملازمة لكل مرأة حسناء ، فهو يقول : " لقد وصفها باليسار وأنها لا يدركها الظمأ ، لأنها مثرية ، وأنها حسناء منعمة يعزّ أضيافها لعزّة أهلها ونعمائهم حتى في الوقت الذي ييبس الزرع وتجف المياه في فصل الصيف ، فرغم ذلك تراهم منعمين وترى الحسناء غضّة ريانة ، نحيلة الخصر لا يكاد يثبت الوشاح عليه " .

---

[1] شروح سقط الزند ، مرجع سابق ، ق3 ، ص1074 ، الديمة : المطر الدائم في سكون ، النمير : النافع العذب ، الشمائل : الخلائق
[2] ينظر : المنجد الأعدادي ، مرجع سابق ، مادة لون ، ص 17 .
[3] شروح سقط الزند ، مرجع سابق ، ق4 ، ص1497 .

ويبرز المعري هذه الصورة اللونية عند النساء البيض الجميلات في قوله :

وفيهم البيض أدمتْها أساورها رمْي الأساور إجلاء حار مبغوتا [1].(البسيط)

ومعناه أن النساء البيض الجميلات اللواتي امتلأت أجسامهن قد ضاقت الأساور عليهن فأدمت المعاصم كما تدمى البقر الوحشي التي يباغتها الصيادون مباغتة فيدمونها .

وقوله أيضاً :

يسرع اللمح في احمرار كما تُســـــ ـــــــــرعُ في اللمحِ مقلة الغضبان [2] . (الخفيف)

لمح البرق والنجم ، أي لمح ؛ ورأيت لمحة البرق . شبه لمعان سهيل بسرعته وحمرته بلمعان عين الغضبان في سرعتها وحمرتها . وهكذا لأن الكواكب تشبه العيون ، وهذا من التشبيه المركب ، ولقد أحسن حيث شبه لمعه بلمح الغضبان ، بعد أن جعله محارباً معارض الفرسان .

وقد تناول المعري هذين اللونين ، الأبيض والأسود ، كثيراً في أشعاره في مواضع مختلفة ، فيقول مصوراً البيداء :

كـــــأن فجـــاجها فقـــدت حـــــبيبـــــــــــــــــــاً فصيّرت الظلام لها حدادا

وقد كتب الضريب بها سطوراً فخلت الأرض لابسة بجادا[3] . (الوافر)

---

[1] شروح سقط الزند ، مرجع سابق ، ق4 ، ص1571 ، الإجل : القطيع من بقر الوحش .
[2] المصدر نفسه : ق1 ، ص435 .
[3] سقط الزند ، مرجع سابق ، 235 .

فقد صور ظلمة الليل كأنه يلبس الحداد على فراق حبيب ، أما الثلج فقد ملأ الأرض فأصبح كالسطور ، فظهر وكأنها تلبس لباس البجاد المخطط .

فظلمة الليل = لباس حداد = لون أسود . الثلج = السطور على الأرض = لون أبيض .

أما اللون الأحمر ، استخدمه المعري في وصف الخيل في المعركة ، في قوله :

وعادت كأن الرثم بعد ورودها أعرف احمرار الأفق توق الجحافل [1].(الطويل)

ويشبه المعري البرق بالدم والليل بالزنجي ، في قوله :

إذا ما اهتاج أحمر مستطيرا حسبت الليل زنجياً جريحاً [2].(الوافر)

وبذلك نلاحظ أن الشاعر الأعمى باستعماله الألوان أن يعبر عن الجوانب المعنوية في التعبير عن أحاسيسه ومشاعره الصادقة .

وللمعري صور آخرى في الحرب ومستلزماتها ففي الخيل والإبل والسيف والرمح وغيرها له صورة بصرية أخّاذة .فقوله في صورة بصرية يصور فيها الحصان :

ولَمَّـــا لـــم يُسَـابِـــقْهنَّ شَـــــــــــــــيءٌ مِن الحيـــوانِ سَابَقْنَ الظِّـــــلاَلاَ

ترى أعْطَافَهَا تَرْمي حَمِيماً كأجْنِحَةِ البُزاةِ رَمَت نُسالاَ[3] . (الوافر)

---

[1] شروح سقط الزند ، ق3 ، ص1069 ، الرثم : جمع أرثم ، وهو الذي في جحفلته العليا بياض .
[2] المصدر نفسه ، ق1 ، ص240 .
[3] المصدر نفسه ، ق1 ، ص46 .

المبحث الثالث

أساسيات بناء الصورة عند المعري

المبحث الثالث

أساسيات بناء الصورة عند المعري :

أ- **الخيال :** هو قدرة الشاعر على التخيل في ربط الألفاظ بالمعاني ، وإقامة علاقات تخدم الفكرة وإن كانت مبتكرة ومن صميم نفسيته وعالمه الخاص هو الصورة الفنية ، فإننا لا نستطيع تأسيس أي مفهوم للصورة الفنية بعيداً عن الخيال ، فهو الذي "يكسر الحاجز الذي يبدو عصيباً على العقل والمادة ، فيجعل الخارجي داخلياً ، والداخلي خارجياً يجعل من الطبيعة فكراً ، ويحيل الفكرة إلى طبيعة ، وهذان موطن السر في الفنون" [1].

ومن هذا ندرك أن العنصر الذي يلعب الدور الرئيسي في خلق الصور ليس اللغة ، ولكنه الخيال ، إذ أن الصورة في أساس تكوينها " شعور وجداني غامض بغير شكل ، بغير ملامح ، تناوله الخيال المؤلف أو الخيال المركب فحدده وأعطاه شكله أي حوله إلى صورة تجسده" [2].

وقد اتفق معظم الباحثين على تعريف الخيال " بأنه المعالجة الذهنية للصور الحسيّة وبخاصة في حالة غياب المصدر الحسي الأصلي " [3].

" الخيال كأي قدرة أو موهبة ذهنية أو نفسية لا يستطيع العلم أن يحددها بتجاربه ومعاييره ، ولكن بفضل ما حاول النقاد معرفته لهذه الكلمة نستطيع أن نفهم المراد منها والاقتراب من معناها كما أننا نستطيع – كما قال أحدهم – : أن نعرفها في آثارها " [4].

---

[1] الصورة الأدبية ، مرجع سابق ، ص27 .
[2] ينظر : الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس ، ساسين عساف ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1982 ، ص26 .
[3] مصطلحات الأدب ، مرجع سابق ، ص237 .
[4] نقلاً عن شبكة المعلومات الدولية .

ويرى العقاد : " أن الصورة الخيالية والمعاني هي الأصل في جمال الأسلوب في الأدب " [1] ، وهذا يؤدي إلى أن الخيال الذي يتمتع به الشاعر وقدرته على استخدام الصور دون أن يراها ركيزة أساسية للقيام بمهمته ، وهي التقاط ما تفرق من مشاعر وأفكار ليخلقها خلقاً جديداً بعد أن وجدت في الوجود القديم ، ويقال من هنا : " إن الشاعر الكبير هو الذي لا يكاد ينفعل حتى يمده خياله بفيض من الصور التي تجعله يشاهد مشاعره بقدر ما يشعر بها "[2] إذن الخيال هو جوهر العمل الشعري والأدبي فلا يذكر الشعر إلا مقترناً بالخيال .

إن مهمة الخيال أساسية في العمل الفني الشعري بخاصة ، فالصورة الفنية " لا تكتمل بدونه مهما كانت قدرات الشاعر والفنان ، ولما كانت هذه الصورة قد استوعبت صفات التشكيل المكاني فإنّ الخيال ارتبط مثلها بالمكان الذي يدعونا بالفعل ، ولكن قبل الفعل ينشط الخيال ، ينقي الأرض ويحرثها " [3].

فالخيال : نشاط عقلي روحي يعمل على جمع أشتات من الصور المستدعاة لغاية المشابهة أو المنافرة ، " لكنها تنتظم بتأثير قوته وقوة الانفعال داخل نسق متحد منسجم " [4].

ويبدو أن تصور النقاد العرب للصورة لم يخرج عن تصوّرهم للخيال على الرغم من أن الشاعر كان يفضل " التعبير المجرد القليل الصور الذي يقصد إلى إمتاع العقل أكثر مما يقصد إلى إمتاع الخيال " [5].

---

[1] ينظر : مراجعات في الأدب والفنون ، عباس محمود العقاد ، (المكتبة المصرية – بيروت ، صيدا) ، 1983م ، ص99 .
[2] ينظر : النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته ، أحمد كمال زكي ، (مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر) ، 1982م ، ص51 .
[3] شعر العميان ، مرجع سابق ، ص20-21 .
[4] ينظر : الصورة الفنية في النقد الشعري ، دراسة في النظرية والتطبيق ، د. عبدالقادر الرباعي ، مكتبة الكتاني للنشر والتوزيع ، الأردن – ط2 ، 1995 ، ص79 .
[5] الصورة الأدبية ، مرجع سابق ، ص186 .

والشاعر أبو العلاء فقد بصره منذ بداية حياته ، وهذا الذي فقد البصر في الرابعة من عمره كيف يصور المرئيات أو ينقل المعاني في صور دون أن يعتمد على الخيال ؟ ، وخيال الأعمى قد يخطئ أو يصيب في تكوين علاقات بين الأشياء و المعنويات ، والبحث في شعره والتصوير الفني فيه يظهر أبو العلاء في صورة الفنان الحاذق .

ولنأخذ لذلك مثلاً في نقل معنى الفكرة ووصفها لنا ويرسم أبو العلاء في هذا البيت لوحة جميلة من خيال متدفق متطور حيث بدأ بالشيء المعنوي ثم جاء بشيء حسي وهو الحبل ، ولنمسك بطرف الحبل أو نهايته ، ولننظر إلى طرفه الآخر وهو يرتفع إلى الثريّا .

فيقول : " من البسيط " .

الْفِكْرُ حبلٌ متى تُمْسِكْ على طَرَفٍ منه يُنَطْ بالثّريَّا ذلكَ الطَرَفُ [1].

وينبغي أن نميز في معاني الشعر وصوره بين نوعين نسمى الأول التخيل والآخر الوهم . فالتخيل : أن يظهر الشاعر الصلات التي بين الأشياء التي ربما خفيت على غيره ، ولكن يشترط في هذا النوع أن تكون الصلة متينة . والتوهم : أن يتوهم الشاعر شيئين صلة ليس لها وجود ، أو أن يبين عن صلة غير متينة .

مثل قوله :

ضَرّجَتْهُ دماً سيوفُ الأعادي فبكَتْ رَحْمَةً له الشِّعْرَيان [2].(الخفيف)

أو قوله :

[1] اللزوميات ، مرجع سابق ، ج2 ، ص55 ، يُنط : يتعلق .
[2] سقط الزند ، مرجع سابق ، ص134 .

كم قُبْلَةٍ لكِ في الضّمائر، لم أخَفْ فيها الحِسابَ ؛ لأنها لم تُكْتَب [1].(الكامل)

وقوله يصور ليلة غاب فيها القمر وانتشرت فيها النجوم تصويراً صارحاً يعجز حتى أمهر الرسامين عن نقل تلك الصورة الناطقة المعبرة :

ليلتي هذه عروس من الز نج عليها قلائدٌ من جمانِ (الخفيف) [2].

والخيال بالنسبة لأبي العلاء عامل كبير من عوامل بناء الصورة ومصدر من مصادرها ، ومرتكز أساسي ترتكز عليه ، " وخياله هذا مصدر فنّه الخالد ، لاتقل إن حظ أبي العلاء من الخيال قليل ، بل قل إن حظه من الخيال عظيم جداً ، قيم جداً ، خليق بالخلود ؛ لأنه الخيال الخصب المنتج حقاً " [3].

ب– بصيرته وشفافيته وروحه النقية وورعه وتقواه :

الشاعر أبو العلاء المعري فقيه وعالم ، أخذ الصدق منهاجاً له ، والإصلاح هدفاً لحياته ، ففكر في أحوال الناس وربط حياتهم بمصائرهم في الآخرة ، ودارت حياته وأدبه على هذا المعنى ، فالبصيرة : فطنة المؤمن وإحساس قلبه الصادق ينبع من رؤية القلب من الدين ، وتحقيق الأمر ، والجمع بصائر " [4].

وليست البصيرة بعيدة عنه وهو كما قال عنه الباخرزي :

" مكفوف في قميص الفضل ملفوف " [5].

---

[1] سقط الزند ، مرجع سابق ، ص262 ، لم أخف فيها الحساب : أي لا أخشى إثماً أو ذنباً .
[2] المصدر نفسه ، ص133 .
[3] ينظر : بين الأدب والنقد ، د. محمد رجب البيومي ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط1 ، 1997م ، ص33
[4] لسان العرب ، لأبن منظور ، دار صادر – بيروت لبنان ، ط4 ، 1996م ، ص65 .
[5] تعريف القدماء بأبي العلاء ، مرجع سابق ، ص8 .

ولنقل أن للمكفوف عموماً حواس تعويضية عن حاسة البصر ، إن مكفوفي البصر يرون ولكن بغير عيونهم ، ويقول أحد المكفوفين :

" إنني عندما اقترب من شجرة أعلم بأنني مقترب منها ولكن كيف ؟ لست أدري وأتلمسها فأعرف نوعها وأتصور أغصانها ، واستنشق رائحة أزهارها أي أراها إلا لونها " [1].

ومن المرتكزات التي يعتمد عليها أبو العلاء في صوره من خلال دراستنا لشعره فإن هذه الصورة تثبت لنا أن أبا العلاء ذو علم واسع بالكون ، والأفلاك ، والنجوم ، والنباتات ، والحيوانات ، واللغة ، والعروض ، ..... والحديث والقرآن ، وفي رواية التبريزي تلميذه عن الحوار الذي دار بينه وبين واحد من أهل بلدته ، وأبو العلاء يسمع فلما جلس سأله أبو العلاء : "أي لسان هذا ؟ قلت : هذا لسان أهل أذربيجان " ، قال لي : ما عرفت اللسان ولا فهمته غير أني حفظت ما قلتما ، ثم أعاد عليَّ اللفظ بعينه ، من غير أن ينقص منه أو يزيد عليه في جميع ما قلت ، فتعجبتُ غاية العجب ، كيف يحفظ ما لم يفهم ؟ ! " [2].

ج- العزلة الفكرية والتأمل :

كان أبو العلاء المعري شاعراً دقيق الحسّ شديد الفطنة كثير الشك ، لا تكاد تمر به حادثة إلا أشبْعها بحثاً ودراسة وتفكيراً ، فهو كثير التفكير في الغيبيات والمتناقضات والآخرة ، وقدرة الخالق سبحانه وتعالى ، وكذا سوء خلق الناس وفساد مجتمعاتهم . كل ذلك يجعله ينفعل محاولاً التغيير أو الوصول للحقائق ، وما

[1] ينظر : في عالم المكفوفين ، أحمد الشرباجي ، مطبعة نهضة مصر – القاهرة مصر ، ج1 ، 1956م ، ص105 .
[2] المصدر نفسه ، ص343 .

الصورة إلا " انفعالا نحو تغيير الحياة ، ينبع من إدراك للتضاد بين عظمة الإنسان وبؤسه وقوته وضعفه واتساع أمله وضيق حاله " [3].

فقد جسد عزلته في قوله المشهور :

أراني في الثّلاثةِ من سجوني فلا تســـــــأل عن الخبـــــــــــــر النبـــــــيثِ

لفقدي ناظري ولزوم بيتـــــــــــــــــــــــــــي وكونِ النّفسِ فيِ الجسدِ الخبيثِ [1]. (الوافر)

تلك هي العزلة التي اختارها أبو العلاء ؛ على أن عزلته تلك جاءت بعد استخارته الله على نحو ما نرى في قوله : " بعد أن قضيت الحداثة فانقضت ، وودعت الشبيبة فمضت ، وحلبت الدهر أشطرة ، وجربت خيره وشره ، فوجدت أوفق ما أصنعه في أيام الحياة عزلة تجعلني من الناس ... ، وما ألوت نصيحة لنفسي ، ولا قصرت في اجتذاب المنفعة إلى حيزّي فاجتمعتُ على ذلك ، واستخرت الله فيه"[2]، وذلك إن دل على شيء ؛ فإنما يدل على شدة الإيمان وقوة الإرادة العازمة على تحقيق تلك العزلة .

فهذا هو الشاعر أبو العلاء في حقيقته ، لا آماله واسعة ، وغايته مطلقة ، وهو الضرير الضعيف ، فاعتزل بفكره ليمعن في التفكير ، ويخرج على الناس بحلول تنقذهم مما هم مقبلون عليه – من وجهة نظره – من تخبط في الدنيا ،

---

[3] ينظر : الكاتب وعالمه ، تشارلزمورجان ، ترجمه ، د. شكري عياد ، سلسلة الألف كتاب ، دار مصر للطباعة ، مصر ، القاهرة ، 1964 ، ص72 .

[1] اللزوميات ، ج1 ، ص226 .

[2] ينظر : المتنبي وأبو العلاء المعري ، رؤية في الإبداع الأدبي ، د. صالح حسين اليظى ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1995م ، ص96 .

وعذاب بالآخرة ، ويذكر الشاعر العالمي " داي لويس " : أن العزلة الفكرية لها دور كبير في إنتاج الشاعر ، فيقول : " الشاعر لا يزال صيحة من صيحات العزلة ، محاولة من الشاعر للإطلاق من إسار الانعزال الفردي ، وإطلاق تجربته بطريقة يستطيع إخوانه في الإنسانية أن يشاركوه في الإحساس بها ، وهو لا يزال يسحر سحر الترقي ، بالقوافي والتفاعيل المتكررة التي يستخدمها المنشد القديم ليضم شيع المجتمع في صعيد واحد من الانفعال المشترك ، على أنه حينما ينظم القصيدة لا يفكر في هذه المخاطبة ، وإنما يكون عقله الواعي تحت تأثير عاملين : الأول أن يخلق من كلماته هدفاً منشوداً ، والثاني أن يستشف الحقيقة من تجربته الشخصية ويجعل لها معنى " [1] وقد رأى الدكتور محمد الجندي " أن المعري كان رقيق الحس ، شديد الفطنة ، كثير الشك ، وكان كما قال عن نفسه " وحشي الغريزة إنسي الولادة " مما أدى به الى الابتعاد عن الناس ، محباً لنفسه العزلة ، .... فآثر العزلة والقعود في منزله ، بعيداً عن الناس وشرورهم " [2].

فقد ذكرنا أنه كان شديد الذكاء ، دقيق الملاحظة ، " فما كان يسمع كلمة ، أو يحسّ حركةً ، أو يعرف حدوث حادثة ، ونزول نازلةٍ ، إلا بحث عن سرها ، واستقى مصدرها وغايتها " [3].

ويبدو أنه بعد خروجه من بغداد ، جعل يستعلي على الدنيا والناس وهو استعلاء شاق مرهق لا يتيسر النجاح فيه ؛ لذا أعلن رغبته على العزلة ، ولكن غلبه من نفسه ، ما بقي فيها من الفطرة الاجتماعية ، فلم يتهيأ له الاعتزال فعلّم وألّف ، واستقبل الزوار وتلقى الكتب كما تحدث عن حبه الدنيا وميله إلى لذائذها

---

[1] الصورة الفنية في شعر أبي العلاء ، مرجع سابق ، ص64 .
[2] الجامع في أخبار أبي العلاء ، مرجع سابق ، ج1 ، ص280 .
[3] تجديد ذكرى أبي العلاء ، مرجع سابق ، ص167 .

، فيعلن حيناً ترفُّعَهُ عن عِشْرة الناس والبعد عنهم بيد أنه لا ينعزل ولا ينفر ، إذ يقول :

لجأت إلى السكوت من التلاحي كما لجأ الجبانُ إلى الفـــــــــــــــــرار

ويجمع مني الشفتين صمتـــــــــــــــــــــــي وأبخل في المحافل بافتراري

وكان تأنُّســـــــــــــــــــــــــــــي بهمُ قديمـــــــــــــــــــــــاً عِشاراً حُمَّ في شأوِ اغتـــــــــراري [4].(الوافر)

وفي ذلك يقول الدكتور عبدالكريم خليفة في كتابه رسائل أبي العلاء :

" لم يكن .... الحبس الذي فرضه (المعري) على نفسه يعني عزلة عن قضايا أمته وهموم مجتمعه ؛ فقد جاء التلاميذ من أقصى البلاد لكي يدرسوا عليه . وإن مؤلفاته التي فقد معظمها مع الأسف تبين أن أبا العلاء كان على اطلاع وثيق بالتيارات الفكرية والأدبية والسياسية في ديار الإسلام من الأندلس إلى بغداد ؛ بل واتخذ من كل ذلك موقفا شجاعا لا يهادن ولا يجارى ، وإن رسائله ... تبين أنه كان كثير المراسلة مع أصحابه وذويه ، ومع علماء يطلبون الاستفادة من علمه وأدبه"[1].

إذاً فعزلة أبي العلاء كانت عزلة تأمل ودراسة وبحث وتدريس .

[4] اللزوميات ، مرجع سابق ،ج1 ، ص527 ، التلاحي : التلاوم والتشائم ، الافترار : الابتسام ، العثار : السقوط .
[1] أبو العلاء ونظرة جديده إليه ، ج1 ، مرجع سابق ، ص269 .

والشعر إلهام فطري لفنان واع يصدر أثر نظرة تأملية في حدث ما ، ويصور به تجاربه ومشاهداته القلبية والعقلية مرتكزاً على ثقافة شاملة ، وامتلاك محكم لقواعد اللغة وقوانينها ، وقدرة على الخلق والإبداع ، فابن رشيق مثلاً لا يعترف بالشاعر الذي لا يبدع في مجال شعره " فإذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه ، أو استطراف لفظ وابتداعه أو زيادة أجحف فيه غيره من المعاني ، أو نقص في إطالة سواه من الألفاظ ، أو صرف معنى إلى وجه آخر ، كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة ولم يكن له إلا فضل الوزن " [2].

والصورة عند أبي العلاء منها ما خاضها بنفسه وبتجربته الشعرية وتأملاته ، فيما تعرض له ولمسه ، ومنها ما تخيلها وافترضها واستعان في رسمها بما سمعه وخاصة في الوصف والتشبيه ؛ لأنه ضرير ، فهو يتحدث عن نفسه فيقول : " لا أعرف من الألوان إلا الأحمر . لأني ألبستُ في الجدري ثوباً مصبوغاً بالعصفر ، فأنا لا أعرف غير ذلك " [3].

والصورة القوية ليست بالضرورة ناتجة عن تجربة شخصية للشاعر ، وليس موضوع التجربة هو كل شيء فيها ؛ وإنما المهم وقع هذا الموضوع في نفس الشاعر ، وتشبع وجدانه به ، والمهم ــ أيضاً ــ ما يتجلى في نفسه من أصدائه وما يفيض على عقله وتأملاته فيه ، فأطلق أبو العلاء خياله في صوره الفنية ، كما يقول الجندي : " فإن الحديث عن الخيال في شعر أبي العلاء لَيُبْرِزَ لنا شخصيته الشاعرة ذات العواطف المتدفقة ، والمشاعر الرقيقة ، والخيال الخصب

[2] ينظر : العمدة في محاسن الشعر وآدبه ونقده ، لابن رشيق ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، دار الجيل – بيروت ، لبنان ، ط5 ، 1981م ، ص16 .
[3] المصدر نفسه ، ص20 .

الذي استطاع به أن يبرهن على صدق مشاعره بألوان كثيرة من الصور البيانية التي جمعت بين روعة التصوير وجمال الفكرة " [1].

[1] الصورة الفنية في شعر أبي العلاء ، مرجع سابق ، ص66 .

المبحث الرابع

أثر عماه في صُوره الشعرية

المبحث الرابع

أثر عماه في صُوره الشعرية

قابل أبو العلاء الحياة بكارثة طبيعية أراد الله تعالى أن يمتحنه بها ، أو أراد أن يهبه بديلاً عنها نفاذ بصيرة ورجاحة رأي ، فقد واجه الحياة طفلاً في الرابعة من عمره لا يرى من مباهجها شيئاً ، ولا يستطيع أن يميز من الألوان إلا لوناً يذكره حين كان محصباً وألبسوه ثوباً معصفراً ، فجع أبو العلاء في بصره طفلاً فشب في عالم حالك الظلمة لا يميز مليحه من ذميمه ، ولا قبيحه من وسيمه ، يتحسس في وجهه ندوب الجدري التي لا برء منها ، هذه اللطمة العنيفة أورثته حزناً عميقاً ؛ لأنه لا يستطيع مجاورة المبصرين مهما كان فطناً ذكياً ، فأبو العلاء شاعرُ أعمى من الشعراء الذين ذاقوا مرارة العمى وآلامه ، فبالرغم من انصرافه التام للمعرفة والتسامي العقلي ، إلا أن أثرها كان يشغله ، ويشغل فكره ، إذ عّد العمى عورة وعيباً يجب استتاره وإخفاؤه عن الآخرين ، فراح يعبر عن عمق إحساسه بالعاهة ، ومدى عذابه وآلامه منها ، فيقول :

وما بيَ طِرْقٌ للمسير ولا السُّرَى لأني ضَرِيرٌ لا تُضِيءُ لي الطُّرْقُ[1].(الطويل)

ويقول :

بعلم إلهي يُوجَدُ الضَّعْفُ شيمتي فَلَسْتُ مُطيقاً للغُدوِّ ولا المَسْرى[2].(الطويل)

---

[1] ينظر : ديوان اللزوميات ، مرجع سابق ، ج2 ، ص79 ، الطِرْقُ : القوة .
[2] نفسه ، ج1 ، ص78 .

فقد قاوم أبو العلاء كارثة العمى وقعها بالشباب ردحاً ، رفضاً للواقع أو ترفعاً عنه ، فحمد الله على العمى شعراً ونثراً ، ونسبوا إليه هذين البيتين :

قـــالوا العمى منظرٌ قبيـــحٌ قـــــلت بـــفقدانـــــكم يهـــونُ

واللهِ ما في الوجود شيء تأسى على فقدهِ العيون [1] .

وقوله في اللزوميات :

ذَهَابُ عَيْنَيَّ صانَ الجِسْمَ آوِنةً عن التّطَرُّح في البِيد الأمَاليس

وأنْ أَبيتَ سَمير الكُدرِ في بَلدٍ يُطوَى فَلاهُ بِتَـــهجيرٍ وتـــغليس [2].

(البسيط)

وحمدُ الله على العمى ليس عن سرور واغتباط به ، وإنما هو من تلقي القضاء بالرضى والإستسلام إلى ما لا يستطيع دفعه ، وكم من مكروب يحمد الله على ما أصابه ، وليس معنى أنه راض به ، وإنما هو نفثه مصدوراً ، لا يشذ صاحبها عن طريق الدين والأدب من ربه .

فالعمى عند الكفيف ليس مجرد فقد للبصر وإنما هو فقد روحي أو فقد يؤثر على الروح أكثر من تأثيره على وظيفة الجارحة ، والعمى عند المعري سجن من سجونه الثلاثة التي أظلمت بها نفسه فقوله :

أراني في الثلاثة من سجوني فـــــلا تســـــأل عن الخـــــبر النَّبيث

لفقدي ناظري ، ولزوم بيتي وكونِ النفس في الجسدِ الخبيثِ[3].(الوافر)

وفي قوله وهو يعترف بالعمى :

---

[1] الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره ، مرجع سابق ، ج1 ، ص67 .

[2] اللزميات ، ج1 ، ص641 ، التطرح : الإيغال في السفر ، البيد : الفقار ، الأماليس : الجذباء ، التغليس : السفر في الظلمة .

[3] المصدر نفسه ، ج1 ، ص226 .

أَنَا أَعْمى فَكَيفَ أُهْدِي إلى المَنْهَجِ والنـــــــــاسُ كُـــــــــلُّهم عُمْيَـــانُ

والعصا للضرير خير من القائد فيه الفجور والعصيان[4].(الخفيف)

وأحياناً أخرى نجده غير واضح في إظهار حزنه وألمه ، إذ كان يتوارى وراء إنكار أو إسقاط ، لكنه في وصف حسن العين ، أو قبحها كما أسرف في الحديث عن أمراضها ، وحولها ورمدها ، فلم تكن تعزيته بالبصيرة ،والافتخار بعقله إلا تعليلاً للنفس ، وراحة للذات المجروحة بالعاهة ، فيقول :

إذا طُفِئَتْ في الثَرَى أَعْيُنٌ فقد أَمِنَتْ من عمّى أو رمدْ[1].(المتقارب)

وقوله :

طَفِئَتْ عُيونُ النَّاظرين وأَشْرقَتْ عينُ الغزالةِ ، وما بها عُوَّارُ[2].(الكامل)

فعن طريق الذكاء ، وفيض وجدانه ، وفعلهما وتفاعلهما مع بقية ميراثه وتراثه ، وعاهة البصر ، تبلورت في وجدانه شخصية عربية ، فالإنسان يعيش بوجدانه وخياله لا بحواسه ، ومثله الأعلى ، فيقول :

وأَعْرَضَ مِن دونِ اللَّقاءِ قَبائلٌ يَعُلّونُ خرْصانَ الوَشيـــــــــــــــــج المُقصَّد

غُواةٌ إذا النّكباءُ حَفّتْ بيوتهـــمْ أقاموا لها الفُرسانَ في كلّ مَرْصَـــــــــــد

يُطيعون أمراً من غَوِيّ ، كأنّه، على الدهرِ ، سلطانُ يجُورُ ويعتدي

---

[4] المصدر نفسه ، ج2 ، ص455 .

[1] اللزوميات ، ج1 ، ص373 .

[2] المصدر نفسه ، ج1 ، ص431 ، الغزالة : الشمس وقت شروقها ، العوار: القذى في العين .

إذا نَفَرَتْ من رَعْدِ غيثِ سوامُـــــــــــــه سعَى نحْوهُ بالمشْرفيّ المُهَنّـــــــــــــــــــــــد[3].(الطويل)

لقد كان لهذه العاهة أثر لا ينكر في تشكيل نفسية المعري ، وتحديد علاقته مع المجتمع ، لاسيما حينما جعلها وسيلة من وسائل نقده للقهر الاجتماعي الذي تعرض له في حياته ، فهذه العاهة هي عامل الخلق والإبداع لديه على حدّ قول بعض الباحثين ، فها هو ذا أحدهم يقول : " لكن التوهج الذي حرمت منه عينا أبي العلاء وبصره ، اتقد في بصيرته ناراً جبارة أحالت ذلك الأعمى واحداً من أكبر شعراء القرن الخامس ، مفكراً فذاً ، وشخصية نادرة المثال تجمع الخصال ما لا يجتمع في قوم من ذكاء بلا حدود وذاكرة عجيبة وسرعة خاطر مدهشة ... حتى ليختلط في ذلك الواقع بالأسطورة والحقيقة " [1] .

ولم يصرفه كبرياؤه وشموخه عن دعوة المبصرين ، والإشفاق على المكفوفين وذوي العاهات كافة ، ففي ذلك يقول :

تَصَدَّق على الأعمى بأخْذِ يَمينه لِتهْدِيَهِ وامْنُنْ بإفْهَامِكَ الصُّمَّا[2].(الطويل)

وقوله :

إذا مَرَّ أعمى فارْحَمُوهُ وأيقنُوا وإنْ لم تُكَفّوا ، أنَّ كُلَّكُمُ أعْمَى[3].(الطويل)

ويرثي لنفسه قبحاً غشي وجهه إثر الجدري الذي أصابه طفلاً ، قبل فقد نعمة البصر حيث يقول :

وشَقْوَةُ غَشيتْ وجْهي ، بنُضْرته أَبَرُّ بي من نعيم جرَّ إشْحَابي[4]. (البسيط)

---

[3] سقط الزند ، ص132 .
[1] الغموض في شعر أبي العلاء المعري ، مرجع سابق ، ص35 .
[2] اللزوميات ، ج2 ، ص344 .
[3] المصدر نفسه ، ج2 ، ص348 .

واستشهد بذلك البيت ؛ لأن معظم الناس في نظره يرون الجمال في الأشكال ويعظمونه في الوجود والأبدان ، ولكنهم يعمون عنه في الكمال العقلاني .

" فالمكفوف إذا جالس المبصرين أعزل ، وإن بزهم بأدبه وعلمه وفاقهم في ذكائه وفطنته ؛ فقد يتندرون عليه بإشارات الأيدي ، وغمز الألحاظ ، وهز الرؤوس وهو عن كل ذلك غافل محجوب . فإن نمت عليهم بذلك حركة ظاهرة أو صوت مسموع فحجته عليهم منقطعة ، وحجتهم عليه ناهضة " [1] .

وليس العمى كان يقتصر على العينين ، بل يتبعه في رأي أبي العلاء عمى الدين والهدى حتى يضل صاحبه ويتيه به الزمن ، ولن يجد ما يسليه أو يخفف عنه غير أن يقاسيَ همومه وحده لا يقف أحد حياله ، فيقول :

عَمَى العَيْنِ يَتْلُوهُ عَمَى الدِيْنِ والدُّجَى فَلَيْلَتي القُصْرَى ثلاثُ لَيَالي [2].
(الطويل)

فالمعري كان لا يشكو من الحرمان المادي ، وإنما يشكو من الحرمان النفسي الذي كانت تعيشه روحه ، ولطالما ظمئ وتشوف إلى تلك الراحة النفسية ولكنه يَئِسَ من إرواء غليله حتى لو صَعَد المجرة أو أوهمتْه بشكلها ، فيقول :

طَالَ صبْرِي فقِيل أكْثَمُ شَبْعَانُ وإنّـــي لَمُنْطَـــوٍ طَيّـــانُ
[3].(الخفيف)

لَيْسَ في هَذِهِ المَجَرَّةِ مســـــاءٌ فَيُرجَّى ورُودهُ الصَّدْيَانُ[4].(الخفيف)

---

[4] المصدر نفسه ، ج1 ، ص141 ، الإشحاب : تغير لون الوجه .
[1] تجديد ذكرى أبي العلاء ، مرجع سابق ، ص124 .
[2] اللزوميات ، ج2 ، ص239 .
[3] المصدر نفسه ، ج2 ، ص454 ، الأكثم : الشبعان ، منطو: ضامر البطن ، طيّان : جائع .
[4] المصدر نفسه ، ج2 ، ص 456 ، المجرة : مجموعة نجوم ، الورود : الاستقاء ، الصديان : العطشان .

وكم مرة ضاقت بالمعري نفسه فتمنى الموت ؛ لأنه لا يرى في هذا الدهر شيئاً من الجد والاستقامة ، فيقول :

فيا موتُ زُرْ ! إنّ الحياةَ ذميمةٌ ويا نفس جِدِّي ! إنّ دهَركِ هازِلُ[5].(الطويل)

ومن تتبع شعر أبي العلاء الذي يعرض فيه لذكر الجدري والعمى يجده مغموراً بالألم الشديد والحزن العميق طافحاً بالحسرات والزفرات ، ونتج عن ذلك عزلته سنين طويلة أتاحت له الفرصة الكبرى في التفكير والعكوف على الذات ، وخلفت أثراً عظيم الشأن من آثاره الأدبية العظيمة ، ألا وهو ديوانه اللزوميات ، ديوان الفكر والفلسفة ، ديوان العمل والموعظة ، الذي يعدّ من أقوى ما أنتجه المعري في مرحلة عزلته واغترابه .

(5) سقط الزند ، مرجع سابق ، ص230 .

الفصل الرابع

الخصائص الفنية في شعر أبي العلاء المعري

المبحث الأول : اللغة

" اللغة : هي المادة الأولية التي يتكون منها النص الشعري وبها يتحقق وجوده والشعراء يختلفون في مقدراتهم لتحقيق ذلك ، فمنهم من تكون له مقدرة لغوية كبيرة وثقافة واسعة ، فيشغل ذلك كله في التفنن باستخدام اللفظة والتصرف في تركيبها ، ومنهم من تضيق مقدرته فيكون استخدامه محدوداً ، وأبو العلاء كان من القسم الأول فمقدرته اللغوية كبيرة وحافظته كانت نادرة ، استطاع بها أن يحيط إحاطة واسعة بمفردات اللغة ، فقاموسه اللغوي جعله ظاهراً في الشعر العربي في استخدامه للمفردات وسعة تصرفه في استخدامها " [1] .

فقد لاحظ الدارسون المحدثون أن أبا العلاء المعري ينفرد في شعره بتركيب خاص وبناء لغوي متميز ، وقد أدرك هؤلاء أهمية ثقافته اللغوية وعلاقتها الوثيقة بأسلوبه .

وقد كان الدكتور طه حسين رائداً في هذا المجال ، فقد نبه إلى قضية اللغة عنده ، وشدة اهتمامه بها ، فذكر أن " العلوم اللغوية هي أظهر الفنون التي درسها أبو العلاء ، فهي التي أمدت شعره ونثره بالغريب واصطلاحات العلم وهي التي أنفق أيام عزلته في درسها للناس " [2] .

وقد سبق القدامى المحدثين إلى تأكيد إحاطة المعري الواسعة باللغة وقدرته الفذة على التصرف فيها ، وقد عدّ بعضهم براعته ونبوغه فيها من أبرز مظاهر عبقريته.

فإن الأقدمين يعتبرون أبا العلاء من أبرز الذين تبحروا في العلوم اللسانية وأحاطوا بالعربية وتعمقوا فيها وفقهوها .

يقول أبو العلاء : " ما سمعتُ شيئاً إلا حفظته ، وما حفظت شيئاً فنسيته " [3] و يؤكد هذا تلميذُ التبريزي فيقول ـ فيما نقله العلامة ، ابن العديم ـ : " ما أعرف أنّ العرب نطقتْ بكلمة ولم يعرفها المعري " [4] ، ويشهد بذلك أيضاً ابن السيد البطليوسي فيقول : " وأبو العلاء من لا يُتَّهم في حفظ اللغة " [5] .

---

[1] ينظر : لغة الشعر عند المعري ، زهير غازي الزاهد ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ـ لبنان ، ص 19 .
[2] تجديد ذكرى أبي العلاء ، مرجع سابق ، ص 226 .
[3] المصدر نفسه ، ص 569 .
[4] المصدر نفسه ، ص 569 .
[5] شروح سقط الزند ، مرجع سابق ، ق4 ، ص 1595 .

وقد لوحظ أنهم أحياناً يقدمون صفة اللغوي على صفة الشاعر عند ذكرهم له ، ويلحون عليها في غير موضع ، مثال ذلك أن معاصره ابن القارح بعث له برسالة يثنى عليه فيها ويمدحه ، فيقول : " الشيخ بالنحو أعلم من سيبويه وباللغة والعروض من الخليل " [1] ، ويصفه ابن خلكان بأنه " اللغوي الشاعر " [2] .

ويكاد يجمع كل من ترجم له أو درس أدبه على أنه كان واسع الاطلاع على اللغة وسننها وشواردها ، وأنه مما ساعده على تبوء هذه المكانة البارزة حدة ذكائه وقوة حافظته وكثرة اطلاعه على معارف عصره .

وقد تحدث غير واحد من المحدثين عن قدرته على امتلاك شوارد اللغة ، وتطويعها لخدمة تجربته الفنية ، فقد ذكر العقاد أنه كان مفرط الانشغال بالتنقيب عن حقائق الفكر والعقيدة ، وكانت اللغة هي الثروة والقيمة المحسوسة الوحيدة في حياته، واستطاع بها أن يحول أفكاره ومشاعره من مجردات معنوية إلى واقع ملموس ، امتلك اللغة فجسد مجرداته وأبدع فنه وتحدى قدره وقهره بممارسة الخلق الفني ... ولا تقتصر وظيفة اللغة على التعبير عن الفكر فحسب ، وإنما لها خصائص جمالية تعكس على اللغة قيمتها الفنية ، التي ترتفع بها لتكون مظهراً من مظاهر الجمال والإبداع ، فالتغبير اللغوي هو الثوب الذي يعرض فيه الأديب أفكاره، ويظهر به أحاسيسه وانفعالاته لإثارة المتلقي ، من ثم يكون التعبير دليلاً على الحالة العقلية للأديب ورمزاً للنتاج وتنبيهاً للسامع ، وخير الشعر ما دل على حكمة يقبلها العقل ، في أسلوب يختاره الأديب يتناسب مع عواطفه وأحاسيسه ، التي ينتظم فيها الكلام انتظاماً خاصاً ، لتؤدي اللغة وظيفتها من التميز بالإثارة ، حيث ترقى باللغة المعتادة ، فتبرزها في شكل يدعو إلى الإعجاب ، شريطة الجودة والوضوح [3] .

وما كان المعري ليبعث في لغته أو يأتي بغريب الألفاظ ليستغلق على الناس فهماً، وإنما كان ينتقي اللفظ المناسب لقافيته وتسعفه حافظته في ذلك ، وإن يورد بعض الكلمات قليلة الاستعمال أو البعيدة على الآذان إلا أنها المناسبة في مكانها ، وقد يكون مبتغى أبي العلاء منها إحياء هذه الكلمة أو إثبات قدرته على توظيف الغريب وبيان مقدرته اللغوية ، وتظهر المقدرة اللغـــوية عنـــد المعري في كـــثير

---

[1] رسالة الغفران ، مرجع سابق ، ص26 .
[2] وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، مرجع سابق ، ص113 .
[3] ينظر : الصورة الشعرية عند المعري ، د. عبد الله عووضه حمّور ، رسالة ماجستير ، كلية دار العلوم القاهرة ، 1976م ، ص317 .

المفردات التي يستعملها وفي الغريب من الألفاظ والنادر من الصيغ [1] ، منها :

1 _ الغريب :

إن المعري كان يكثر من استعمال الغريب في شعره ونثره . ونحن لا ننكر وجود الغريب في كلامه ، ولكن أكثر ما نراه غريباً في عهدنا هذا لم يكن غريباً في عصر أبي العلاء ، لأننا في حكم الأعاجم ، لا نعلم من الفصيح والمأنوس إلا النزر اليسير ... وأبو العلاء كان واسع الاطلاع على اللغة ، كثير الحفظ لمفرداتها ، فلم فلم يرد غريباً كل ما نعده غريباً [2] ، فالغريب من السمات الشائعة في اللزوميات ، فكثيراً ما كان المعري يرصّع لزومياته بكلمات غريبة غير مألوفة ، وسنعرض من خلال هذا المبحث شواهد الغرابة من اللزوميات .

فمن الكلمات الغريبة التي استخدمها المعري كلمة (هِبْرِزي) في قوله :

فإن الموت راحةُ هِبْرزي أضر بلُبِّه داءٌ عياءُ[3] . (الوافر)

فهو يقول إن الموت راحة للجميل الوسيم أو الفارس القوي فهو يريحه إذا دب في جسده مرض شديد ، فلفظة (هبرزي) تعني الفارس وتعني الوسيم الجميل والحسن الثابت على ظهر الفرس .

ومن الغريب كذلك لفظة (قراهب) في قوله :

جلا فرقديه ، قبل نوح وآدمٍ إلى اليوم ، لما يُدعيا في القَرَاهب[4].(الطويل)

فهو يقول إن الدهر أطلع الفرقدين في السماء قبل نوح وآدم عليهما السلام وقد بقيا فرقدين عجلين ، ولم يصبحا ثورين مسنين ، أي ؛ لم يتحولا ولم يتغيرا منذ خلقهما الله ، ولم يهرما كما يهرم الإنسان .

ومن الغريب لفظة (إثلبِّ) و (ثلاب) في قوله من البسيط :

يأتى الرَّدي ويُواري إثلبٌ جسداً فافعل جميلاً وجانب كل ثلاب[5] .

أي يأتي الموت ويواري التراب الجسد فعليك أن تصنع الخير وتجتنب كل عياب .

---

[1] دراسات في الأدب والعلم والفلسفة ، مرجع سابق ، ص40 .
[2] الجامع في أخبار أبي العلاء ، مرجع سابق ، ج2 ، ص934 .
[3] اللزوميات ، مرجع سابق ، ج1 ، ص51 ، الهبرزي : الوسيم الجميل الذكي .
[4] المصدر نفسه : ج1 ، ص131 ، الفرقدان نجمان ، القراهب : جمع قرهب وهو الثور المسن ، أو الكبير الضخم .
[5] المصدر نفسه : ج1 ، ص139 ، الإثلب : التراب . الثلاب : كثير الثلب ، من يعيب الناس وينتقص منهم .

ومن الغريب قول أبي العلاء يصف الدرع :

أمن الفتى من عند معقد زره حتى على القدمين ريع وساعها[1]. (الكامل)

والغريب هو استعماله لفظ وساع ، يقول الخوارزمي : " عنى بالوساع الواسع ، ولم أسمعه في الدرع إلا هنا " .

والغريب هنا هو الموقع الذي استخدمت فيه الكلمة لا الكلمة ذاتها .

ومن غريب الاستخدام اللغوي قوله على لسان الدرع :

ألم يبلغك فتكي بالمواضي وسخري بالأسنة والزجاج[2].(الوافر)

أي هذه الدرع إذا وقع عليها السيف رجع مفلولا ، لحصانتها وإحكام صنعتها . وهي تسخر من الألسنة لأنها لا تؤثر فيها شيئاً ، التبريزي " يقال سخرت منه سخرية وسُخْراً وسَخَراً ، وهذا الأكثر ، ربما قالوا سخرت به ، وهو قليل في كلام المتقدمين" .

فأبو العلاء لم يتعد القياس لكنه جنح إلى قليل الاستعمال في اللغة مما يعد من أنواع الغريب في شعره .

ومن الألفاظ الغريبة التي تجتمع في بيت واحد لفظتي (النحض والضرف) في قوله من البسيط :

يكفيك أدماً بنحض ماء نابتةٍ وظلمك النحل ما يعطيكه الضرفُ[3] .

وهو يشير إلى دعوته لعدم أكل اللحوم الحيوانية وما يخرج من الحيوان ، فيقول : يكفي الإنسان بعض الزيوت الذي أشار بقوله (ماء نابتة) ، فهو يكفيه عن اللحم وكذلك يكفي الإنسان أكل الثمار عن أكل عسل النحل ، وقد ساق هذين اللفظين الغريبين ليثبت قدرته اللغوية وثقافته الواسعة .

ومن الغريب أيضاً متتالي طوال القصيدة والتي اضطرته فيها قافيته أو رغبته في إظهار المهارة اللغوية قوله :

---

(1) شروح سقط الزند ، مرجع سابق ، ق5 ، ص 1979 .
(2) المصدر نفسه ، ق4 ، ص1720 ، المواضي : السيوف .
(3) اللزوميات ، ج2 ، ص 56 ، النحضُ : اللحم المكتنز ، الضرف : شجر التين .

بهاءُ ليلٍ وإنْ جئت حنادسهُ فـدعْ نهـارك ، ودُّ من بهاليــلا

وما شمالي لحلّي ، بل أجنبُه إلى الجنُوبِ ، وإن سقتُ الشماليلا

إذا طما لي أو لم يطمُ بحرُ غنىً فقــد وجـدتُ بني الدنيــا طماليـلا

هل يجعلون على أيدٍ أساورها أو يعقـدون على هــام أكاليـــلا

مهلاً تعالي لتحظي من تجاربنا إن الحيـــاة علمنــاها تعاليـــلا [1].(البسيط)

وقد تسبب هذا الغريب في إضعاف المعاني داخل القصيدة وتنافر الأغراض ، وربما أتى بالبيت الذي لا طائل من ورائه ولا علاقة له بموضوع القصيدة ، وذلك من أجل إظهار مقدرته اللغوية .

وقد انتشر الغريب انتشاراً واسعاً في درعيات أبي العلاء ، فإذا رجعنا إلى درعيته الثالثة ـ كما يرى أحد الدارسين ـ نراه يحشد فيها مجموعة هائلة من الألفاظ الغريبة ، وكأن هدفه من ورائها أن ينقلها بما يستعرض من ألفاظ خشنة تدفع إليها القافية الغريبة أحياناً كقوله :

تضيفنى الذوابـلُ مُكـرهاتٍ فترحل ما أذيقت من لماج

وكان العار مثل الحتف يأتي على نأي المنازل والخلاج[2]. (الوافر)

فقد استعمل (لماج) على ما فيها من غرابة وعدل عن (طعام) .

ويسوق دارس آخر بعض الأدبيات التي تتضمن الغريب ألفاظاً مثل : الكاسك ، تؤمنه ، موسك ، شالوسك ، سُدء ، لا وجود لها في المعاجم العربية ويعدها من الألفاظ الغريبة ومن تلك الأبيات قوله من الطويل :

ولا الكاسك المرحين في كل مظلم رحى كاسِك الحمراء والخيل تدهم[3] .

وقوله من البسيط :

تأبى الحوادثُ نقص الدهر تؤمنة و أهونُ الخطبِ أن القوم و اهونا[4] .

---

(1) اللزوميات ، مرجع سابق ، ج2 ، ص209 ، البهاليل : السادة ، الشماليل : النوق السريعة ، الطماليل : اللصوص .
(2) شروح سقط الزند ، ق4 ، ص1734 - 1743 ، الخلاج : المنازعة .
(3) اللزوميات ، ج2 ، ص307 ، الكاسك : قومٌ ، لعله أراد بهم القوازق ، المرجين : الذين يديرون رحى الحرب .
(4) المصدر نفسه ، ج2 ، ص464 ، تؤمنة : كثرةٌ ، واهون : زائلون .

وقوله :

ولا يبقى على الأيـــــا م لا موسى ولا موسك

ويـا رازيّ ما للخيـــــــ ل لا تمنـــع سالـوسك[1] . (الهزج)

وقوله من الوافر :

عجبت لشارب بزجاج راحٍ دوين العقلُ سَدًّا من حديد[2] .

وأشار بعض الدارسين إلى أن الألفاظ المستمدة من لهجات (لغات) بعض القبائل تندرج تحت نمط الألفاظ الغريبة ، كقول المعري من الطويل :

لمن جيرة سيموا النوال فلم ينطوا يظللهم ما ظل ينبته الخطُّ [3] .

وقوله من الكامل :

أصحاب ليكة أهلكوا بظهيرةٍ حميتْ وعادٌ بالرياح الصرصرِ[4] .

ومن الواضح أن النظرة إلى الغريب تختلف من عصر إلى عصر ، فربما يكون ما نراه غريباً في عصرنا غير غريب في عصر الشاعر . وهذا يعني أن دائرة الغريب تتسع من عصر إلى عصر بسبب البعد عن المنابع الأصلية للأدب والفكر العربي وضعف الاتصال باللغة العربية وعلومها .

كما أن اللفظة المفردة مهما كانت غرابتها لا تكتسب معناها المحدد إلا من السياق . يقول عبد القاهر الجرجاني " إن الألفاظ المفردة هي أوضاع اللغة توضع لتعرف معانيها في نفسها ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف ما بينها من فوائد " [5].

موقف أبي العلاء من الغريب لا يقف عند حد الزهو بالثقافة اللغوية التي يمتلكها ، فموقفه من الغريب هو موقفه من كل أداة تعبيرية تعكس اغترابه بصدق وعمق حتى تصير هذه الأداء جزءاً من نفس أبي العلاء وبعضاً من تكوينه النفسي ، وتوظيف أبي العلاء للغريب اللغوي توظيف (للمألوف اللغوي) ، توظيف خاص يعبر عن

---

(1) اللزوميات ، ج2 ، ص149 ، سالوسك : انقيادك .

(2) المصدر نفسه ، ج1 ، ص 358 .

(3) سقط الزند ، مرجع سابق ، ص 212 ، سيموا النوال : سيموا : كلفوا أسومه سوماً الشيء ـ النوال : العطاء .

(4) اللزوميات ، ج1 ، ص 530 ، ليكة : قرية لقوم شعيب . أهل ليكة أهلكهم الله بالحرّ ، وقبيلة عاد أهلكت برياح شديدة عاتية.

(5) ينظر : دلائل الأعجاز ، عبد القهر الجرجاني ، تح : محمد عبده ، محمد محمد الشنقطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، 1988م ، ص 377 .

هموم خاصة جداً ملتصقة بالذات نابعة من تجربة فريدة عميقة حتى نكاد نرى المألوف اللغوي في شعر أبي العلاء يلبس زي الغريب في شعره لخصوصية استعماله [1] .

وقد فطن أبو العلاء إلى غرابة شعره وتميزه فوصفه بأنه لا ينتمي إلى عصره أو بيئته ، بل إلى البداوة ، فيقول :

يا مالكى سرح القريض ، أتتكما منى حمولة مسنتين عجاف

لا تعرف الورق اللجين وأن تسل تخبر عن القلام والخذراف[2].(الكامل)

فأبو العلاء في بعض إعرابه لم يكن مضطراً وإنما كان يختار الكلمة الملائمة متعمداً؛ لأن قاموسه اللغوي قادر على استبدال غيرها بها ولكنها لن تؤدي معناها ، فتنوع لزومياته بين اللفظ المعتاد السهل واللفظ الغريب الصعب ربما يرجع إلى حالته النفسية لحظة الإبداع ، وكذلك إلى غرضه من استخدام هذه الكلمات بعينها ، فربما يقصد إحياء هذه الكلمات أو تداولها بين الدارسين من طلابه ، "فالشاعر أثناء الإبداع لا يرى الكلمات والألفاظ بمعانيها المجردة ، وإنما بمدى ما يلائم حالته "[3].

فقد أثبت أبو العلاء بهذا أن اللغة قادرة على الإبداع بألفاظها المرنة التي يستخدمها في أعقد القوالب الفنية وفي أيسرها ، فاللفظ الغريب كان يسوقه ليحييه من موته ، ويخرجه للاستعمال والتداول ، فالقاموس ميت والشعر أو العمل الأدبي حتى يتحرك بين الناس ، قد تقتبس منه الكلمة ليعبر بها أديب آخر في عمل آخر ، فاللفظ يظل ساكناً ميتاً حتى يأتي النص الذي يظهره وينشره والسياق الذي يحييه لشدة مناسبته له .

2 _ الألفاظ :

أهتم أبو العلاء بألفاظه وانتقائها ووضعها اهتماماً عظيماً ، ففي شعره " طائفة كبيرة من الألفاظ ، كل منها مقدر على قدر المعنى ، ولا يستطيع أحد ثان أن يجد في اللغة على سعتها خيراً منها أو ما يقوم مقامها كقوله :

---

(1) الشعر العربي القديم ، مرجع سابق ، ص397 .

(2) سقط الزند ، مرجع سابق ، ص86 ، مسنتين : أي اصابتهم سنة قحط ، اللجين : ورق يدقّ ثم يرش بالماء ليكون علفاً للأبل، القلام : والخذراف : من الحمص ، وقوله : لاتعرف الورق اللجين لأنه من علف أهل الأمصار .

(3) ينظر : الصنعة الفنية في شعر المتنبي ، د . صلاح عبد الحافظ ، دار المعارف ، الاسكندرية ـ مصر ، 1983م ، ص526 .

تَقـولُ الهندُ آدمُ كـــان قِنًّا لنا فسرى إليه مُحببوُهُ[1].(الوافر)

وقوله :

تكادُ سوابقٌ حملتــهُ تُغْني عن الأقدار صوْنا و ابتذالا[2].(الوافر)

وقوله :

نهاراً كأن البدْرَ قاسى هجيرهُ فَعَادَ بلونٍ شاحبٍ من سهامه[3].(الطويل)

وقوله :

ونحن السفرُ في عمرٍ كَمَرْتٍ تصافن أهلُهُ جُرعَ الحِمَام[4].(الوافر)

... فكل من كلمة (مخببوه)في البيت الأول ، و(الصون والابتذال) في البيت الثاني و (السهام) في البيت الثالث و (تصافن) في البيت الرابع ، لا يجد الإنسان خيراً في موقعها ولا ما يقوم مقامها ، وهذا النوع كثير في شعره " [5] .

وقديماً أُعجب بعض القدامى بكثير من ألفاظ أبي العلاء واستخدامه إياها ، والتفتوا إلى إبداعه في مظهر من مظاهر الاستخدام الحسن للغة الشعرية هو " التصغير" ، وقد وافقهم في ذلك بعض المحدثين ومن ذلك قوله :

وصُويْحباتُكِ بالفلاة ثِيابُها أوبْارُها وحليّها الأوراق[6]. (الكامل)

(وقد عقّب عليه الخوارزمي بقوله : و" التصغير في صويحباتك وقع مليحا غريباً" ، كما حظي التصغير في البيت نفسه بإعجاب محمد بالحاج الذي وصفه بأنه " عذب رقيق ") [7] .

وهناك مواطن عدّه وفق فيها أبو العلاء في اختياره اللفظ المناسب معنى ومبنى ومن ذلك ما لوحظ في بيت أبي العلاء :

---

(1) اللزوميات ، ج 2 ، ص 568 ، القنّ : العبد ، المُخَبِّب : المُفْسِد .
(2) شروح سقط الزند ، ق1 ، ص44 ، صوناً وابتذالا : أي صيانة مايريد صيانته وحفظه .
(3) المصدر نفسه ، ق2 ، ص 499 ، السهام : الريح الحارة .
(4) المصدر نفسه ، ق4 ، ص1432 ، المرت : البرية التي لا نبات فيها ، التصافن : تقاسم الماء القليل .
(5) الجامع في أخبار أبي العلاء ، مرجع سابق ، ص 931 - 933 .
(6) شروح سقط الزند ، ق2 ، ص 764 .
(7) شاعرية أبي العلاء ، مرجع سابق ، ص93 .

إذا سـئمتْ مهنــده يميــنٌ لطول الحمل بدّله شمالاً[1].(الوافر)

من أنه " نكَّر يميناً وشمالاً لنيابة التعريف في (مهنده) عن التعريف فيها ، واحتواء التنكير فيها على حسن أدب ، وذلك لأن فيه تفاديا عن التصريح بإسناد السآمة إلى يمينه وشماله " [2] .

ـ وقد أكثر المعري من استخدام المشترك اللفظي وهو ظاهرة لغوية أخرى ، أدرك كثير من النقاد القدامى بروزها في هذا الشعر ، ومنها قوله :

أروى النياق كأروى النيق يعصمها ضرب يظل به السرحان مبهوتاً[3].(البسيط)

وفي البيت يذكر لفظ أروى مرتين ، ونقرأ النياق والنيق ، " النياق جمع ناقة ، والنيق أرفع موضع في الجبل ، وأروى الأولى يحتمل أن يريد بها امرأة بعينها ، سمى هذا الاسم لأنه من أسماء النساء ، ويحتمل أن يكون أراد النساء الراحلات على الإبل ، شبههن بالأروى في امتناعهن ممن أرادهن . والأروى الثانية : الوعول . يقول : أروى الإبل كالأروى المعتصمة بالجبل ؛ فهذه يعصمها الجبل والهضب ، وهذه يعصمها الطعن والضرب " [4] .

فالمشترك اللفظي كان أداة عكس بها أبو العلاء إحساسه بفقد المرأة ، واستعصائها عليه ، وهو يصف ذات الإحساس في موضع آخر يلجا فيه إلى المشترك اللفظي فيقول :

لعمري لقد أدلجتُ والركبُ خائفٌ وأحييت ليلى والنجوم شهودُ

وجُـبتُ سرابيّـا كـــأنَّ إكـامـهُ جوارٍ ولكن مالهُنَّ نهودُ[5].(الطويل)

حيث عمد من خلال المشترك اللفظي إلى تسوية ضمنية بين بيئة السراب ، وبيئة المرأة ، لتكون حصيلته من الاثنين متشابهة ، أن الجواري اللائي بدون نهود هن المرأة في حياة أبي العلاء التي لم تكن إلا طيفاً ووهماً .

---

(1) شروح سقط الزند ، ق1 ، ص 70 .
(2) شاعرية أبي العلاء ، ص95 .
(3) شروح سقط الزند ، ق4 ، ص1585 .
(4) المصدر نفسه ، ص نفسها .
(5) اللزوميات ، ج1 ، ص288 .

ومن مواضع المشترك اللفظي في اللزوم قوله :

صل القبائــل بالفخــار ، وإنمــا خُلقوا من الصلصال والفخار

وسيوجد الغدري عظماً ناخراً فتقــل رغبتــه إلى النخــار

فعليك بالتقوى ذخـيرة ظاعن أن التقية أفضــل الأذخــار

آل الفتــى كالآل فـوق ترابــه وشرابـه كسرابـه السخـــار [1]. (الكامل)

يتساوى الأهل والسراب في عين أبي العلاء ـ وهما معنيا لفظ آل في البيت ـ بما يعكس رؤيته للقيمة التي يحصلها الإنسان إذا ما سعى وراء الفخر بالأنساب ، وترك الموضع الحقيقي الجدير بالفخر ، أي العمل والخلق والذات المتميزة ، وإن استواء دلالة الأهل والسراب في عين أبي العلاء ـ في هذا المجال يعكس ـ ضمنياً ـ إحساسه بلا جدوى الاتصال الاجتماعي .

وهكذا يستخدم أبو العلاء هذه الظاهرة استخداماً وثيق الصلة بقضاياه ، مستغلاً طاقة اللفظ في التعبير ، واحتوائه لأكثر من معنى ، حيث يعمد بذكاء فني وحساسية رائعة إلى طرح مواضع الشبه بين معنيي اللفظ ، وكأنه يؤكد أنه يرى اللغة وحدة متماسكة تحظى مفرداتها بصلة وثيقة بينها .

3 _ المصطلحات العلمية :

شهد العصر العباسي ازدهاراً واسعاً واضحاً في مختلف مظاهر الحياة ، كما نشطت الحركة العلمية ووضعت مصطلحات كثيرة وجديدة في مختلف فروع المعرفة ، ففي شعر أبي العلاء كثير من المعاني التي لم أرها لمن تقدمه من الشعراء وهي نوعان :

ـ أحدهما : انتزعه من مسائل العلوم المختلفة ، كقوله فيما انتزعه من العلوم الرياضية من الطويل :

سما نفرٌ ضرب المئين ولم أزل بحمدك مثل الكسر يضرب في الكسر[2] .

---

[1] اللزوميات ، ج1 ، ص 554 ، صلَّ : رفع صوته ، الغدري : المماحِكُ ، النخار : كثير الكلام ، الآل : السراب .
[2] المصدر نفسه ، ج1 ، ص 487 .

ومن العلوم الطبيعية قوله من الطويل :

وقد يُجتدى فضلُ الغمام و إنما من البحر فيما يزعم الناس يجتدى [1] .

ومن الصرف قوله من الخفيف :

بثٌّ كالـواو بيـن يـاءٍ وكسـرٍ لا يُلامُ الرجالُ إن أسقطُوني[2] .

ومن النحو قوله من الوافر :

تـزوج إن أردْتَ فتـاةَ صـدقٍ كَمُضْمَرِ نعْمَ دامَ على الضميرِ[3] .

ومن التجويد قوله من الوافر :

فإن تقف الحـوادثُ دونَ نفسي فما يتركن إشمامي ورومي[4] .

ومن العروض قوله من البسيط :

كالبيت أفـرد لا إيطـاءُ يـدركُـهُ ولا سِنَادَ ولا في اللفظ إقواء[5] .

ومن المنطق قوله من الكامل :

جَرَتِ القضايا في الأنام وأمضيت صُدُفاً بأسوارٍ ولا أسوار[6] .

ومن الفلسفة بأقسامها المختلفة قوله :

وليس اعتقـادي خُلُـود النجـوم ولا مذهبي قَدَمَ العالمِ[7].(المتقارب)

وقوله :

من نجـــوم ناريـةٍ ونجـــومٍ ناسبتْ تُربةٌ وماءً وريحاً[8].(الخفيف)

---

[1] شروح سقط الزند ، ق1 ، ص 355 ، يجتدى : يطلب ويسأل .
[2] اللزوميات ، ج2 ، ص 533 .
[3] المصدر نفسه ، ج1 ، ص 523 ، فتاة صدق : فتاة كريمة الأصل .
[4] المصدر نفسه ، ج2 ، ص 403 ، الوقف والإشمام والروم : من مصطلحات الصرف .
[5] المصدر نفسه ، ج1 ، ص 49 ، الإيطاء : من عيوب القافية ، وكذلك السناد والإقواء .
[6] المصدر نفسه ، ج1 ، ص 537 ، الأسوار : وهي أربعة في علم المنطق .
[7] المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 419 ، فالعالم مخلوق وليس أزلياً ، والنجوم فانية وليست سرمدية ...
[8] المصدر نفسه ، ج1 ، ص 268 ، نجوم نارية : الشموس المنيرة .

وقوله :

جــائزٌ أنْ يكــونَ آدمُ هــذا قبــلهُ آدمٌ على إثــرِ آدمْ[1].(الخفيف)

وقوله :

أما المكان فثابتٌ لا ينطوي لكن زمانك ذاهبٌ لا يثبتُ[2].(الكامل)

وقوله :

والنور في حكمِ الخواطرِ مُحدثٌ والأولىُّ هو الزمانُ المظلمُ[3].(الكامل)

وقوله :

وقــدرةُ الله حــقٌ ليس يعجـزُها حشرٌ لخلقٍ ولا بعثٌ لأمواتِ[4].(البسيط)

ـ والنوع الثاني : انتزعه من بيئته الطبيعية والاجتماعية وما كان يكتنفه من الحوادث والتجارب أو ينتهي إليه من الأخبار أو يحفظه من التاريخ أو أقوال المتقدمين كقوله :

كتجــاور العــينين لــن تتلاقيــا وحجاز بينهما قصيرُ جدارِ[5](الكامل)

وقوله :

فلو يُـرجى مـع الشركــاءِ خـيرٌ لما كان الإلهُ بلا شريكِ[6].(الوافر)

وقوله :

والنحْلُ يجني المُرَّ من نور الرُّبا فيصيرُ شُهْداً في طريق رُضَابِهِ

عُرفت جُدودُكَ إذْ نطقت وطالما لَغَطَ القطا فأبان عن أنسابِهِ[7].(الكامل)

---

(1) اللزوميات ، ج2 ، ص431 ، أما بداية الخلق فيجعلها ، فقد يكون آدم أبو البشر مسبوقاً بأوادم غيره .
(2) المصدر نفسه ، ج 1 ، ص187 .
(3) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 333 .
(4) المصدر نفسه ، ج1 ، ص 206 ، يرد على هؤلاء وهؤلاء : إن الله ذو قدرة عظيمة .
(5) المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 556 .
(6) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 142 .
(7) شروح سقط الزند ، ق2 ، ص 720 - 752 ، الرُّضاب : قطع الريق . اللغط : اختلاف الأصوات والكلام .

والحق أن كثرة المصطلحات في شعر أبي العلاء وخاصة في اللزوميات لها ارتباط كبير بعصر الشاعر ، وهو عصر شهد نهضة علمية وثقافة واسعة ، وكان المعري مفتوناً شأنه شأن شعراء عصره بالثقافات التي كانت تتميز بها بيئة القرن الرابع والخامس الهجريين على اختلاف موضوعاتها ، فعرض في شعره مختلف ما وقع عليه ذهنه وفكره .

وهذا يعني أن المصطلحات ألفاظ كغيرها من ألفاظ اللغة ، وإن من حق الأديب أن يستعمل منها ما يحتاج إليه ليحدد الفكرة التي يريد التعبير عنها ويضع التجربة التي انفعل بها .

المبحث الثاني

الأسلوب

دراسة الأسلوب في الشعر لا تقل في الأهمية عن دراسة سائر العناصر الشعرية الأخرى فيه ، لأنه جزء لا يتجزأ من رؤيتنا الكلية للشعر والشاعر ، وعنصر أساس في الوحدة العضوية ، فالأسلوب مرآة تعكس قدرة الشاعر على تنظيم دوافعه الداخلية والخارجية ، وتعكس قدرته على التحكم في التجربة ، وبعض الأساليب الشعرية يتصل اتصالاً وثيقاً واضحاً بحياة الشاعر الخاصة ، والأسلوب يتأثر بغير شك بحالة الشاعر النفسية والبيئية المحيطة به ، والتي كونت هذه الحالة النفسية ، ولذلك صدر شعره بأساليب مختلفة وذلك حسب حالاته النفسية التي وضع فيها .

ومن أجل التعرف على الحالة الشعورية التي يصورها أبو العلاء في لزومياته كان لابد من التعرف على الجوانب الجمالية ، والوقوف عند الظواهر الأسلوبية التي ظهرت في لزومياته بشكل واضح وجليّ ، إضافة إلى الصيغ اللغوية والبلاغية التي يكثر الشاعر من استخدامها .

فأسلوب أبي العلاء في اللزوميات يمكن أن نسميه أسلوباً شاملاً ، فهو يستخدم الأسلوب السهل الواضح أحياناً ، ويستخدم الأسلوب المعقد بعيد المرام على السامعين والذي يحتاج إلى كثير من التفكير لفهمه .

تحدث دارسو أبي العلاء عن جزالة أسلوبه أو متانة تراكيبه ، وألصقوا أوصاف الجزالة والمتانة وما إليها بعباراته الشعرية ، وينفرد الأستاذ محمد سليم الجندي من بين الدارسين بإشاراته إلى أمثلة كثيرة لما ذكر من أسلوب السقط واللزوميات تتصل بالخصائص الفنية فيهما ، فهو يؤكد على أن في (لزوم مالا يلزم) " أبياتاً جمعت حسن الرّصف ، إلى قوة الأسلوب وطيب الجرس ؛ وهي في اللزوم أكثر من أن تحصى ، ويزيد جمالاً ، ما فيه من التلميح لحادثة أو مزعم أو نحو ذلك "[1].
ومن الأبيات التي رآها تمثل هذه الصفات في اللزوميات قول أبي العلاء :

أولو الفضل في أوطانهم غُرباءُ تشدُّ وتنأى عنهم القُرباءُ[2].(الطويل)

---

[1] الجامع في أخبار أبي العلاء ، مرجع سايق ، ص 1162 .
[2] اللزوميات ، ج1 ، ص 43 ، تشدُّ وتنأى : تبتعد .

وقوله :

أرى جُـرع الحيــاة أمــرَّ شيءٍ فشاهد صدق ذلك إذ تُقاءُ [1].(الوافر)

وقوله :

عُمْـري غديــرٌ كلُّ أنفــاسي به جُرعٌ تغادِرُهُ كأمس الناضبِ[2].(الكامل)

وقوله :

وإنّـا من الغــبراءِ فـوق مــطيّةٍ مُذَلَّلةٍ ما أمكنتْ يد خارب[3].(الطويل)

وقوله :

كُـن من تشــاءُ مُهجَّنــاً أو خالصــاً وإذا رُزقْتَ غنى فأنتَ السيِّدُ

واصْمُتْ فما كَثُر الكلامُ من امرىءٍ إلا وَظُــنَّ بأنّــهُ مُتَزَيِّــدُ[4].(الكامل)

وقوله من الطويل :

وما النــعشُ إلا كــسفينة راميــاً بغرقاه في موج الرّدى المتراكب[5] .

ويقول عن السقط " إن هناك كثيراً من الأبيات التي جمعت أناقة التأليف ، وحسن الانسجام ، إلى رشاقة الألفاظ ، ونبل المعنى ؛ حتى كانت آية في الروعة ، وحسن الوقع في السمع ، وصقل الديباجة " [6] ، كقوله من البسيط :

فالحُسنُ يظـهرُ في شيئين رَونـقُهُ بيتٍ من الشِّعْر أو بيتٍ من الشَّعَر[7] .

وقوله من البسيط أيضاً :

والنجم تستصغِرُ الأبصـارُ صورتـهُ والدَّنْبُ للطرَّفِ لا للنجمِ في الصغرِ[8]

.

---

[1] اللزوميات ، ج1 ، ص 53 ، جرع الحياة : أيّامها ؛ الجرعة : الشُّربة .
[2] المصدر نفسه ، ج1 ، ص 149 .
[3] المصدر نفسه ، ج1 ، ص 129 ، مطية مذلّلة : دابّة منقادة طائعة .
[4] المصدر نفسه ، ج1 ، ص313 .
[5] المصدر نفسه ، ج1 ، ص 130 .
[6] الجامع في أخبار أبي العلاء ، ص 998 .
[7] شروح سقط الزند ، ق1 ، ص129 .
[8] المصدر نفسه ، ق1 ، ص162 .

وقوله من الطويل :

إذا كُنْتَ تبغي العِزَّ فابْغ تَوسُّطـاً فعند التناهي يقصُرُ المتطاولُ [1] .

وقد يعلل ما لوحظ من قوة الأسلوب وأناقة التأليف إلى ما عرف عن أبي العلاء من أنه أطلع في صباه وشبابه على كتب الأدب وكانت له ـ كما شهد معاصروه ـ حافظة عجيبة فحصّل ذخيرة أدبية ضخمة نفعته طوال حياته وانطبعت في مخيلته أساليب في أشعارهم وخاصة أساليب كبار الشعراء الذين أعجب بهم المعري وشرح شعرهم .

إن أول ما يلفت الأنظار في لزومياته استخدامه الأساليب الإنشائية كالنداء ، والأمر ، والاستفهام ، والنهي ، ومن الجدير بالذكر أن تلك الأساليب كانت لا تحمل معناها الحقيقي في كل شعره ، فقد خرجت إلى أغراض بلاغية متنوعة ، فمن الصعب حصرها جميعاً هنا ، ولكن سندرس نماذج متنوعة من لزومياته من أجل استجلاء هذه المعاني وبيان قيمتها البلاغية من حيث الدلالة ، ومن حيث ارتباطها بالحالة النفسية والشعورية ، كقوله :

أيا جسد المرءِ ! ماذا دهاك ؟ وقـد كـنت من عنصر طيب

تـخبثت ، إذا جُمَعتْ أربـعٌ لديك ، وأضحكتْ في الحي بي[2].(المتقارب)

في البيت نلاحظ أن أبا العلاء لجأ إلى أسلوب النداء ممزوجاً بالاستفهام ، حيث استعمل الاستفهام للإيقاظ والتنبيه ، ودعوة إلى التفكير والمساءلة ، وأما أداة النداء فقد جاءت لنداء الجسد الذي انقلبت حاله من طيّب إلى خبيث .

وقوله :

أمـا رأيت صُرُوفَ الدَّهر غاديـةً على القُلُوب بتبغيض وتحبيب[3].(البسيط)

ومثل هذا الاستفهام ، يدعو به المعري إلى إيقاظ الناس من غفلتهم وتنبيههم بأن الدنيا ومصائبها قائمة على البشر أجمعين ، فالذي تصيبه سهامها يغدو بائساً منهاراً، وإلا فإنه يكون مسروراً فرحاً .

---

[1] شروح سقط الزند ، ق2 ، ص552 .
[2] اللزوميات ، ج1 ، ص160 ، الأربع : طبائع الإنسان ، من حرارة ، برودة ، رطوبة ، يبوسة .
[3] المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 145 ، صروف الدهر : تقلباته .

فالاستفهام ضرب من الحيرة التي وقع فيها أبو العلاء في حياته وآلامه وهو يعكس تعجبه من قومه ، كقوله في مطلع قصيدة له :

أما لأمير هـذا المصـر عقـل يقيم عن الطريق ذوي النجوم ؟ [1].(الوافر)

وهو يتعجب من الأمير الذي لا يطرد الخوارج وأصحاب الفتن التي تنجم وتظهر .

ويتفكر في الليل والنهار ويتساءل هل يأمنهما الإنسان بما فيهما علامات لتخبر بها ، كقوله :

هل يأمن الفتيان الخطب آوانه وللمقادير إعلام بأعلام ؟ [2].(البسيط)

ويؤكد حكمة يسوقها في مطلع بيت باستفهام في الشطر الثاني ويقول موضحاً أن الحرص يعمي الإنسان ويصمه عن الحقائق ، في قوله :

الحرصُ في كل الأفانين يصمْ أمـا رأيت كـل ظـهرٍ ينقصـمْ ؟

وعُـروةَ مـن كـل حـي تنفصم أما سمعت الحادثات تختصمْ ؟

أم حبك الأشياء يعمي ويُصم ؟ [3].(الرجز)

ـ ومن الأساليب الإنشائية أيضاً ورود أسلوب الأمر والنهي ، وقد خرجا عن معناهما الحقيقي ليؤديا معاني جديدة يظهرها سياق البيت ، فقد تباينت معانيهما ، كقوله من الطويل :

وحاذرْ من الصّهباء فهي عدوّةٌ من الصُّهب ، مشَّتْ في مفاصلك السُّكرا[4].

ومن الملاحظ ، خروج فعل الأمر الذي يخاطب به الناس من خلاله عن معناه الأصلي إلى معنى النصح والإرشاد ، وبيان جلال الموقف ، وخطورة السكر إزاء تعاطي الخمور والمسكرات من خلال الفعل (حاذرْ) .

وقوله من الطويل :

طباعُ الورى فيها النّفاقُ ، فأقصـهمْ وحيداً ، ولا تصحبْ خليلاً تنافقُهْ[5] .

---

[1] اللزوميات ، ج2 ، ص 404 ، يقيم عن الطريق : يبعد عن سبيل الضعفاء .
[2] المصدر نفسه ، ج2 ، ص 394 ، الفتيان : الليل والنهار .
[3] المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 424 ، الأفانين : الأحوال ، يصم : يعيب .
[4] المصدر نفسه ، ج1 ، ص 451 ، الصهباء : الخمرة الشقراء ، الصهب : الروم وهم الأعداء .
[5] المصدر نفسه ، ج2 ، ص 85 ، الورى : الناس .

لجأ أبو العلاء إلى أسلوب الأمر في (فأقصهم) ، وأسلوب النهي (لا تصحبْ) ليؤكد فكرته التي استقاها من تجاربه مع الناس ، لأنه رأى أن الدنيا خالية من الرفاق الحقيقيين لأنها أرض ملأى بالمنافقين والمحتالين .

وقوله من البسيط :

لا تـأسفنّ عـلى شـيء تُفـاتُ بـه فقد تساوى لديك الجونُ والكركُ[1] .

استخدم أبو العلاء أسلوب النهي (لا تأسفن) ، ليعلن فيها أن الإنسان العاقل هو الإنسان الذي لا يأسف على ما فاته ، فالعرب والعجم متساويان في هذه الدنيا .

ـ واستخدم المعري أيضاً أسلوب التعميم ، مما يؤخذ على أبي العلاء ظهور العمومية في كل المثالب التي أخذها على الناس والمجتمع في عهده ، فكل الناس في السلبية سواء والجهل سواء والنفاق سواء ، ونادرا ما تجد له استثناء يظهر فيه بعض المعتدلين ، فهو يعمم فيقول من الطويل :

أرى الناس في مجهُولةٍ ، كبراؤُهم كولدان حيٍّ يلعبون خراجِ[2] .

فكل الناس عنده جهالاً وكبراؤهم يلعبون كالصبيان .

ويقول مساوياً بين نفوس الناس جميعاً في التكبر وتجاوز الحد :

نفــوس تشــابــه أصحــابــها عتوا في زمانهم إذ عتت

وما يرتضى اللب عند البيان لا مــا أتــوه ولا ما آتت[3].(المتقارب)

ويقول أيضاً :

وزهدني في الخلق معرفتي بهم وعلمني بأن العالمين هباء[4].(الطويل)

فالعالمون كلهم عنده هباء وهؤلاء من عرفهم وعاشرهم طبعاً .

ـ ومن الظواهر الأسلوبية في لزومياته ، التزام نظام القافية في آخر كل بيت من أبيات لزومياته أكثر من حرف قبل الروي ؛ وهذا ما سمّاه "لزوم مالا يلزم " وقد

---

[1] اللزوميات ، ج2 ، ص 121 ، الجون : الأسود ، الكرك : الأحمر .
[2] المصدر نفسه ، ج1 ، ص 244 ، المجهولة والمجهل : الأرض ليس فيها ما يُهتدي به ، خراج : لعبة الصغار .
[3] المصدر نفسه ، ج1 ، 221 ، عتا : تكبّر وجاوز الحدّ ، اللُبُّ : خالص كلّ شيء ؛ وأراد به العقل .
[4] المصدر نفسه ، ج1 ، ص 44 ، الزهد : الرضى بالقليل .

نظمه على حروف المعجم كلها مضمومة ، ومكسورة ، وساكنه ، على نحو ما نرى في قوله من الطويل :

ثــلاثــة أيـــام لأهــل تنــافـر ، ولكنَّ قول المسلمين هو الثبتُ

يرى الأحد النَّصريُّ عيداً لأهله وجمعتنا عيدٌ لنا ، ولك السبتُ[1] .

لم يكتف أبو العلاء هنا بالتاء بل التزم قبلها الباء أيضاً ، وهو ما يسمّى التزامه بحرفين قبل الروي .

و أما في قوله الآتي فقد التزم ثلاثة حروف قبل الروي ، من الطويل :

أركـان رضْـوى وقُـدْسٌ غَيْرَ دائـمةٍ فهل تدومُ لهذا الشخص أركانُ ؟

ما أحسن الأرض لو كانتْ بغير أذىً ونحنُ فيها ، لذكر الله ، سُكانُ[2] .

فلم يكتف المعري هنا أيضاً بالنون بل التزم قبلها الألف والكاف أيضاً ، وهو ما يسمّى التزامه بثلاثة حروف قبل الروي .

ـ ومن الظواهر الأسلوب أيضاً تكرار المعاني ، فقد كرر أبو العلاء المعاني نفسها في كثير من اللزوميات وإن كان ذلك منه إصرار على مبتغاه بأكثر من صورة ، فلم يعد أبو العلاء من يدافع عن هذا النمط من الأساليب في شعره ، فالأستاذ أحمد تيمور يعرض أمثلة كثيرة للمعاني المكررة في شعر أبي العلاء سواء في السقط أو اللزوميات ، ومن ذلك قول أبي العلاء :

فالنفس تبغي الحيـاة جـاهدةٌ ، وفي يمين المليك مِقْوَدُها

فلا اقتحـامُ الشجـاع مُهْلِكها ، ولا توقي الجبان مُخْلِدُها[3].(النسرح)

كرره فقال من الوافر :

فـكن في كـل نـائبةٍ جـريئاً ، تُصبْ في الرأي إن خطئَ الهدانُ

وسائل من تنطَّس في التّوقِي : لأيــة عــلةٍ مــات الجبــانُ ؟[4] .

---

[1] اللزوميات ، ج1 ، ص 174 .
[2] المصدر نفسه ، ج2 ، ص 446 ، رضوى وقدس : جبلان .
[3] سقط الزند ، مرجع سابق ، ص 171 ، التوقي : الحذر .
[4] المصدر نفسه ، ص 116 ، النائبة : المصيبة ، إن خطئ الهذان : الهذان الأحمق ، تنطس : بالغ ودقق في الأمر .

وقوله في تشبيه الدرع بالمبرد :

وما بُرْدَةٌ في طيها مثل مبرد بعاجزة عن ضم شخص و أوصال[1].(الطويل)

كرره فقال :

مُضاعَفةٌ في نشرها نِهْيُ مُبْرِدٍ ولكنها في الطيِّ تُحسَب مِبْرَدا[2].(الطويل)

ثم يقول : " تكرير المعاني وقع لكثير من الشعراء ، ولم نر أحداً عابهم به ، إلا إذا كان المعنى في نفسه ساقطاً مرذولاً ، يؤخذ الشاعر عليه ، فتكون مؤاخذته على تكريره وتردده أولى " [3] .

ـ ومن الظواهر الأسلوبية في لزومياته استخدام الألفاظ الغريبة والغامضة لتحقيق هدفه ، فليس الغموض صفة لازمة في كل شعر أبي العلاء ، على نحو مانرى في قوله من الطويل :

ترى الهمَّ لا شيءٌ ، سوى الأكل ، هَمَّه لهُ جسدٌ ما استطاع حرّاً ولا برداً

يُقلُّ العَصـا ، مستثقل الطِّمر ، بعدما علا فرساً ، واجتـابَ ماذيّةً سردا

ولا تتـرك الأيـامُ مـردىً لـظبيةٍ من الأُدْم ، تختارُ الكِباثَ ولا المراد[4].

نلاحظ في هذا النص تضافر الألفاظ الوعرة الغريبة كألفاظ ، الهمّ والطمر ، واجتاب ، و ماذية ، ومردىً ، والأدم ، والكباث ، والمردا ، مستخدماً الأساليب الخبرية التي لم يكن هدفه فيها الإعلام أو الأخبار بقدر ما كان هدفه التعبير عن آرائه و أفكاره حتى يحقق ما كان يريده له ، وعلى نحو ما نرى في قوله أيضاً :

شُربي ، على المُقلةِ ، في مَقْلتٍ ، وأكلي المشرقَ والمغربِ

آثـرُ عنـدي مـن طـعامٍ لـهمُ يُشْفعُ بالمُطرفِ والمَطربِ[5].(السريع)

---

(1) سقط الزند ، ص319 ، الأوصال : الأعضاء ، جمع وصل ، شبه الدرع وهي مطوية بالمبرد .

(2) المصدر نفسه ، ص335 ، النهي : الغدير ، المبرد آلة البرد ـ شبه الدرع عند نشرها بالسحاب المبرد ، وعند طيها بالمبرد لضآلتها وهي مطوية .

(3) أبو العلاء المعري ، أحمد تيمور باشا ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ـ مصر ، 2012م ، ص100 .

(4) اللزوميات ، ج1 ، ص 322 ، الهمَّ : الشيخ الكبير ، الطمر : الثوب البالي ، الماذية : الذرع البيضاء ، مردى : مهلكة ، الكباث : النضيج من التمر الأراك ، المرد : الغض منه ، الأدم : المشرب ولونها بياضاً .

(5) المصدر نفسه ، ج1 ، ص156 ، المقلة : الحصاة ، المقلت : المهلك ، المشرق : اللحم ، القديد ، آثر : أفضل .

إن قصده من تلك الأبيات كان أنه يكتفي بماء قليل بمقدار محدود في مغاور مهلكة ، ويتعشّى على اللحم القديد ، وينصح الفقير بالتخلي عن النظرة الحاسدة الغنية ، مادام مآل الجميع إلى التراب .

فأبو العلاء لجأ إلى وسائل مختلفة لإظهار سمة التعقيد ، ومنها تلك الألفاظ الغامضة والغريبة المعقدة التي تحتاج إلى معجم لتفسيرها ، واستعان المعري بالمجانسة التي كان يشغف بها شغفاً شديداً كما نجد في " المطرف " و " المطرب " ، كما استعان بالمطابقة في " المشرق " و " المغرب " ، فإكثار المعري من الجناس يدل على تمكنه من المفردات أشد تمكناً ؛ لأنه يتلاعب بالألفاظ والمعاني ، على نحو قوله من البسيط :

ما قرّ طاسُكَ في كفّ المُدير لهُ ، إلا وقرطاسُكَ المرعوبُ مرعوبُ[1] .

حيث جانس في " قرّ طاسك " و " قرطاسك " فاللفظة الأولى مؤلفة من لفظتين قَرَّ بمعنى ثبت ، وطاس بمعنى الوعاء ؛ أما اللفظة الثانية بمعنى الصفحة التي يكتب قيها ، ثم عاد وجانس بين لفظتي المرغوب الأولى بمعنى المملؤ ، ومرعوب الثانية بمعنى الخائف على سبيل الجناس التام .

فأبو العلاء في مثل هذا النوع من المحسنات البديعية يُظهر لنا سراً من أسراره اللغوية التي مازال الباحثون يعيرونها الاهتمام الأكبر في دراساتهم و أبحاثهم ، معللين ذلك بغموضه ووعورة ألفاظه تارة ، وبعمق أفكاره وسعة ثقافته تارة أخرى.

وهكذا قد يكون الغموض واجباً في النص الشعري أحياناً ، وأننا لا نستبعد أن يكون بجانب هذا الغموض في شعر أبي العلاء محاولة منه ليخلع على معانيه ثوب الأصالة والجدة ، بمعنى أنه قد يعبر عن رغبته في الخروج من دائرة المعاني المحددة التي عرفها الشعر العربي في عصوره السابقة .

ـ ومن الظواهر الأسلوبية أيضاً الحكمة والموعظة التي تعتبر من أهم المظاهر التي وظفت في لزوميات المعري ، وهي تأتي نتيجة تجربة أو رؤية في الحياة من أجل الاعتبار والموعظة ، أو التأمل في الكون والحياة والإنسان ، وقد أورد أبو العلاء الحكمة واضحة الالفاظ والمعاني ، تناولت كثيراً من سلوكيات الفرد وتعمقت في النفس البشرية .

---

[1] اللزوميات ، ج1 ، ص 88 .

يقول الدكتور أحمد زكي في تعرف الحكمة بأنها " درجة من الوعي الفكري يجمع معاني عامة تأتي دائماً عن طريق تجربة أو نظرة في الحياة " [1] .

ومن هذه الحكم قوله :

قد نال خيراً في المعاشرِ ظاهراً من كان تَحْتَ لسانهِ مخبُوءَا[2].(الكامل)

وهي حكمة تعلى قيمة الصمت وقلة الكلام وهي فضيلة مشهورة .

وقوله :

ولي مـورِدٌ بإنـاءِ المنُـون ولـكنَّ مـيقاتـهُ ما أنَى[3].(المتقارب)

فهو يصف الموت بأنه حق على كل عبد لكن له وقت محدد ويصوره كأساً لابد أنه سيرده .

ويحدث النفس على الاستمرار في فعل الخير وإن لم يشكرها الناس عليه ، فالله سبحانه يكفيها أجرها في الآخرة ، فيقول :

متى فعلْتَ الخـيرَ ثمَّ كُفِرتـهُ فلا تـأسفنْ إنْ المهينَ آجـرُ

فنزه جميـلاً جئتهُ عن جزايةٍ تُؤملُ أو ربح ، كأنك تاجرُ[4].(الطويل)

ويحذر من الشهوات واستخدام الشيطان لها في هتك الأعراض حتى ولو استأمنت أشرف الناس على عرضك ، فلا يصح أن تترك نساءك لأحد أمانة فإن جاز هذا في المال فلا يجوز في العرض ، فيقول :

وأمـنْ على المـالِ الرجـال ولا تـأمنهمُ أبداً عـلى الخُرُدِ[5].(الكامل)

ويقول حكمة في أسرار المرء في صدره ولا يجب أن يخرج السر فإذا خرج من صدر صاحبه فلا يستقر في أي صدر بعده أبداً ، فيقول :

---

[1] ينظر : شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي ، دار الكتاب للطباعة والنشر ، القاهرة ـ مصر ، 1969م ، ص 280 .
[2] اللزوميات ، ج1 ، ص 60 .
[3] المصدر نفسه ، ج1 ، ص 77 ، أنى : حل وصار . يشير إلى الآيتين الكريمتين : (كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموت) " آل عمران : 185 " ، (إذا جاء أجلُهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) " النحل : 16 " .
[4] المصدر نفسه ، ج1 ، ص 391 ، كفر نعمة الله ، وكفر بها : جحدها ، وسترها ، الآجر : هو الذي يعطي الأجر . نزّه : أبْعِدْ عن كل مكروه، الجزاية : المكافأة على الشيء .
[5] المصدر نفسه ، ج1 ، ص 368 ، الخُرُدِ : جمع خريدة وهي الشابة البكر .

الصدرُ بيتٌ إذا ما السرُّ زايلهُ فما يَكِنُّ ببيتٍ بعدهُ أبدا[1].(البسيط)

نلاحظ أن الأساليب والظواهر الأسلوبية التي تم الجلاء عنها في الصفحات السابقة ، كان لها الأثر العظيم في توضيح أفكار المعري وتأكيدها وإضفاء معاني جديدة في لزومياته ، وبيان الحالة الشعورية والنفسية فيها .

[1] اللزوميات ، ج 1 ص 325 ، كَنَّ : ستر وصان وأخفى ، زايل : فارق .

المبحث الثالث

الموسيقا

الموسيقى ليست مجرد زينة عارضة أو زخرفة زائدة أو حلية ثانوية وإنما هي المحور الرئيس لعناصر البناء الشعري ، فهي تشكل عنصراً أساسياً من عناصر فن الشعر ، لما لها من قيمة فنية في بناء قصيدة الشاعر ، لذا فقد أولى الشعر العربي القديم اهتماماً بالغاً بكل ما يكفل للقصيدة الانتظام الموسيقي ، والواقع النغمي المتجانس ، لذلك عنى هذا الشعر بعنصري الوزن والقافية ..، وتعود هذه العناية إلى عوامل كثيرة ، ولعل من أبرز هذه العوامل هو أن السماع كان وسيلة الاتصال الرئيسية بين الشاعر والمتلقي ، فكانت القصيدة تصالح الأذن وتخاطبها قبل العين ، لذلك " ظل المجتمع العربي قبل الإسلام بضعة قرون يرعى النهضة البيانية ، ويعمل على ازدهارها ، ولم يكن الشعر خلال هذه القرون إلا الصورة الصوتية تتردد على الأسماع ، فتكسبها المران ، وعادة التمييز بين الكلام المشتمل على الإيقاع والنغم ، ونلحظ أسمى الدرجات الموسيقية في أوزان الشعر وقوافيه " [1] .

وقد جعل النقد العربي القديم الوزن حداً من حدود الشعر ، وعنصراً مهماً من عناصر تعريفه ، كما في القول الشهير لقدامة بن جعفر في تعريفه للشعر ..." بأنه قول موزون مقفى يدل على معنى " [2] ، حيث قدم الوزن على القافية ، وقدم كليهما- من حيث الأهمية - على المعنى في القصيدة ، ويقول في موضع آخر في مؤلفاته (نقد الشعر) " إن بنية الشعر إنما هو التسجيع والقافية ، فكلما كان الشعر أكثر اشتمالاً عليه ، كان أدخل في باب الشعر وأخرج له عن مذهب النثر " [3] .

ومن أهم ما يميز الشعر أنه لا يعبر عن معان فقط ، بل يعبر عن أصوات ، فالقصيدة لا يهمنا فيها المعاني وحدها إنما تهمنا موسيقاها وألفاظها وطريقة تشكيل مادتها الحسية أو الصوتية ، فالموسيقى قسمين :

ـ موسيقى ظاهرة وهي : تتحقق بالوزن والقافية وكل ما له جرس صوتي تحسه الأذن كحسن التقسيم والازدواج والمقابلة والطباق .

---

[1] ينظر : دلالة الألفاظ ، د . إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط5 ، 1984م ، ص 196 - 197 .
[2] ينظر : نقد الشعر ، أبو الفرج قدامة بن جعفر ، مطبعة الجوانب - قسطنطنية ، ط 1 ، 1302 ه ، ص3 .
[3] المصدر نفسه ، ص 23 .

ـ وموسيقى خفية وهي : التي تحدث في النفس هزات وذبذبات خاصة مصدرها تفاعل الألفاظ والعبارات بالصور والأخيلة واتساقها في وحدة نغمية لها أثرها في النفس [1] .

ـ الوزن من أهم عناصر الموسيقى خاصة في اللزوميات ، وهي من الشعر القديم الذي يتميز بما يميز الشعر العربي من أن البيت هو وحدة القصيدة " والوزن في الشعر العربي هو مجموع التفعيلات التي يتألف منها البيت وقد كان البيت هو الوحدة الموسيقية للقصيدة " [2] .

ـ ومن مظاهر الموسيقى أيضاً القافية فهي : تمثل في الشعر العربي ركيزة أساسية من ركائز الموسيقى الشعرية .

وقد اهتم أبو العلاء بقوافيه أجل اهتمام وليس أدل على هذا المعنى من كلامه في مقدمة اللزوميات ونظمه لهذا الديوان الضخم بقافية خاصة التزم فيها مالا يلزم ؛ وذلك لعلمه أن : " للقافية قيمة موسيقية في مقطع البيت وتكرارها يزيد في وحدة النغم " [3] ، وتحتاج القافية إلى شاعر يطوع قوافيه للحالة النفسية التي يعيشها لتأتي معبرة عن الشاعر .

إن علم أبي العلاء بالقافية ينم عن ممارسته لقراءة الشعر ونقده ، ففي احدى المواضع التي يعرض فيها بعض الآراء حول تحديد روي بعض الأبيات يقول : "والغريزة تشهد بما زعموه ، لذلك فالعلم بالقافية محك الاختلاف بين الجاهل والعالم في الشعر ، إذا جاء الروي فضح اللغوي ولو قيل إن القافية سميت قافية لأنها تقفو الجاهل بها أي تعيبه لكل مذهباً من القول والقريض ، ومن سلكها غير خبير فكأنما سقط من ثبير [4] .

إن البحث عن الموسيقا ، وإيقاعها وأسرارها ليس في الحقيقة إلا بحثاً عن أسرار المعنى وطرائق تقديمه وتشكيله ؛ فالإيقاع الموسيقي يمثل نبض الشعر ، ومسحته الجمالية التي يتباهى بها الفنون الأخرى ، فهو الروح الفنية التي تميزه عن غيره من الأجناس الأدبية المختلفة ، وهو ذلك الفعل الناتج عن تناسق العبارات والألفاظ

---

[1] نقلاً عن شبكة المعلومات الدولية .
[2] ينظر : النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، دار العودة ، بيروت ـ لبنان ، ط3 ، 1986، ص 462 .
[3] المصدر نفسه ، ص462 .
[4] ينظر : الشعر العربي القديم ، مرجع سابق ، ص 453 .

والتراكيب ، وتأليف الكلمات ومخارج الأصوات ، فضلاً عن توازن الجمل في مقاطع طويلة وقصيرة ، وبعض ظواهر التكرار التي تضمنها ، لا سيما أنّ تكرار الكلمات أو الجمل والأصوات هو أصل التنويع الإيقاعي في البيت الشعري ؛ لأنه يبث التناغم والإيقاع الموسيقي في البناء الشعري ، حيث يضفي الملامح الجمالية للنص الأدبي ، فالوحدة الموسيقية وتكرار الإيقاع يخلفان للشعر موسيقا داخلية .

وأبو العلاء اتخذ كل الوسائل متكلفاً لإظهار هذه الموسيقى بجميع نغماتها ليطرب آذان سامعيه وربما لآفة العمى التي أصيب بها ، واعتماده على السمع طيلة حياته فكانت الأذن هي وسيلة تذوقه للآداب ، ولذلك حرص على توصيل فكره إلى الناس بتعبيرات وإيحاءات اعتمد فيها على علمه بالعروض وأوزانه وهو الذي ألف فيه كتاباً سماه " جامع الأوزان " [1] .

وقد ساق إلينا أبو العلاء في اللزوميات أبياتاً التزم فيها مالا يلزم " ولم يكن بمقدور شاعر أن يحاربه فيها ؛ لأنه التزم مالا يلزم ، وقد كان هذا النوع مقياس براعة الشعر العربي ؛ لأنه يزيد وحدات الإيقاع الصوتية " [2] ، ومن ذلك قوله من الطويل :

لعَمُركَ ما الدنيا بــدار إقــامةٍ ولا الحيُّ في حال سلامة آمنُ

و إنّ وليــداً حــلّـها لــمُعذَّبٌ جَرَتْ لسواهُ بالسّعود الأيامنُ

ونال بَنَوها ما حبتهم جُدُودُهُم على أنَ جدَّ المرء في الجدِّ كامنُ[3] .

فلم يكتفِ أبو العلاء بالتزام الحرف الأخير في القافية وهو حرف الروي ، بل التزم إلى ثلاثة حروف قبل الروي ، معطياً أبياته إيقاعاً موزوناً ، معبراً بتلك الموسيقى عن عاطفته في نقده الدنيا وأفعالها ، فكل لفظة إيقاعها الخاص ودلالتها وإيحاؤها ووقعها عند أبي العلاء لأنها جزء نفسي من أعماقه ، فاستخدام القسم " لعمرك " واستعماله ما النافية الذي مثّل إيقاعاً نفسياً عميقاً ، دلَّ على أنّ صوت المعري في ذلك كله له حضور جليّ خُيل إلينا أنه لا يكف عن ذمه الدنيا الزائلة ، فجاءت أبياته السابقة تصويراً نفسياً معنوياً ، إضافة إلى استخدامه الألفاظ والتعبيرات البسيطة ، والتراكيب الواضحة في بنائه اللغوي الذي أدّى إلى تنوع موسيقاه .

---

[1] معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، تح إحسان عباس ، ج2 ، دار العرب الإسلامي ، بيروت ـ لبنان ، ط1 ، 1993م ، ص330 .
[2] النقد الأدبي الحديث ، مرجع سابق ، ص 463 .
[3] اللزوميات ، ج2 ، ص 438 ، الأيامن : هي الطيور التي تتجه يميناً ، وتسمى السوانح . وهي فأل خير .

" والمعري لم يبتكر هذا النوع من الجناس في القافية ، ولكنه التزمه في ديوانه لزوم مالا يلزم ولم يَحِدْ عنه قطُّ ، ولذلك قُرن هذا الفن باسمه "[1] .

ـ ومن المظاهر الموسيقية البارزة ظاهرة التصريع الذي أسهم بشكل مباشر في تحديد المظهر الموسيقي للقافية ، " وهو لون من ألوان التقطيع الموسيقي ، وجعله النقاد القدامى من نعوت القوافي واشترطوا فيها أن تكون عذبة الحروف سلسة المخرج ، واستحسنوا في التصريع ما كان في أول القصائد ليميز بين الابتداء وغيره ، ويفهم قبل تمام البيت روي القصيدة وقافيتها " [2] ، على نحو ما نرى في قوله :

تهاونْ بالظُّنُون وما حدسْنَهْ ولا تخش الظِّباءَ متى كنسْنَهْ[3].(الوافر)

جاء التصريع بين كلمتي (حدسْنَهْ ـ كنسْنَهْ) كما أنَّ صوت (النون المخففة) الذي يتسمّ بالغنّة الصوتية ، والجهر ويجمع ما بين الشدة والرخاوة يُعَدَّمن مجموع الأصوات ذات الوضوح السمعي ، الذي يسهم في إضفاء النغم الجميل الذي تطرب له الآذان وتستمتع به الأحاسيس ، فكل هذا وفر للبيت إيقاع في الموسيقى الداخلية .

وقوله أيضاً في التصريع قوله من البسيط :

يأتي على الخلق إصباح وإمساء وكلنا لصروف الدهر نسَّاء[4] .

فقد جاء التصريع بين كلمتي (إمساء ـ نساء) .

وقوله من الطويل :

أولو الفضل في أوطـانهم غربـاء تشذ وتنأى عنهم القربـاء[5] .

جاء التصريع بين كلمتي (غرباء ـ القرباء) .

---

[1] دراسات في الأدب والعلم والفلسفة ، مرجع سابق ، ص 44 .

[2] ينظر : سر الفصاحة ، لابن سنان الخفاجي ، عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان ، تح . عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة صبيح ، 1953م ، ص180 .

[3] اللزوميات ، ج2 ، ص473 ، كدسنه : غَطسْنَ ، والكناس : بيت الظبي ، وهو يقصد النساء .

[4] المصدر نفسه ، ج1 ، ص 48 ، النسَّاءَ : كثير النسيان .

[5] المصدر نفسه ، ج1 ، ص 43 ، تشذذ وتنأى : تبتعد .

وقوله من الوافر :

لأمواهُ الشبيبة كيف غِضْنَهْ ورَوْضاتُ الصِّبا في اليُبْس إضْنهْ[1] .

جاء التصريع بين كلمتي (غضنه ـ إضنه) .

ـ ومن المظاهر الموسيقية أيضاً الترصيع (حسن التقسيم) : وهو تقسيم أجزاء البيت إلى مقاطع مسجوعة ، بما يشبه القوافي الداخلية وأسلوب التقطيع هذا أو التقسيم يشيع به أبو العلاء الموسيقى في شعره وهو من الأساليب البديعية ، كقول أبي العلاء من البسيط :

التربُ جدِّي وساعدتي ركائبُ لي والعيشُ سَيْري وموتي راحةُ الجسدِ

العينُ من أرقٍ والشخصُ من قلق والقلبُ من أمل والنفسُ من حسدِ[2].

وهنا نسمع أكثر من وحدة موسيقية فواحدة بين (الترب جدي) في الشطر الأول من البيت الأول ، (العيش سيري) في الشطرة الثانية منه .

والثانية بين (ساعاتي ركائب لي) في الشطرة الأولى من البيت الأول و (موتي راحة الجسد) في الشطرة الثانية منه ، وفي البيت الثاني فالوحدة الموسيقية في (العين من أرق والشخص من قلق) في الشطرة الأولى ، (والقلب من أمل والنفس من حسد) في الشطرة الثانية .

ـ وتعدُّ عملية اختيار البحور الشعرية من أهم الظواهر الموسيقية لما تحدثه من أثر على أذن المتلقي ومسامعه ، ولما لها من الفضل الذي يذكر في جلاء الأفكار ، وتوضيح المعاني ، واستكمال الصور ، وتحقيق الهدف الذي قامت عليه القصائد الشعرية ، على نحو ما نرى في قوله من الطويل:

فؤادُك خفّاقٌ وبرْقُكَ خافقُ وأعياك في الدنيا خليلٌ موافقُ[3] .

---

(1) اللزوميات ، ج2 ، ص 470 ، الأمواه : المياه ، غاض : جف ، إضنه : آض أي صار ، والنون للنسوة والهاء للسكت .
(2) اللزوميات ، ج1 ، ص 346 ، الشخص : سواء الإنسان وغيره ، تراه من بُعد .
(3) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 82 ، خافق : خفق النجم : غاب .

حيث تتفجر في هذا البيت الموسيقا الداخلية بإيقاعها الرنانة ، فتهتف النفس معها في بهجة وسرور ، مثلما تتعانق الألفاظ في جزالتها وبهائها وسرعة جريانها مع البحر الطويل الذي يتميز بالبهاء والقوة ، وقد أسهم صوت القاف المتكرر في زيادة هذا الإيقاع سُمّواً وجمالاً الشيء الذي أضفى على المقطع الشعري صبغة السحر والجمال .

فقد التزم أبو العلاء في ديوانه " اللزوميات " ثلاث لوازم ثابتة فرضها على الشعر ، وألزم نفسه بها مع أنها مما لايحب التزامه في الشعر ، وكأنه حبس نفسه في شعره في ثلاثة سجون كما حبس نفسه في حياته في السجون الثلاثة التي صرّح بها في بعض لزومياته ، ومن هنا جاءت تسميته لهذا الديوان التي تدل على مذهبه فيه : " اللزوميات " أو " لزوم مالا يلزم " .

التزم ـ من ناحية ـ أن يرتب قصائده ومقطوعاته على ترتيب البحور العروضية كما رتبها الخليل ، لا من حيث أوزانها الأصلية فحسب ، ولكن أيضاً من حيث تشكيلاتها الموسيقية المختلفة ، التي تتمثل في اختلاف أعاريضها وأضربها . وأتاح له ذلك علمه الواسع بالعروض العربي ، وهو علم أتاح له بدوره أن يقدم فيه أكثر من دراسة تدل على فقه دقيق له، ووعي عميق بأصوله وفروعه وأسراره الموسيقية ، فبدأ بالبحر الطويل ، ثم انتقل إلى البسيط ، ثم الوافر ، ثم الكامل ، ثم سائر البحور حسب ترتيبها العروضي المعروف ، ولم يهمل منها إلا ثلاثة : المضارع والمقتضب والمتدارك . ولا نجد تفسيراً لذلك إلا أن يكون الأجل قد عاجله دونها ، أو أن يكون قد شُغل عنها بعمل علمي أو أدبي آخر على نية أن يعود إليها بعد ذلك ليستكملها ، ثم لم تتح له فرصه لذلك . وفي داخل هذا التقسيم العروضي مضى يرتب لزومياته ترتيباً داخلياً وفقاً لتشكيلات البحور الموسيقية المختلفة التي رصدها علماء العروض .

والتزم ـ من ناحية ثانية ـ أن يرتب قوافيها على ترتيب حروف المعجم جميعاً ، حتى تلك الحروف النادرة الاستعمال في الشعر العربي لحوشيتها أو غرابة ألفاظها أو شذوذها ، كالخاء والذال والصاد والضاد والظاء والغين والواو . ولم يكتف بهذا ، وإنما التزم مع كل حرف أن ينظم على

حركاته الثلاث : الضمة والفتحة والكسرة ، ثم يأتي بعد ذلك السكون ، ملتزماً هذا الترتيب لا يخرج عليه إلا نادراً ، فيبدأ بالحرف مضموماً ثم مفتوحاً ثم مكسوراً ثم ساكناً ، ثم ينتقل إلى الحرف الذي يليه ملتزماً نفس الترتيب ، وهكذا حتى استوفى الحروف كلها .

والتزم ـ من ناحية ثالثة ـ قبل كل حرف من حروف الرويّ حرفاً آخر أو أكثر من الحروف الهجائية ، وهذا ما أشرنا إليه سابقاً [1] .

ولأن فقد البصر كان وجيعة أبي العلاء الأساسية فقد اتجه إلى عالم الأصوات والموسيقى والإيقاع في الشعر استعاضة عن فقد البصر ، جاءت أوزانه وقوافيه وإيقاعاته ومصادر الموسيقى في شعره كافة ، مجسدة بصدق عوامل اندفاعه إليها ، ومؤكدة جهاد أبي العلاء لعجزه ، ورغبته الشديدة في عزلة واقية لا يبدو من خلالها شيء من كل هذه التجاعيد النفسية .

[1] في الشعر العباسي نحو منهج جديد ،مرجع سابق ، ص 113 - 224 .

الخاتمة وأهم النتائج

على النحو الميسر وبعون الله تعالى أتممتُ هذه الدراسة ، التي تناولتُ فيها دراسة التجربة الشعرية عند أبي العلاء المعري ، والهدف من ذلك معالجة بعض الظواهر والقضايا الأدبية المتعلقة بشعره ، ومن خلال هذه الدراسة وفصولها ومباحثها التي حاولتُ فيها البرهنة على براعة وخصوبة ونضج أبي العلاء العقلي ، وثقافته الواسعة إلى جانب الإحساس المرهف ، والعاطفة الجياشة ، وملكته الشعرية الفذة ، كل هذه العوامل وغيرها من العوامل الأخرى التي عاش في كنفها أبو العلاء المعري ، انعكس كل ذلك على شعره الذي تميز بكثرة صوره البلاغية وتشبيهاته ، وسلاسة الألفاظ وعذوبتها ، ووضوح المعاني في أغلب الأحيان ، فجاءت ألفاظه ومعانيه متناغمة على أوزان مختلفة ، وبحور متنوعة ، كما أنني أدركتُ من خلال التجربة الشعرية لدى الشاعر أبي العلاء المعري مدى ارتباطه وتأثيره ببيئته التي أحسن استخدامها ، وجدد في صورها من داخل أعماقه النفسية ، فقد جاءت صوره في بعض الأحيان ممزوجة بمشاعره وأحاسيسه وتجاربه الذاتية ، فبعد الرحلة التي قطعتها على صفحات هذه الرسالة ، كان لابدّ لي من ذكر أهم النتائج المهمة المستخلصة منها ، والتي توصّلتُ إليها ، وهي على النحو الآتي :

1 _ عُرفَ أبو العلاء بذكائه المفرط ، فقد عاش وترعرع في بيئة علمية عميقة الجذور في الفكر والأدب كان من أبرزها أسرته التي عاش في كنفها وتحت رعايتها فوفرت له المناخ العلمي الملائم ، كما عُرِفَ بثقافته الواسعة ، وأن كل ما زود به نفسه من ألوان العلم والثقافة كان عن طريق السماع ، حيث كانت قوة ذاكرته خير حافظ ، وأحسن معين ، فكانت له موهبة شعرية منذ الصغر ، وله شخصية فنية متألقة ، فيها إبداع وثراء وأصالة ، ولها تأثير واسع المدى في غيرها عبر الأجيال .

2 _ يُعد أبو العلاء من أبرز أدباء العربية الكبار الذين يمثلون بفنهم الشعري اتجاهات متميزة ، فقد كشف شعره مدى نضج العقلية العربية من الناحية الثقافية والفكرية ، فهو من انصح الذين مثلوا مدرسة أبي تمام حيث جمع في أشعار ديوان سقط الزند أبرز خصائص العمود الشعري .

3 _ يستمد أبو العلاء : تجربته الشعرية من الحياة وبعضها من الثقافة ، كان من الطبيعي أن يوجّه الشاعر ليستمد معانيه من التجربة الحسية ، بحيث ترتسم صور المحسوسات في خياله ، ثم يستطيع خياله أن يقيم ضروب العلاقات بينها .

4 _ في شعر المعري طوران متميزان : الطور الأول ؛ ويمثله سقط الزند ، ديوان الدرعيات الصغير الملحق اليوم بديوانه الأول ، والطور الثاني يمثله ديوان اللزوميات ؛ وهو ديوان فكره وفلسفته ، وقد بدأ نظمه منذ بلوغه السابعة والثلاثين من عمره ، وينفرد هذا الديوان بميزتين : خلوه من أبواب الشعر المطروقة (المديح والرثاء والفخر وما إليها) من جهة ، وانصراف ناظمه إلى نقد الحياة ، وقد نظمه بعد رجوعه من بغداد ، ولزومه المعرة من جهة أخرى .

5 _ من أبرز سماته الشخصية أنه شاعر صادق الفطنة جيد الحفظ ، ذكي القلب من الفحول القلائل في تاريخ الشعر العربي ، آمن بحرية العمل والفكر والعقل ، وحبذا العزلة والوحدة بعيداً عن الزيف والشرور ، وأتى بآراء جديدة وصريحة في الحياة والموت ، والخير والشر .

6 _ إن معظم رموزه أصلية مبتكرة ؛ لأنّه لا يتقصدها ، وإنما تأتي كلّها منسجمة مع سياقات نصوصه ، فكانت أشعاره مفعمة بالمعين الإشاري والرمزي الخصب ، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على سعة عقله وتوقد ذهنه وموسوعية ثقافته ، إذ سخر هذه الإشارات والرموز ببراعة في التعبير عن تجربته الشعرية ، كشفاً لعالمه الداخلي والخارجي المتأصل .

7 _ كان لعنصر الخيال دور كبير وأساسي في رسم الصورة في ذهن الشاعر ، إذ أن الشاعر الأعمى يعتمد على الخيال في بناء القصيدة الأدبية ورسم الركائز الأساسية لها .

8 _ إن لعاهته تأثيراً عظيماً في شعره أيضاً ؛ مما دفعه إلى الإعراب عن بالغ ألمه ، وواضح أساه لأنه لم يستطع برغم إنكاره ومكابرته إخفاء عذابه وآلامه ، فمضى يربط بين عاهته والموت ، كما عدّ العمى خطوة نحو الموت أو مقدمة له .

9 _ إن أبا العلاء وإن لم يتمتع بعين مبصرة ؛ فإنه يتمتع بقلب بصير نفّاذ ، وروح نقدية جبارة ، لأنه يستشعره عيوب الناس الخفية ، ويدرك حقيقة بواعثهم ، وربما يبدو في نقده اللاذع والساخر قاسياً أحياناً في أحكامه على المجتمع ، وقد يعود سر هذه القسوة إلى رفضه المجاملة الدنيئة ، والنفاق الكاذب .

10 _ ظهر في شعر أبي العلاء بعض المعاني الغامضة النادرة المبتكرة التي تعمق فيها ، وأبدع في إخراجها فنياً وخاصة في لزومياته ، مما جعلها آية رائعة في دقتها

وجمالها مما أعطى للصورة الفنية تمييزاً فنياً بحيث تغاير أشد المغايرة عند غيره من الشعراء .

11 _ لقد أمتاز أبو العلاء بأسلوبه الفني في التعبير عن آرائه وآراء غيره ، وطريقته في استخدام ألفاظ اللغة ، فاستعملها بمعاني مختلفة وبصيغ متنوعة .

12 _ كان لثقافته الفلسفية دور بارز في الأغراض الشعرية التي تناولها ديواناه سقط الزند ولزوم ما لا يلزم .

13 _ لقد التزم أبو العلاء بنظم حروف المعجم بالحركات الثلاث عدا الألف في القوافي الشعرية ، وقد استعمل كلمات شاردة وحوشية ، وكلمات أعجمية ، في بناء الكلمة والجملة .

وفي الختام لا أدعي إنني أنصفتُ أبا العلاء ووفيته حقه في عمق وتميز تجربته الشعرية ، وإنما هي محاولة أرجو أن تكون باباً لدراسات أدبية أخرى أشمل و أعمق .

والله الموفق .

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم ، برواية قالون عن نافع .

1 – أبو العلاء المعري ، أحمد تيمور باشا ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ـ مصر ، (د . ط) ، 2012 م .

2 _ أبو العلاء المعري حياته وشعره ، سمير الصارم ، مكتبة كرم ، دمشق ، (د.ط) ، (د . ت) .

3 _ أبو العلاء حياته وشعره ، كمال مصلح ، المكتبة الحديثة ناشرون .

4 _ أبو العلاء وما إليه ، ويليه رسالة الملائكة ، تأليف أبي العلاء المعري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، (د . ط) ، 2003 م .

5 _ أثر كف البصر على الصورة عند المعري ، د . رسمية موسى السقطي ، مطبعة أسعد ـ بغداد ، (د.ط) ، 1968 م .

6 _ الأصول التراثية في نقد الشعر العربي المعاصر ، عدنان قاسم ، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ـ ليبيا ، (د.ط) ، 1980 م .

7 _ الأعلام ـ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين ، تأليف خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ـ لبنان ، ط10 ، 1990 م .

8 _ أمراء الشعر العباسي ، أنيس المقدسي ، بيروت ـ لبنان ، ط7 ، (د.ت) .

9 _ بناء الصورة الفنية في البيان العربي ـ موازنة وتطبيق ، د . كمال حسن البصير ، مطبعة المجتمع العراقي ، (د.ط) ، 1987 م .

10 _ البيان والتبيين ، لأبي عمر بن بحر الجاحظ ، تح وشرح : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ـ مصر ، ط 5 ، 1995 م .

11 _ بين الأدب والنقد ، د . محمد رجب البيومي ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط 1 ، 1997 م .

12 _ تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ـ لبنان ، الجزء الثالث ، (د.ط) ، 1972 م .

13 _ تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري ، د . إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ـ لبنان ، ط 5 ، 1986 م .

14 _ التصوير الشعري ، التجربة الشعورية وأدوات رسم الصورة الشعرية ،عدنان قاسم ، ليبيا ، ط1 ، 1980 م .

15 _ تعريف القدماء بأبي العلاء ، تح : مصطفى السقا ـ عبد الرحيم محمود ـ عبد السلام هارون ـ إبراهيم الإبياري ـ حامد عبد الحميد ـ بإشراف د . طه حسين ، الهيئة المصرية للكتاب ، مصر ، ط 3 ، 1986 م .

16 _ التفسير النفسي للأدب ، د . عز الدين إسماعيل ، دار العودة ، بيروت ، ط 4 ، 1988 م .

17 _ الجامع في أخبار أبي العلاء وآثار ، محمد سليم الجندي ، علق عليه وأشرف على طبعه ، عبد الهادي هاشم ، دار صادر ، بيروت ـ لبنان ، ط 2 ، 1991 م .

18 _ الحيوان : لأبي عثمان بن عمر بن بحر الجاحظ ، تح : عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ـ لبنان ، ط 3 ، 1996 م .

19 _ دراسات في الأدب والعلم والفلسفة ـ حكيم المعرة ، أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري ، تأليف عمر فروخ ، دار لبنان للطباعة والنشر ، بيروت ـ لبنان ، ط 2 ، 1986 م .

20 _ دراسة في الأدب العربي وتاريخه ، أحمد الشعراوي ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ـ مصر ، (د.ط) ، (د.ت) .

21 _ دلائل الأعجاز ، للشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي ، مطبعة المدني بالقاهرة ، القاهرة ـ مصر ، ط 1 ، 1996 م .

22 _ دلالة الألفاظ ، د . إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط5 ، 1969 م.

23 _ ديوان اللزوميات ، لأبي العلاء المعري ، تقديم وشرح وفهرست د . وحيد كبابة ، حسن حمد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لبنان ، 2004 م .

24 _ ديوان المتنبي ، تح : عبد الوهاب عزام ، طبعة لجنة التأليف والترجمة ، (د.ط) ، 1944 م .

25 _ ديوان سقط الزند ، لأبي العلاء المعري ، شرحه د . عمر فاروق الطباع ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 ، 1998 م .

26 _ ديوان صلاح عبد الصبور ، صلاح عبد الصبور ، دار العودة ، بيروت ، ط3 ، 1977 م .

27 _ رجعة أبي العلاء ، عباس محمود العقاد ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ط 2 ، (د.ت) .

28 _ رسالة الصاهل والشاحج ، للمعري : دراسة فنية تحليلية ، مقدمة من أبو بكر الأمين القدم ، 98 ـ 1999 م .

29 _ رسالة الغفران ، أبو العلاء المعري ، دار المعارف ، القاهرة ـ مصر ، تح : عائشة عبد الرحمن ، ط 11 ، 1977 م .

30 _ الرمزية في الأدب ، إسماعيل الرسلان ، دار الحمامي للطباعة ، القاهرة ـ مصر ، (د.ط) ، (د.ت) .

31 _ الرمزية في الأدب العربي ، درويش الجندي ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، (الفجالة ـ القاهرة) ، (د.ط) ، (د.ت) .

32 _ رهين المحبسين ، أبو العلاء المعري ، أحمد الطويلي ، دار أبو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع ، تونس ، (د.ط) ، 1981 م .

33 _ زجر النابح ، أبو العلاء المعري ، تح : د . أمجد الطرابلسي ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ـ سوريا ، دمشق ـ سوريا ، (د.ط) ، 1985 م .

34 _ سر الفصاحة ، لابن سنان الخفاجي ، عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان ، تح : عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة صبيح ، (د.ط) ، 1953 م .

35 _ شاعرية أبي العلاء في نظر القدامى ، د . محمد مصطفى بالحاج ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ـ تونس ، ط1 ، 1976 م .

36 _ شروح سقط الزند ، طه حسين ، تح : مصطفى السقا وآخرون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ط 3 ، 1986 م .

37 _ شرح ديوان سقط الزند ، أبو العلاء المعري ، دار مكتبة الحياة ، بيروت لبنان ، (د.ط) ، 1987 م .

38 _ الشعر العربي القديم دراسة نقدية تحليلية لظاهرة الاغتراب ، د . كاميليا عبد الفتاح ، دار المطبوعات الجامعية ، الاسكندرية ، (د.ط) ، 2008 م .

39 _ شعر العميان ، الواقع ، الخيال ، المعاني والصورة الفنية (حتى القرن الثاني عشر الميلادي) د . نادر مصاوره ، مراجعه وتدقيق وتقديم : د . غالب عنابسه ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 ، 2008 م .

40 _ شعر المكفوفين في العصر العباسي ، د . عدنان عبيد علي ، مكتبة الإبداع ، (د.ط) ، 1985 م .

41 _ شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي ، دار الكتاب للطباعة والنشر ، القاهرة ـ مصر ، (د.ط) ، 1969 م .

42 _ الصناعتين : لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، تح : علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، (د.ط) ، 1986 م .

43 _ الصنعة الفنية في شعر المتنبي ، د . صلاح عبد الحافظ ، دار المعارف الإسكندرية ـ مصر ، (د.ط) ، 1983 م .

44 _ الصورة الأدبية ، د . مصطفى ناصف ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ، ط 3 ، 1981 م .

45 _ الصورة الشعرية عند المعري ، د . عبد الله عووضه حمّور ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم القاهرة ، 1976 م .

46 _ الصورة الشعرية في الكتابة الفنية ، صبحي البستاني ، دار الفكر اللبناني ـ بيروت ، ط 1 ، 1986 م .

47 _ الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس ، ساسين عساف ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، (د.ط) ، 1982 م .

48 _ الصورة الفنية في الشعر العربي : مثال ونقد ، إبراهيم عبد الله بن عبد الرحمن الغنيم ، الشركة العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 1 ، 1996 م .

49 _ الصورة الفنية في شعر أبي العلاء المعري ، رسالة دكتوراه ، جامعة الجزائر، مقدمة من : علي اللافي جولق ، 2006 - 2007 م .

50 _ الصورة الفنية في النقد الشعري دراسة في النظرية والتطبيق ، د . عبد القادر الرباعي أستاذ في جامعة اليرموك ، إربد ـ الأردن ، مكتبة الكتاني للنشر والتوزيع ، ط 2 ، 1995 م .

51 _ الصورة في الشعر الغربي حتى آخر القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطورها ، د. علي البطل ، دار الأندلس ، بيروت ـ لبنان ، ط 3 ، 1983م.

52 _ ظهر الإسلام ، أحمد أمين ، النهضة المصرية ، القاهرة ـ مصر ، (د.ط) ، 1952 م .

53 _ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، أبو علي الحسين بن رشيق القيراواني الأزدي ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت ـ لبنان ، ط 5 ، 1981 م .

54 _ الغموض في شعر أبي العلاء المعري ، رسالة ماجستير ، جامعة الزاوية ، مقدمة من : إبراهيم سعيد الهادي بيوض ، 2004 م .

55 _ فصول من البلاغة والنقد الأدبي ، د . إسماعيل الصّيفي ـ د. حسن محسن ـ د. صلاح الدين حسن ـ عز الدين الجردليّ ـ أ . عبد الرحمن سالم ، مكتبة الفلاح ـ الكويت ، ط 3 ، 1983 م .

56 _ فن الشعر ، د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ـ لبنان ، (د.ط) ، 1959م .

57 _ في الشعر العباسي نحو منهج جديد ، د. يوسف خلف ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، (د.ط) ، (د.ت) .

58 _ في عالم المكفوفين ، أحمد الشرباجي ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ـ مصر ، (د.ط) ، 1956 م .

59 _ في النقد العربي ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، (د.ط) ، 1962م .

60 _ القاموس المحيط ، مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط 4 ، 1971 م .

61 _ قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، د. محمد زكي العشماوي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، (د.ط) ، 1984 م .

62 _ الكتابة والإبداع ، عبد الفتاح أبو زائدة ، دار الأندلس للطباعة ، بيروت ـ لبنان ، (د.ط) ، 1992 م .

63_ الكاتب وعالمه ، تشارلز مورجان ، ترجمه د. شكري عياد ، سلسلة الألف كتاب ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ـ مصر ، (د.ط) ، 1964 م .

64 _ كولردج ، سلسلة نوابغ الفكر العربي ، محمد مصطفى بدوي ، دار المعارف ، مصر ، (د.ط) ، 1985 م .

65 _ لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري بن منظور ، تصحيح : أمين محمد عبد الوهاب ، محمد الصادق العبيدي ، (د.ط) ، (د.ت) .

66 _ لغة الشعر عند المعري ، زهير غازي الزاهد ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ـ لبنان ، (د.ط) ، (د.ت) .

67 _ اللغة بين المعيارية والوصفية ، تمَّام حسَّان ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ـ المغرب ، (د.ط) ، 1942 م .

68 _ مبادئ علم النفس العام ، يوسف مراد ، دار المعارف ، القاهرة ، ط7 ، 1987 م .

69 _ المتنبي وأبو العلاء المعري ـ رؤية في الإبداع الأدبي ، د. صالح حسن اليظى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ـ مصر ، (د.ط) ، 1990 م .

70 _ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لضياء الدين بن الأثير ، تح : أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، (د.ط) ، (د.ت) .

71 _ مجالات علم النفس ، مصطفى فهمي ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، (د.ط) ، (د.ت) .

72 _ المجموعة الكاملة لمؤلفات د. طه حسين ، المجلد العاشر أبو العلاء المعري تجديد ذكرى أبي العلاء ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 ، 1974 م .

73 _ مختارات من شعر العقاد ، اختيار وتقديم فاروق شوشة ، ديوان الصخر والنهر ، (د.ط) ، 1996 م .

74 _ مراجعات في الأدب والفنون ، عباس محمود العقاد ، (المكتبة المصرية ـ بيروت ، صيدا) ، (د.ط) ، 1983 م .

75 _ مع أبي العلاء في رحلة حياته ، د. عائشة عبد الرحمن ، دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط 1 ، 1972 م .

76 _ مع أبي العلاء في سجنه ، طه حسين ، مطبعة المعارف ، (د.ط) ، 1939 م.

77 _ معجم الأدباء ، لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، دار المستشرقين ، بيروت ـ لبنان ، (د.ت) .

78 _ المعجم الأدبي ، تأليف جبور عبد النور ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 2 ، 1984 م .

79 _ معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبه ، كامل المهندس ، مكتبة لبنان ، ساحة رياض الصلح ، بيروت ، (د.ط) ، 1979 م .

80 _ المعجم المفصل في اللغة والأدب ، د. مشيل عاصي ، د. أيميل بديع يعقوب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 12 ، 1978 م .

81 _ معجم لغة الفقهاء ـ عربي ـ انكليزي ـ افرنسي ـ مع كشاف انكليزي ـ عربي ـ افرنسي ، بالمصطلحات الواردة في المعجم ، وضعه : أ.د. محمد رواسي فلعه جي. طبعه لغوياً . دار النفائس . ط 1 ، 1996 م .

82 _ المعري ذلك المجهول ، رحلة في فكره وعالمه النفسي ، عبد العلايلي ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، (د.ط) ، 1981 م .

83 _ مفاهيم نقدية ـ رينيه ويليك ، د. محمد عصفور ، دار الرسالة ، الكويت ، (د.ط) ، 1978 م .

84 _ مقدمة اللزوميات ، أبو العلاء المعري ، المطبعة الجمالية ، القاهرة ، (د.ط) ، 1951 م .

85 _ من الأدب العباسي وتاريخه ، د. عبد النبي سالم قدير ، مطبعة جامعة الفاتح سابقاً ، 2007 م .

86 _ من تاريخ الأدب العربي ، طه حسين ، العصر العباسي الثاني ، دار العلم للملايين ، بيروت ـ لبنان ، (د.ط) ، 1974 م .

87 _ المنجد الإعدادي ، معاجم دار المشرق ، بيروت ، ط 5 ، 1986 م .

88 _ موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي ، د. محمد زكي العشماوي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، (د.ط) ، 1981 م .

89 _ النزعة الفكرية في اللزوميات ، د. خليل إبراهيم أبو ذياب ، الشركة العربية للنشر والتوزيع ، (د.ط) ، 1992 م .

90 _ النقد الاجتماعي في آثار أبي العلاء المعري ، د. يسرى محمد سلامة ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ـ مصر ، ط 1 ، 2011 م .

91 _ النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته ، أحمد كمال زكي ، (مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ مصر) ، (د.ط) ، 1982 م .

92 _ النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال ، دار العودة ، بيروت ، (د.ط) ، 1973 م .

93 _ نقد الشعر ، عباس محمود العقاد ، مطبوعات الشعب ، القاهرة ـ مصر ، ط3 ، (د.ت) .

94 _ نقد الشعر . قدامة (أبو الفرج قدامة بن جعفر) ، تح : كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ـ مصر ، 1978 م .

95 _ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ابن خلكان ، تح : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ـ لبنان ، (د.ط) ، 1968 م .